رحلات
إلى الإسكندرية والقاهرة
بعيون الرحالة المغاربة والأندلسيين

دليل تاريخي معزز بالخرائط والبيانات والصور والرسوم التوضيحية
للمسافر اليوم والغد في أعماق المدينتين
(في ثلاث عشرة جولة)

من عمل الرحالتين
الدكتور عبد الكريم تارفي و الأستاذ محمد البايك

مع رحلة الأستاذ لحمادي لكدع (الرحلة الأحمدية)

1440 هـ / 2019 م

بسم الله الرحمن الرحيم

رحلات
إلى الإسكندرية والقاهرة
بعيون الرحالة المغاربة والأندلسيين

الكتاب : رحلات إلى الإسكندرية والقاهرة
بعيون الرحالة المغاربة والأندلسيين
دليل تاريخي معزز بالبيانات والصور والرسوم التوضيحية للمسافر اليوم والغد في أعماق المدينتين
(في ثلاث عشرة جولة)
من عمل الرحالتين:
الدكتور عبد الكريم تارفي والأستاذ محمد البايك
مع رحلة الأستاذ لحمادي لكْدع (الرحلة الأحمدية)
1440هـ / 2019م

الطبعة الأولى : 2019م

رقم الإيداع القانوني : 2019MO2927

ردمك : 978-9920-37-865-9

التصفيف والإخراج الفني : صباح القصير

الطبع :
المطبعة والوراقة الوطنية
IMPRIMERIE PAPETERIE EL WATANYA
زنقة أبو عبيدة، الحي المحمدي، الداوديات - مراكش
RUE ABOU OUBAIDA, CITE MOHAMMADIA, DAOUDIAT MARRAKECH
TEL.: 05 24 30 37 74 LG / 05 24 30 25 91 - FAX: 05 24 30 49 23
iwatanya@gmail.com www.elwatanya.ma

بسم الله وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق

رحلات
إلى الإسكندرية والقاهرة
بعيون الرحالة المغاربة والأندلسيين

دليل تاريخي معزز بالبيانات والصور
والرسوم التوضيحية للمسافر اليوم
والغد في أعماق المدينتين
(في ثلاث عشرة جولة)

من عمل الرحالتين :

الدكتور عبد الكريم تازي والأستاذ محمد البايك

مع رحلة الأستاذ حمادي لكداع «الرحلة الأحمدية»

1440 هـ / 2019 م

ديباجة

يسرني وأنا أعود من زيارة القاهرة للمرة الرابعة أن أخصص إحدى الجولات التسع التي حاولت وضعها على هذا الورق للحديث عن شهادات طائفة من الوافدين على القاهرة والأزهر الشريف أمثال أبناء وأحفاد ابن سعيد المغربي والعبدري وابن مليح والطنجي وابن جبير والوزان والعياشي والزياني وهم يحلون تارة بفسطاط عمرو ذي البركات متفقدين أو زائرين او تجار أو متعلمين يتمتعون جميعا بهذه المنطقة الشعبية الروح والملامح لينالوا من خيراتها وليتذوقوا نكهة طعامها وخاصة الكسكس الفسطاطي الذي يذكرهم بأخيه المغربي، بعد أن يكونوا قد قطعوا إليه العسكر والقطائع مارين بمؤسسة ابن طولون وجامعه الضخم الفخم الموضوع رهن إشارة الغريب المغربي إيواء وإطعاما وسكنا ومستراحا وقبله بربض باب زويلة أو بوابة المتولي وهم يخرجون من القاهرة الفاطمية عبره، ماكثين قبل ذلك بالأزهر الشريف ووكالة الغوري تجارا أو أساتذة ومتعلمين يقطنون جهة الجمالية والحسينية غالبا متنقلين بين الأزهر والأنور والحسين، آتين إما من جهة الإسكندرية عبر بحر الدلتا بعد أن زاروا المرسي أبا العباس بها وتلميذه ياقوت العرش وتلميذه الصنهاجي الأصول الشاعر البوصيري دون أن ينسوا من صلحائها سيدي جابر وسيدي بشر ومن مساجدها حديثا مسجد القائد إبراهيم ومنارتها إحدى العجائب السبع.

أو آتين من جهة الجيزة عبر الصحراء الليبية وقد مروا في طريقهم إليها بالأهرامات وأخذوا للوصول إلى شرق النيل المراكب او العربات، فإذا ما بقي لهم

من الوقت فيه ألقوا نظرة تعظيم على القلعة الأيوبية وتذكروا وهم بها عناية سلاطينها بعلماء المغرب وصلحائه و بالوافد الحجازي المغربي خاصة دون أن تفوتهم فرصة المرور على السيدتين الشريفتين حفيدتي بيت النبوة السيدة نفيسة وزينب، وكذا زيارة القرافة أكبر موطن أجداث الصلحاء والعباد والصحابة والتابعين والملوك والقادة وأبرز المؤلفين في المذهب المالكي ممن أدركتهم به الوفاة مصريين ومغاربة وأندلسيين، داعين مترحمين ومتفقدين ومتوسمين بقايا آثارهم المندرسة أو تكاد.

محمد البايك

تمهيد تاريخي

فحمدا لله الذي خلق الشعوب والقبائل للتعارف والتآلف، وسلك في الأرض الفجاج والسبيل للانتقال والتزاور والتعاطف، وجعل في وسط اليابسة أول بيت وضع للناس نقطة تهوي إليها الأفئدة وترنو إليها العيون وتهفو إليها القلوب، ومنذ أن قدم على الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة من جهة الغرب الإفريقي أولئك الفتية المشار إليهم في صحيح الإمام مسلم يلبسون الصوف ويتمنطقون بالصوف ويسدلون شعورهم ويتحدثون بلغتهم الغريبة أو لسان الغرب والصحابي المرافق يراقبهم من بعيد وهم يحدثونه عليه السلام بلغتهم ويحدثهم، والوفود المغربية تترى إلى المدينة المنورة متعلمة ومجاورة وزائرة وآخذة من مذهب إمام دار الهجرة ومقرئها تلميذه وضجيعه في البقيع نافع، ذاهبة بعد ذلك إلى البيت العتيق مارة من المغرب الأقصى إلى طرابلس وبرقة ومطروح ومسراتة وأبو صير ووصولا إلى الإسكندرية عن طريق البر تارة أو ركوبا بالبحر إليها أخرى باعتبارها مرحلة مهمة منها ينتقلون بعد أخذهم قسطا وافرا من الراحة عقب أهوال صحراء ليبيا ومخاطر الأعراب حالين برباط أبي محمد صالح بها زائرين متمتعين بمساجدها ذات النشأة المغربية والمقامات الصوفية السنية بدءا "بالمرسي أبو العباس" وبإزائه مسجد الإمام الصنهاجي المغربي الأصول البوصيري النشأة والنسبة صاحب البردة والهمزية ويقابلهما في المنطقة المقدسة نفسها بوسط البلد مسجد ياقوت العرش في سلسلة روحانية من النسب الصوفي نشأت من جبل العلم ونقلها إلى الاسكندرية أبو الحسن الشاذلي الذي أخذ عنه صوفية الإسكندرية مغاربة وغيرهم كابن عطاء الله السكندري قبل أن يغادر إلى إحدى رحلاته الحجازية حيث يتوفاه الله

بجنوب مصر ببلدة حميثراء بصحراء عيداب الصعيدية، دون أن ينسى ركب الحاج المغربي زيارة مسجد سيدي بشر المغربي الأصول أيضا والمدفون على البحر شرقي المدينة في الشاطئ المسمى باسمه؛ وكذا مسجد أحد أعلام الأندلس والمغرب في حي الشاطبي المنسوب إليه. (دليل الإسكندرية 23)[1] دون أن يغضوا أبصارهم عما تتمتع به الاسكندرية من البنايات الدينية المسيحية والكنائس المتينة البنيان، حيث يلاحظ الوزان (ليون الافريقي) خلال زيارته في القرن 16 الميلادي للإسكندرية وجود عدد كبير من المسيحيين أتباع المذهب اليعقوبي والتي دفن بها مرقص الإنجيلي صاحب السفر المنسوب إليه وكيف نقل جماعة من التجار جنازته إليه خفية من البندقية عام 1465 م/ 869هـ؛ وقد تأسست هذه الكنيسة المرقسة قديما منذ القرن الأول الميلادي على يد هذا القديس فكانت بذلك أول كنيسة في إفريقيا على الطراز البازيليكي[2]، وجددت بعد ذلك مرات وهي بشارع كنيسة الأقباط بمحطة الرمل ولا يوازيها شهرة بالإسكندرية من الكنائس القديمة إلا كنيسة "سانت كاترين" التي استقر رفاتها في الدير الشهير باسمها جنوبي سيناء منذ أواخر القرن الرابع الميلادي وبها سمي "ميدان سانت كاترين" بحي "المنشية" وسط الإسكندرية؛ وهكذا تعايشت الديانات الثلاث بهذه المدينة المفتوحة على الشرق والغرب والشمال والجنوب طيلة أكثر من عشرين قرنا منذ أنشأها الإسكندر الأكبر ومرورا بقائدها الأشهر عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى اليوم دون أن ننسى

---

[1]- محافظة الاسكندرية: منشور يعرف بمحتويات المدينة قصد السياحة.

[2]- البازيليك: البازيليكات الرومانية طراز من الكنائس استند إليها فن الباروك في اللون والحركة والخيال (موسوعة يوكيبيديا) وأصل الكلمة لاتينية بمعنى ملكي لأنه بناء راق يصلح كمحكمة أو موقع تجاري تتسم بالاتساع والاستطالة والثلاثة أروقة وفي آخرها محراب استخدمه المومنون الأوائل وأعطوه طابعا دينيا في روما.

المعبد اليهودي الباقي إلى اليوم بشارع النبي دانيال رمزا للتسامح والتعايش القديم والمستمر بين الملل التوحيدية جميعا، وقد ذكر منذ القرن الثامن الهجري صاحب تاج المفرق خالد بن عيسى البلوي الأندلسي المغربي ما كتب به فاتح الإسكندرية ابن العاص إلى عمر الفاروق من وجود أربعين ألف يهودي بها عند الفتح (تاج المفرق 200/1).

دون أن ننسى ما خلفه البطالمة بها من معابد لعل ما بقي منها إلى اليوم وسط مقبرة اللاتين بطريق الحرية أمام الباب الشرقي للإسكندرية ذلك المعبد المسمى بمعبد "الرأس السوداء" المنتمي إلى أوائل العصر البطلمي بعد أن نقل من مكانه الأصلي، قام بتشييده فرد من أفراد شعب الإسكندرية آنذاك (دليل الإسكندرية 19).

أسباب إعادة تعمير الإسكندرية الإسلامية:

وخلافا لما زعم الحسن بن محمد الوزان المغربي الأصل من أهل القرن العاشر الهجري من أن الإسكندرية بعد الفتح الإسلامي لما غادرها تجار اليونان وأوروبا فقدت أهميتها حتى وضع بعض الملوك الأذكياء أحاديث في الترغيب في سكناها فعادت إليها تلك الأهمية الدينية، فجاء إليها أُقوام لتحصيل تلك الفضائل؛ فاتخذوا لهم مساكن في أبراج السور وبنوا المدارس للطلاب والزوايا العديدة للنساك، فهو زعم يتناقض مع أهميتها الدينية والإستراتيجية باعتبارها ثغرا عسكريا حيويا بحاجة دائمة إلى من يملأ الفراغ الذي يمكن أن يستغله قراصنة أو غزاة فاتحون في أي وقت ما اقتضى مزيد تعميرها للدفاع والعبادة والتفرغ للعلم والرباط في الزوايا، مما ذكرنا طرفا منه آنفا عند الحديث عن رباط الماجري أبي عبد الله محمد صالح ومساجد

الأئمة الصوفية: المرسي أبي العباس والبوصيري وسيدي بشر والشاطبي ذوي الأصول المغربية والأندلسية هناك؛ بالإضافة إلى من أقبر فيها من بعض التابعين والعلماء الذين زارهم الرحالة عيسى البلوي الأندلسي من أهل القرن الثامن آنف الذكر (تاج الفرق 200/1)، وقد لاحظ الحسن الوزان من القرن العاشر الهجري هذا الطابع الديني المتنوع والمتعايش عندما زارها حيث ذكر أنه: «ما زال يوجد من بين سكان الاسكندرية عدد كبير من أولئك الذين يدعون باليعاقبة، لهم كنيسة خاصة بهم، أعيد بناؤها عدة مرات وبقيت إلى يومنا هذا»[1]، كما قال؛ دون أن ينسى أنه «دفن فيها رفات سان مارك الإنجيلي الذي اختطفه غدرا عام 829م تجار من البندقية وحملوه إلى هذه المدينة»؛ ملاحظا ما يقوم به هؤلاء اليعاقبة من التنشيط الاقتصادي، حيث إنهم «كلهم تجار وصناع يؤدون الجزية إلى ملك القاهرة»؛ ومن أثر هذا التعايش والاعتقاد الحسن في مؤسسها اعتقاد أهلها أنه ذو القرنين المشار إليه في سورة الكهف؛ وقد أدرك الحسن الوزان «دارا صغيرة قصيرة كأنها معبد، تقع بين الأنقاض في قلب المدينة وتشتمل على ضريح يقدسه المسلمون - كما قال - ويعظمونه ويوقدون الأنوار حوله صباح مساء، يقال إنه قبر الاسكندر الكبير الذي كان نبيا - كما قال - وملكا .... ويأتي عدد كبير من الأجانب من كل فج عميق ليشهدوا هذا القبر ويتعبدوا فيه ويتركوا صدقات جسيمة»[2] من مسيحيين وغيرهم.

---

[1] - وصف إفريقيا ص 98 ط دار الغرب/ تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر.

[2] - نفسه ص 98 – 99.

الجولة الأولى بالإسكندرية:

حي الجمرك والمنارة

والمرسي أبو العباس

هكذا إذن اهتم الرحالة المغاربة والأندلسيون عند ورودهم واردين من المغرب إلى الحجاز أو صادرين منه إلى المغرب بهذا الجانب الذي يعتبر أساسيا في رحلتهم الدينية، ملتمسين من بركات وعلوم صلحاء الإسكندرية وعلمائها ومقاماتهم وزواياهم ما يدفعهم معنويا إلى الأمام في رحلة ذات طابع ديني قبل كل شيء! فإذا ما اجتمع لديهم هذا الغرض بمقامات رجال ذوي أصول مغاربية كالمرسي وسيدي بشر والبوصيري وياقوت العرش والشاطبي المذكورة مساجدهم آنفا، ومعظمها مجتمعة في منطقة "حي الجمرك" المطلة على الميناء الشرقي القديم، وخاصة المساجد الثلاثة للمرسي والبوصيري وياقوت العرش المتواجدة في هذا الحي والمتقابلة القريب بعضها من بعض ينتقل إليها الزائر المار متمتعا بإتقان بنيانها وشساعة مساحتها وجمال وضعها وامتلائها بالمصلين والطلبة والزائرين والفقراء، أماكن للاحتفالات الدينية في المناسبات تمتاز بدفء خاص آت من روحانية أعلامها وأعمالهم، وقد أنشأت وزارة الأوقاف أمامها ميدانا فسيحا كما جددت بناء المرسي بدءا من سنة 1929 إلى أن تم البناء سنة 1944 على الطراز الأندلسي بأربع قباب ومنارة شاهقة الارتفاع مطلة على الميناء الشرقي بحي الأنفوشي (دليل الإسكندرية 24) أما مسجد الإمام الصنهاجي البوصيري الذي نالته التجديدات إلى أن أصبح يليق بمسجد المرسي في المنظر ونحو ذلك مسجد سيدي ياقوت العرش، وبالإسكندرية أيضا مسجد وسط ذو مئذنة آية في الجمال يسمى بمسجد "القائد ابراهيم" ولعله القائد ابراهيم المتوكي[1] الضابط العسكري الذي كان قد تزوج

[1] - وقد زرنا بحمد الله المساجد الثلاثة بحي المرسي وصلينا الجمعة بمسجد ياقوت العرش وصادفنا عند زيارتنا لمنطقة المنشية مسجد القائد ابراهيم وصلينا فيه ركعتين ذات مساء من شهر يونيه لهذا العام 2007.

في إحدى حجاته بإسكندارنية من حفيدات المرسي "عناية بنت سالم المرسي" في الأربعينيات من القرن الماضي؟![*]

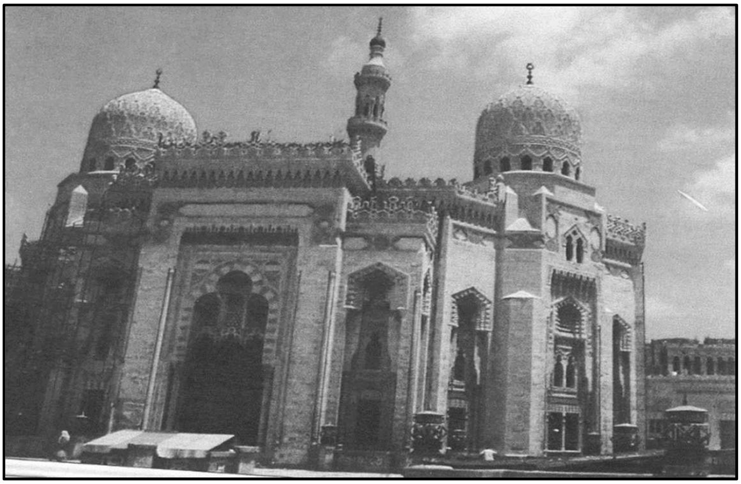

مسجد أبو العباس المرسي

معبد الرأس السوداء

(*) - رواية شفوية! والصحيح أنه القائد ابراهيم باشا بن محمد علي باشا مؤسس العسكرية المصرية (انقر ويكيبيديا) (مسجد القائد ابراهيم).

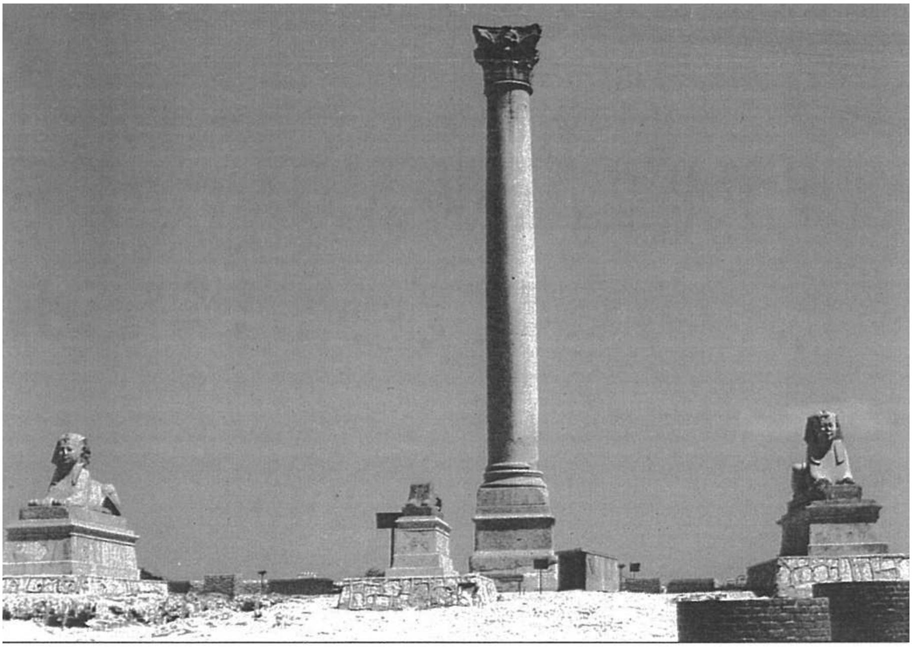

عامود السوارى (معبد السيرابيوم سابقاً)

الكنيسة المرقسية

إذا اجتمع لهم هذا كله فقد نالوا من العلم أغزره ومن الصلاح أسده وأرشده ومن البركات أوفرها وأزكاها ومن الزاد الروحي والمادي أقواه وأقدره، غاضين الطرف عما حصل لهم عند الورود على الأبواب برا وبحرا من دقة تفتيش ونقر عن النقير والقطمير من مدسوسات الثياب والأجساد، رافعين عقيرتهم بالشكوى إلى الله وإلى الوالي المسئول عن سوء المعاملة وغلظ الملاسنة وجسارة التفتيش، ولعل أفصح من صرح، بلسان عربي فصيح من مغاربة القرن السابع الهجري بذلك؛ أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الحيحي، مصورا هذا المشهد المهين ومستغربا إذ يقول: «ومن الأمر المستغرب والحال الذي أفصح عن قلة دينهم وأعرب أنهم يعترضون الحجاج، ويجرعونهم من بحر الإهانة الملح الأجاج؛ ويأخذون على وفدهم الطرق والفجاج، يبحثون عما بأيديهم من مال، ويأمرون بتفتيش النساء والرجال، وقد رأيت من ذلك يوم ورودنا عليهم ما اشتد له عجبي مما جعل الانفصال عنهم غاية أربي ... وكنت إذ رأيت فعل المذكورين ظننت أن ذلك أمر أحدثوه حتى حدثني نور الدين أبو عبد الله بن زين الدين الإسكندري بمدرسة جده حكاية اقتضت أن لهم سلفا غير صالح»[1] ناقلا عن ابن جبير ما حصل له سنة 661 من مثل ذلك وكيف وجه قصيدة شكوى إلى أمير المسلمين صلاح الدين مادحا وشاكيا إلى أن قال:

فما للمناكير من زاجر ... سواك وبالعرف من آمر

وحاشاك إن لم تزل رسمها ... فما لك في الناس من عاذر

---

(1) - الرحلة العبدرية ص 93 – 97 تحقيق محمد الفاسي.

ومع هذا الاستقبال الصعب والموقف الوعر لم يمنعه ذلك كله من الاستمتاع والتسلي بجمال أبواب المدينة وسوقها وإتقانها، إذ يقول بعد الولوج، والدخول منها والخروج «ومن جملة إبداعها وإغرابها ما رأيت من إتقان أبوابها: وذلك أن عضائدها (جمع عضادة) وعتبها (جمع عتبة) مع إفراط طول الأبواب، كلها من حجارة منحوتة، يتعجب من حسنها وإتقانها، وكل عضادة منها حجر واحد؛ وكذلك كل عتبة وأسكفة (والأسكفة اسم للعتبة) ولا أعجب من وضعها هنالك مع إفراط عظمها! ولم يغير طول الزمان شيئا من ذلك! ... بل بقي بجدته ورونقه، وأما مصاريعها فهي غاية في الإحكام؛ ملبسة بالحديد ظهرا وبطنا بأدق ما يكون من الصنعة وأحسنه وأتقنه»[1]

مداخل الإسكندرية آية في العظمة والجلال

أما ثالث ما لفت أنظار الرحالة المغاربة فمداخل المدينة التي لا يمكن للقادم إليها عبر الجهات الأربع إلا أن يقصدها ويقف عندها للإدلاء بهويته وبضاعته ووجهته؛ وقد لاحظ الحسن الوزان خلال القرن التاسع إثر فتح السلطان سليم العثماني لها وبعد عودته إليها مرة أخرى من استانبول؛ أن الإسكندرية: «مربعة الشكل هكذا قال؛ وهي في الحقيقة أقرب إلى الاستطالة؛ لها أربعة أبواب: أحدها إلى الشرق جهة النيل - وهو المسمى "بباب رشيد" إشارة إلى هذه المدينة الشاطئية - والآخر في الجنوب نحو البحيرة - ويسمى عند المصريين "بباب السدرة" وعند الأوربيين "بباب الفلفل" - والمقصود بالبحيرة بحيرة ماريوط التي تصب فيها مياه

---

[1] - رحلة العبدري: 91 – 91.

النيل الممتزجة ببقايا مياه البحر وخاصة خلال الصيف عند وفاء النيل فتنفي عنها ما تخلف من الرواسب الشاطئية خلال السنة وتجدد ماءها ولولا ذلك لتعفنت وانتنت وأصاب أهل الإسكندرية أذى كثير- أما الباب الثالث عند الوزان فينفتح إلى "جهة برقة" غربا والباب الرابع نحو البحر حيث يوجد الميناء القديم أو المرسى الغربي في مقابلة المرسى الشرقي؛ وقد أغفل الوزان بابا خامسا في الجنوب يؤدي إلى المقابر (نفسه 194)؛ دون ان ينسى أن الحرس والمكَّاسين[1] يتربصون عند الباب الرابع المتجه إلى المرسى للتفتيش الدقيق.

حيطان الإسكندرية القديمة شديدة البياض

ولعل أفضل من عبر عن الفضاء الداخلي للمدينة وما احتوى عليه من الشوارع، المهندسة أفقيا وعموديا من البنايات والمساكن والمساجد الرخامية وعن ميادينها الفسيحة من أثر عبقرية بانيها الأول، الرحالة الحيحي العبدري الذي وصفها بانها مدينة فسيحة الميدان؛ صحيحة الأركان؛ مليحة البنيان إلى آخر ما قال (نفسه 90) أما صاحب تاج المفرق فيضيف إلى هذا ناقلا عن صاحب الجغرافيا: طول الزمن الذي استغرق في استكمال بنائها وفق التصميم الاول وما امتازت به جدرانها الأولى من شدة البياض نهارا إلى درجة كلال العين من أشعتها المنعكسة؛ ما اضطرهم إلى وضع شيء واق فوق العيون دفعا لذلك (نفسه 198/1) ويضيف الحميري صاحب الروض المعطار بعده وصفا أدق وأكثر تفصيلا فيذكر كيف أن مؤسسها الأول؛ لما رأى طيبة أرض ذلك المكان وصحة هوائه ومائه آنذاك؛ بعث إلى البلاد فحشد الصناع واختط الأساس، واستجلب العمد الرخام وأنواع المرمر الملون والأحجار من البحر من جزيرة صقلية وبلاد إفريقية وأقريطيش

---

[1] - أصحاب أخذ المكوس من القادمين من غير أهلها وهي الضرائب غير الزكاة.

(كريت) فبناها على آزاج[1] وطبقات؛ ... وعمل لها مخاريق ومتنفسات للضوء؛ يمر الفارس وبيده رمح فلا يضيق عليه - وكأنه يقصد طوابقها التحت أرضية - حتى يدور جميع بلد الإسكندرية» ثم يضيف وصف أسواقها المسقوفة حتى لا يصيب أهلها المطر؛ دون أن ينسى الأسوار من الرخام الأبيض والملون والقصور والدور إلى درجة أنها كانت تضيء بالليل بغير مصباح لشدة بياض الرخام؛ وربما علق على أسوارها وقصورها شقات من الحرير الأخضر لشدة تأثير بياضها على الأبصار (الروض المعطار 54).

الطوابق السفلية مبنية كالطوابق الأرضية

ويؤكد كل من عيسى البلوي وبعده الحسن الوزان وجود هذا الطابق تحت أرضي أسفلها فيقول صاحب التاج: «ومن عجيب بناءها بل صنعها أن بناءها تحت الأرض كبناءها فوقها، بل أعتق وأمتن! لأن الماء من النيل يخترق جميع ديارها ويتخلل جميع أزقتها تحت الأرض؛ فتتصل الآبار - أي المقامة لجمع الماء وخزنه- بعضها ببعض ويمد بعضها بعضا» (تاج المفرق 198/1).

ويفصل صاحب "وصف افريقيا" بعده هذا الوضع عندما ذكر أن جميع دور الإسكندرية تقريبا مبنية على خزانات ماء محدودبة مدعومة بأعمدة وأقواس يصل ماء النيل إليها - مبينا ما أجمله البلوي عند ذكر آبار المدينة دون ذكر كيفية وضعها- ثم يضيف الوزان أنه «عند فيضان الماء بواسطة قناة اصطناعية» ولعلها اليوم أصل لترعة المحمودية التي حفرت منذ سنة 1820 والمرتبطة من جهة الشرق بفرع رشيد من النيل ومن جهة الغرب "بالبحر" في شكل حزام مائي يخترق جنوب

---

[1] - جمع أزج وهو البناء المستطيل المقوس وكذلك السقف معجم المعاني ازج والمعجم الوسيط أزج.

الإسكندرية موازيا لبحيرة ماريوط غربه مما يجعل الإسكندرية وهي محاطة من شمالها وشرقها وجنوبها بالبحر والبحيرة وترعة المحمودية شبه جزيرة كبرى مستطيلة الشكل على امتداد شرقي - غربي من قرب خليج أبي قير في الشرق إلى منطقة الحمام في الغرب في نحو 30 كلم تتخللها ثلاث قنوات ضخمة هي "قناة المحمودية" آنفة الذكر وقناة النوبرية الممتدة من بحيرة ماريوط إلى البحر غربها إلى قناة ثالثة عند حصن الشفخانة غربا.

ورغم هذه الموارد المائية المتخللة والمحيطة بالمدينة فإن الوزان يصف موقعها في وسط مفازة من الرمال؛ بحيث إنها لا تملك أرضا زراعية ولا كروما ولا حدائق- وكان هذا فيما مضى أما الآن فتتخللها حدائق واسعة خضراء عديدة ومتنوعة المساحات والأشكال: من أشهرها ابتداء من الشرق "حديقة المعمورة الشاسعة" تليها مجموعة حدائق المنتزه الشاطئية يزينها قصر المنتزه بالمنطقة المسماة باسمه بني فوق هضبة تعلو شاطئ "المنتزه" الجميل والمحاط بالحدائق والغابات ذات المساحات الشاسعة (370 فدانا) تتضمن عددا من المباني أهمها الحرملك الخاص بالأسرة الملكية الخديوية[1]؛ وبهذه الحدائق الأشجار المتنوعة والنخيل الآسيوي الملكي السامق وأحواض الزهور وشواطئ للاستجمام ومركز سياحي متكامل ومطاعم وشاليهات وحديقة للأطفال وفندق باسم فلسطين ومركز للرياضات البحرية ومسرح صيفي؛ ومبنى للسلملك حول إلى فندق سياحي متميز - ومعناه بالتركية مبنى الرجال في مقابل الحرملك مبنى الحريم - مع مبان تحت أرضية تخدم الملك آنذاك تحكى عنها قصص أشبه بالأساطير تتعلق بعدد الزوار والزائرات بعدد أيام السنة

---

[1] - فوق بابه ثلاث فاءات باللاتينية إشارة إلى الملك وزوجته وابنته: (F F F).

وببعض تصرفات الملك فاروق التي تكشف عن حسن التخلص عند المضايق الحرجة.

فإذا اتجهنا إلى الجنوب الغربي من القسم الشرقي الأوربي الطابع وجدنا حديقة ثالثة ملاصقة لقناة المحمودية برا هي "حديقة النزهة" وهي أهم حدائق الإسكندرية وتشتمل على عدة حدائق منها:

- "حديقة انطونيوس" ذات الأشجار والأزهار والتماثيل الرخامية على الطراز اليوناني وبها القصر المسماة به هذه الحديقة.

- وكذلك "حديقة الورد" داخلها.

- و "حديقة الأطفال" معها.

- و "حديقة الحيوان" أيضا في نفس الموقع.

منار الإسكندرية في أعين المغاربة

ولعل ما لفت أنظار الرحالة المغاربة وهم يمدون البصر ناحية البحر منار الإسكندرية الشهير "العجيبة من العجائب السبعة"؛ وقد ترك لنا العبدري الحيحي منذ القرن السابع الهجري وصفا بديعا لطريق المنار وشكله المتبقي عند حلوله بالإسكندرية حيث لاحظ في طريقه إليه من الباب الشمالي وجود "بر متصل أحاط به البحر حتى اتصل بسور البلد" على شكل جسر طبيعي ترابي وأنه لا يمكن الوصول إلى المنار في البحر إلا من هذا البر الضيق المحاط بالماء بعد المرور بمقابر الإسكندرية ومزاراتها؛ وقد صرح بأنه دخل إليه وتأمله وصعد إليه بعد جهد، وأنه كان يظهر له من البعيد غير مفرط العلو؛ وقد أحاط به البحر شرقا وغربا بدوره

حتى تآكل حجره من الجهتين فاضطروا إلى دعم الجهتين ببناء وثيق اتصل به إلى الأعلى أضيفت إليه احتياطا دكاكين متسعة وثيقة أساسها ممتد إلى أسفل البحر، ثم ذكر أن باب المنار مرتفع عن الأرض نحو أربع مقامات لا يصل إليه الداخل إلا بعد المرور بما يشبه الجسر الذي ينقطع فجأة قبيل الباب فيضطر إلى وضع ألواح تجسر بينه وبين الباب وترفع عند الضرورة، فإذا دخل إليه الزائر لاحظ حجرة الحارس فوق الباب ثم يجد بيوتا مع إحكام الجدران السميكة[1]، فإذا صعد الزائر إلى سطحه الأعلى وجد هناك جامورا على شكل كرات نحاسية وعليه جامور آخر أصغر منه مع قبة مليحة مشرعة إلى النواحي الأربع بها محراب للصلاة في هذا العصر عندما زارها، وقد زرناه بعد ذلك حيث أصبح قلعة بناها الملك المملوكي قايتباي وسميت باسمه اليوم وبه مرافق ومدافع نحو البحر تصدر العدو.

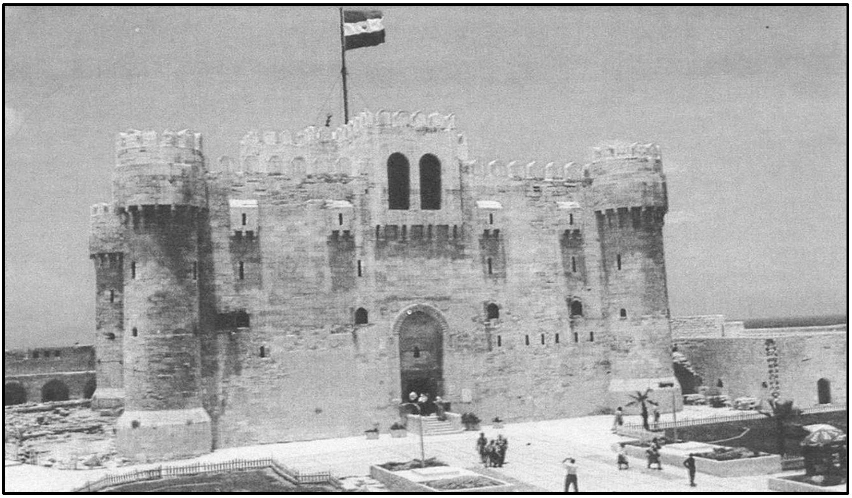

قلعة قايتباي

[1] - هي بيوت الحرس غالبا وكذا العدة والعتاد والمؤن.

من وظائف منارة الإسكندرية:

على أن صاحب الروض المعطار وقد استقصى المراجع التاريخية عند "تأليفه في خبر الأقطار" يضيف معطيات أخرى تتعلق بحالة المنار عند تشييده ليقوم بعدة وظائف منها وظيفة المراقبة ووظيفة الاهتداء إلى الميناء عنده لصعوبة التضاريس الجانبية عند الشاطئ ومنها وظيفة جلب أنظار السفن إلى الجهة التي يمكن منها الولوج إلى الميناء قصد السماح بالرسوم والتمكن من المراقبة، لذلك جاء المنار آية في الإتقان والإبداع بحسب اجتهاد المهرة من المخططين آنذاك؛ فيذكر أنه عبارة عن طرف لسان داخل في البحر من البر؛ والمنار موضوع على قاعدة ككرسي من زجاج على هيئة السرطان البحري، بطول ألف ذراع ارتفاعا في أعلاه المرآة المركبة من أخلاط غريبة تظهر المراكب البعيدة على مسيرة بعيدة؛ وأحيانا يوضع عليها عند الخوف من المركب المعادي أخلاط وأدهان فينعكس على المركب شعاعها المحرق، وبجانبها تمثال بل تماثيل من نحاس وطلاسم أحد هذه التماثيل يصدر صوتا إنذاريا عند اقتراب العدو وآخر يصدر أصواتا متنوعة على عدد الساعات ليلا ونهارا يختلف كل صوت عما قبله وبعده (الروض المعطار 54) ثم يشير إلى قصة إبطال خواص المرآة (الروض 55).

هذا وقد تعرض المنار بعد هذا القرن للآفات والتخريب حيث دمره زلزال منتصف القرن الثامن ثم أقام الحاكم المملوكي قايتباي (1468 - 1496) مقامه قلعة على نظام قلاع العصور الوسطى من ثلاثة طوابق تكتنفها من الزوايا الأربع أربع حصون ذات شرفات ويدخل إليها من الوسط في باب مرتفع الدرج تعلوه في السطح غرفة عالية المستوى عن السور والسطح بنافذتين طويلتين ويخترق البناء

من جهاته نوافذ ضيقة جدا للنور والمراقبة والرماية (دليل الإسكندرية 18)[1] ويذكر الحسن الوزان منذ القرن 9 هـ أهمية مرسى هذا الموقع الذي ترسو فيه أجل السفن وأهمها كسفن البندقية وجنوة واليونان والترك احتماء به من القراصنة والعواصف؛ وإلى الجنوب الشرقي من هذا الميناء الحلزوني الملتوي الشبيه بكماشة مفتوحة على منطقة الجمرك ميناء السلسلة على شكل لسان بري ممتد إلى عمق البحر ذكر الوزان أن السفن الآتية من بلاد البربر وجربة وغيرها ترسو به بعد ان تمر في موازاة ميناء المنارة القديم لتنعطف إليه (نفسه 195) يحميه حصن يسمى (قلعة السلسة) (انظر الخريطة) وقد أغفل الوزان ميناء ثالثا هو ميناء رأس التين الواقع في موازاة ميناء المنارة والقلعة القديم إلى جهة الغرب في شبه جزيرة كانت تزرع به أشجار التين الفاخر وبه حصون تحميه من الهجوم البحري (وصف مصر 290/3 – 291) هذا، وقد ابى ملكان مغربيان بانيان عظيمان إلا أن يستعيدا على البحر المحيط عظمة منار الإسكندرية ووظائفه مضافا إليها مسجدان ضخمان، أعني "حسانا" و"مسجد الدار البيضاء" المطلين على المحيط.

[1] - وقد زرته هذه السنة بعد إصلاحها وتجديد مرافقها كما زرت متحف الأحياء البحرية أسفلها خارجا.

الجولة الثانية بالإسكندرية:

الكورنيش والشاطئ الإسكندري الطويل

الجولة الثانية: الكورنيش والشاطئ الإسكندري الطويل:

هذا ولا يخفى على السائر حول شواطئ الإسكندرية أن يلاحظ مدى التوائها وتعرجاتها في تداخل وحوار بين اليابسة والبحر والشعب المرجانية والصخور الكلسية وإتاحة الفرصة مع ذلك للسفن لتجد من بين ذلك كله مدخلا للرسو بعد جهد جهيد، مع تمتيع المصطاف والمتأمل والمرابط والسائح والعابد بأشكال وأقواس من الشواطئ الحلزونية تمتد شرقا من شاطئ "أبو قير" الملتوي إلى شاطئ المعمورة شبه المستقيم مرورا "بجزيرة الأحلام" ومطلا على "قنطرة المنتزه" آنف الذكر إلى شاطئ "المنظرة" المؤدي إلى شاطئ "العصافرة" وشاطئ "ميامي" المطل على جبل "جزيرة الكور" ومنه ينعطف المار بشارع الجيش إلى شاطئ "سيدي بشر" فشاطئ "أبو هيف" فشاطئ "السراي" فشاطئ "القديس سام ستيلانو" فشاطئ "كليم" فشاطئ "استانلي" باسم الرحالة الإنجليزي مكتشف الكونغو الشرقي آنذاك، وبقربه شاطئ "رشدي" المؤدي إلى شاطئ "كليوباترا" في إشارة رمزية إلى عهدها الزاهر بالإسكندرية حضارة ومعارك وعلاقات مع روما وتبادلا للعلوم والفنون والمكتبات ذات الشهرة العالمية كمكتبة هذه المدينة، فشاطئ "الشاطبي" الذي يلتوي على شكل قوس ليصل إلى "شاطئ الأنفوشي" عند المنارة والميناء الشرقي آنف الذكر، فإذا توغلنا متبحرين مارين "بقصر الأسماك"[1] قرب قلعة قايتباي انعرجنا إلى شاطئ "رأس التين" آنف الذكر وعند نهاية "شارع الجيش": حيث ننحدر بعد ذلك منعرجين إلى الجنوب الغربي في شاطئ يمتد طويلا يسمى بالكورنيش ينتهي عند ميناء محدث هو ميناء "الشيخ العجمي" وقصبة و"جزيرة الكنيسة" ليشرع الرائد في

---

[1] - تحت الإصلاح بهذه السنة 2007 وقد تقدمت الإشارة إلى دخولنا إليه واستمتاعنا بالأحواض الزجاجية المشتملة على أنواع من الأسماك المنتسبة إلى بحر الأبيض المتوسط.

سلسلة أخرى من الشواطئ الغربية كشاطئ البطاش وشاطئ "الهنفيل" المؤديين إلى خارج نطاق الإسكندرية غربا عبر مناطق "سيدي جرير" و "أبو صير" و"الحمام" "والعلمين" و "سيدي عبد الرحمان" إلى "مرسى مطروح" في نحو 78 كلم عبر طريق الحاج المغربي والليبي بحرا.

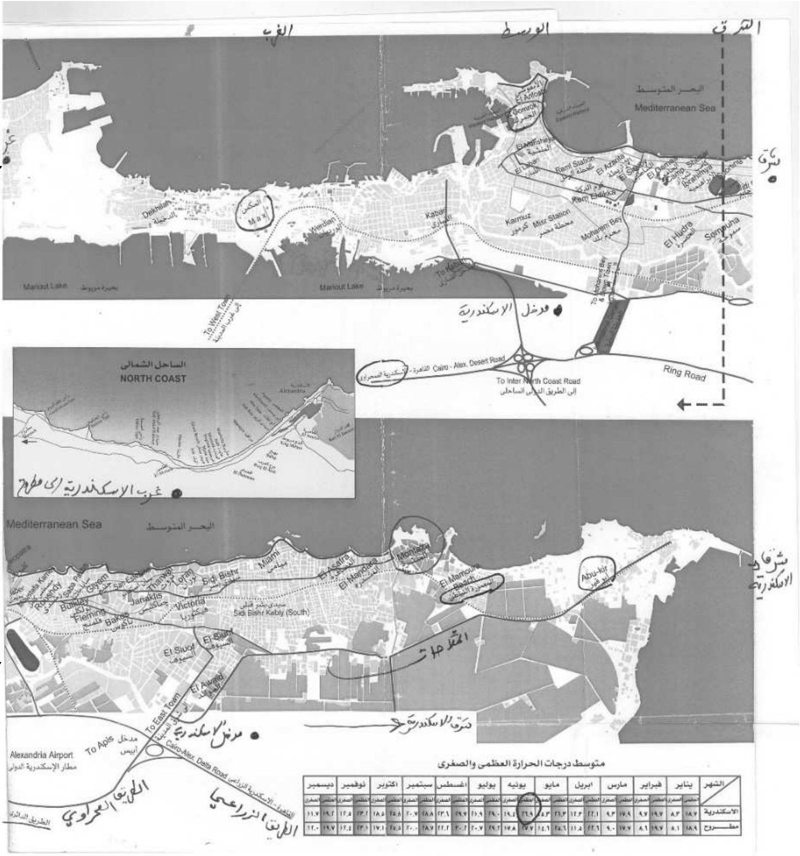

متوسط درجات الحرارة العظمى والصغرى

الشهر	يناير العظمى	يناير الصغرى	فبراير العظمى	فبراير الصغرى	مارس العظمى	مارس الصغرى	ابريل العظمى	ابريل الصغرى	مايو العظمى	مايو الصغرى	يونيه العظمى	يونيه الصغرى	يوليو العظمى	يوليو الصغرى	اغسطس العظمى	اغسطس الصغرى	سبتمبر العظمى	سبتمبر الصغرى	اكتوبر العظمى	اكتوبر الصغرى	نوفمبر العظمى	نوفمبر الصغرى	ديسمبر العظمى	ديسمبر الصغرى
الاسكندرية	١٨.٧	٨.٣	١٩.٧	٩.٧	١٧.٩	٩.٣	٢٢.١	١٢.٣	٢٦.٣	١٥.٣	٢٦.٩	١٩.٤	٢٩.٠	٢١.٩	٢٩.٧	٢٣.١	٢٨.٨	٢٠.٧	٢٤.٨	١٨.٥	٢٣.٢	١٢.٥	١٩.٢	١١.٧
مطروح	١٨.٩	٨.١	١٩.٧	٨.١	١٧.٧	٩.٠	٢٢.٦	١١.٥	٢٥.٦	١٤.٦	٢٧.٧	١٧.٨	٢٩.٢	٢٠.٧	٣٠.٢	٢٢.٢	٢٨.٧	٢٠.٠	٢٤.٥	١٧.١	٢٣.١	١٢.٤	١٩.٧	١٢.٠

خريطة غرب الإسكندرية

خريطة شرق الإسكندرية

الشاطئ الشرقي للإسكندرية يصلها بفرع النيل عند رشيد شريانا مائيا عذبا وممدا لها بالحياة:

على أن المنطقة الشرقية الشاطئية آنفة الذكر والتي تضم ضاحية "خليج أبي قير" والمعروفة باسم "كانوب" قديما لانتهاء فرع النيل الغربي الكانوبي عندها كانت تعتبر قديما ولا تزال مشتى ومصيفا لمواطني الإسكندرية؛ وفيها معبد "السرابيوم" اليوناني الذي تحول إلى كنية مسيحية دفن فيها الأب "الأنباكير" فاشتهر المكان باسمه تم تحول بالتحريف إلى أبي قير؛ وفيها وقعت المعركة البحرية الشهيرة بين الأسطول الأنجليزي والفرنسي النابليوني 1798 أثناء الحملة الفرنسية وانتهت بتحطيم الأول، وبشاطئها آثار غارقة ثم انتشال كثير منها وعرضت ولا تزال "بالمتحف البحري" آنف الذكر إزاء قلعة قايتباي، ويقوم زوار هذه الناحية الشرقية بزيارة "جزيرة نيلسون" قائد هذه المعركة الأنجليزي وبممارسة هواية صيد السمك واستئجار المراكب الشراعية للوصول إلى الجزيرة، كما تشتهر هذه الناحية الشرقية الشاطئية بمطاعم الأسماك كمطعم "زيزفون" و "فيش ماركت" عند مبنى الكشافة و"الفيروز" عند شاطئ "السراي"؛ كما يمكن للراغب في الخروج إلى الشرق وعلى بعد 65 كلم أن يقوم بزيارة إلى مدينة "رشيد" الواقعة عند ملتقى النيل بالبحر الأبيض على الضفة الغربية من فرع رشيد وبالمدينة آثار إسلامية ومنازل وحصون ولها شهرة عالمية لاكتشاف "حجر رشيد" التاريخي مفتاح الأبجدية الفرعونية من قبل "شامبليون" الفرنسي بها.

سلسلة الشواطئ المتجهة غربا إلى العلمين:

فإذا انتقل الرائد إلى غرب الإسكندرية على بعد 19 كلم عند منطقة "العجمي" آنفة الذكر بدأ "بالعجمي بيطاش" ويتضمن شواطئ "بلبس" و "شهر العسل" و "الفيروز" و شاطئ القوات المسلحة وانتهاء بالعجمي "هانوفيل" على بعد 4 كلم من "العجمي بيطاش" وفيه شواطئ خاصة تتبع شركة المعمورة تضاف إليها شواطئ "الياسمين" وشاطئ "الهانوفيل" ونادي الشرطة تليها "قرية ناصر" السياحية بطول نصف كلم ويلي العجمي شاطئ أبو يوسف و "6 أكتوبر" وشاطئ "أبو تلات" على بعد 25 كلم بطريق الإسكندرية مطروح فشاطئ سيدي جرير آنف الذكر على بعد 34 كلم وبعده جملة من القرى السياحية الترفيهية إلى غاية الكلم 79 غربا؛ مما يجعل من الإسكندرية مدينة الاصطياف البحري للشعب المصري والسياح بامتياز؛ وقبل فتح الشواطئ السياحية العالمية الجديدة بشرم الشيخ والغردقة وبقية الشواطئ المطلة على سيناء وعلى البحر الأحمر؛ دون ان ننسى منطقة "العلمين غربا" على بعد 140 كلم من الاسكندرية ذات المناظر الجميلة والرمال البيضاء الناعمة والهدوء، وقد وصفها تشرشل بأن لها أجمل مناخ في العالم؛ ودارت على أرضها المعركة التاريخية الفاصلة عند الحرب الثانية بين ألمانيا وجيوش الحلفاء "مونتجمري" قائدا، وتضم مقابر إنجليزية وإيطالية وألمانية إلى جانب المتحف الحربي ذي الأسلحة المستخدمة أثناء الحرب الأممية الثانية.

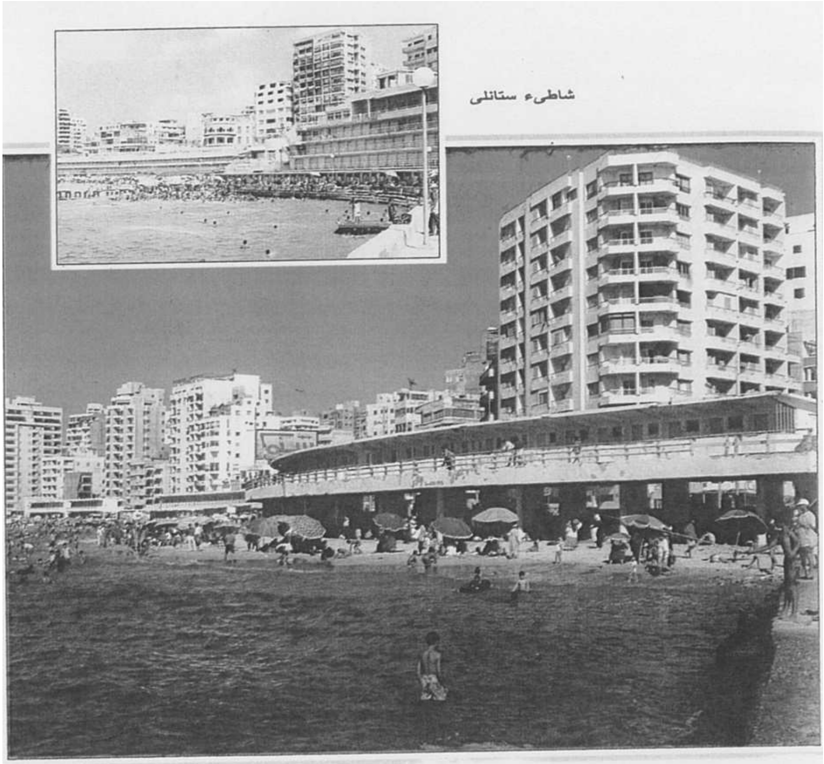

شاطىء ستانلى

شاليهات المندره

قصر وحدائق المنتزه

قمنا بزيارته زوال الجمعة 28/7/2000

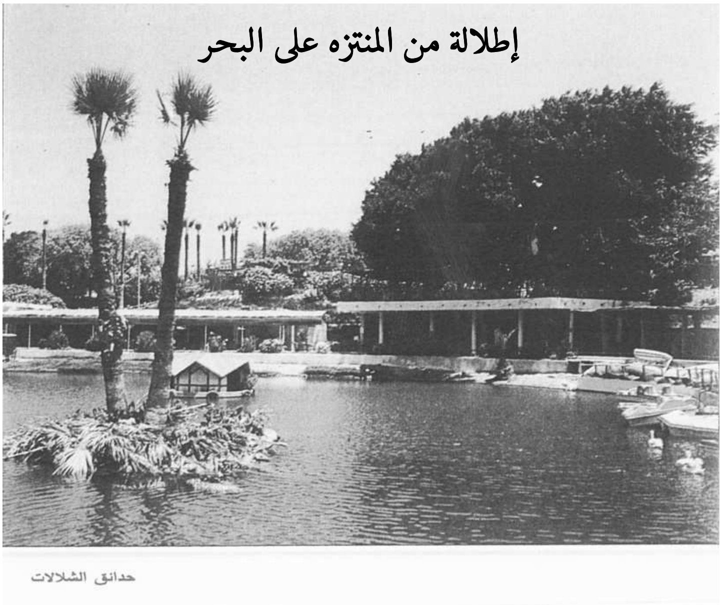

امتدادات صحراوية نحو الجنوب في الطريق الصحراوي إلى القاهرة:

إما إذا اتجهنا جنوبا إلى جهة بحيرة مريوط غربا وعلى بعد 35 كلم فإننا ندخل إلى منطقة "كنج مريوط" ذات الجو الجاف، وتعتبر مشتى عالميا ومركزا للسياحة وذات آثار فرعونية وإسلامية؛ وعلى بعد 40 كلم جنوب غرب الإسكندرية عند "برج العرب" أو "قرية الهوارية" نصل إلى مدينة ماريا أومريوط التاريخية والمشتقة من مريت" بالهيروغليفية القديمة بمعنى الميناء وبعدها على بعد 50 كلم منطقة "أبو مينا" المنتمية إلى "القرن 4 الميلادي" حيث دفن فيها القديس مينا المقتول في عهد الإمبراطور دقلديانوس سنة 326 ق م وبها كنيسه وعدة مبان أثرية وكنيستان صغيرتان (دليل الإسكندرية 33) أما "منطقة العامرية" جنوب غربي الإسكندرية فتضم الحي الصناعي[1] والمنطقة الحرة وهيئة الاستثمار وقرية الأطفال؛ وبعيدا إلى الجنوب أيضا عند وادي النطرون حوالي 122 كلم طريق الإسكندرية القاهرة الصحراوي حيث تقع أديرة وادي النطرون الشهيرة (نفسه 34).

[1] - يمتاز بمعامل متعددة منها معامل تكرير البترول.

الجولة الثالثة بالإسكندرية

(زيارة خاصة للأعلام المغاربة ولمشاهدهم)

الجولة الثالثة بالإسكندرية: (زيارة خاصة للأعلام المغاربة ولمشاهدهم):

وهكذا تغدو الإسكندرية البحرية الطابع المائية الدوائر والجنبات ذات السفن التجارية والعبارات محطة رئيسة للرحالة المغاربة والتجار والسفن القادمة من المغرب والأندلس إلى الشام ومصر حاملة مع رجالات الغرب الإسلامي وثقافتهم ومظاهر حظارتهم منتجات المغرب والأندلس العديدة ومن الإسكندرية إلى الغرب الإسلامي منتجات أخرى خزفية وورقية من البردي الذي اشتهرت مصر بصناعته، حيث كان بحر الإسكندرية يمتد إلى القيروان في هذه الحركة البحرية جيئة وذهابا؛ ومنذ مصر الفاطمية مثلا تردد التجار اليهود المغاربة على الإسكندرية مستخدمين وكلاء محليين بها لهم كابن عوكل يوسف بن يعقوب زعيم الطائفة بالإسكندرية ذي الأصول الفارسية والتونسية قبل أن يستقر خلال القرن الرابع الهجري بالإسكندرية كما عمل وكيلا لعائلات مغربية استقرت "بأبوصير" التي كانت تعد من أكبر مدن الكتان (المغاربة ودورهم الثقافي في مصر ص 12).

ومع هذه الحركة التجارية حركة الحجاج والزوار طالبي الإجازة العلمية والانخراط في الجيش، ومن أشهر علماء الغرب الإسلامي الوافدين على الإسكندرية منذ القرن الخامس الهجري أبو بكر الطرطوشي الذي رحل إلى العراق والحجاز قبل أن يستقر بالإسكندرية متصلا بوزيرها البطائحي ومصنفا له كتاب "سراج الملوك" وطالبا منه أن ينشئ له بظاهر ثغر الإسكندرية على البحر مسجدا، فأمر الوزير في الحين بتنفيذ المشروع على نفقته الخاصة (أسامة مصطفى مسعد: المغاربة ودورهم الثقافي في مصر: القاهرة ص 16).

أما اليسع بن حزم الجياني (575) معاصره فقد سكن الإسكندرية أيضا وأقرأ

بها وزار القاهرة فأكرمه الناصر صلاح الدين وكان مقرئا حافظا مع فلاكة[1] وفقر جبرهما الناصر المذكور (نفسه 18).

وقد ساعد على هذا الاستقطاب ما أصبحت عليه مصر بعد إحياء الخلافة العباسية بها على أيدي المماليك سنة 659 هـ فغدت بذلك مركزا للنشاط العلمي والديني والسياسي؛ بالإضافة إلى ما أصبحت عليه الأندلس بعد سقوط مدنها من حركة طاردة للنخب حيث اضطر أندلسيون ومغاربة إلى الهجرة جنوبا وشرقا: وهكذا وخلال القرن السابع الهجري نرى الفقيه محمد بن سليمان المعافري الشاطبي (ت 672هـ)ينزل بالإسكندرية عابدا عند الثغر جهة الشاطئ المسمى اليوم باسمه جامعا بين العلم والعمل والزهد والانقطاع مترددا على منطقة المرسي (الجكمرك حاليا) مؤسسا رباطا باسمه فيها خارج باب البحر حيث سيدفن فيما بعد قريبا من معاصره الآتي أبي العباس أحمد بن عمر المرسي (686هـ) قطب زمانه ورأس أصحاب الشيخ أبي الحسن الشاذلي الذي هاجر من مرسية قبل سقوطها بعام، فاقدا أثناء الطريق والديه الغريقين عند شاطئ بونة، ولكن القدر أنقذه من الغربة والفقد بشيخ من تونس هو أبو الحسن الشاذلي[2] الذي لازمه ورافقه إلى الإسكندرية سنة 642 هـ عصر الملك الفاضل محمد بن العادل أخي صلاح الدين، حيث ورث بها شيخه الشاذلي قبل أن يرحل عنه إلى جنوب مصر ولما توفي المرسي دفن بالجبانة القديمة إزاء رباط الشاطبي آنف الذكر (نفسه 30 – 31).

[1] - الفلاكة والمفلوك المصاب بهذه الصفة من الفقر المدقع وكتب في الموضوع مؤلف بهذا الاسم وهو مطبوع.

[2] - الشاذلي بثلاث لغات بكسر الشين أو ضمها أو تشديدها راجع تاج العروس للزبيدي نزيل الإسكندرية أيضا.

أبو العباس المرسي ومعاناته الأسفار وحزب البر وحزب البحر:

ويصف أحد علماء الإسلام واللغة والصلاح والتبرك شيخ المرسي أبو العباس وهو يتقدم لشرح حزب البر الذي أنشأه الشيخ خلال رحلاته بين تونس والإسكندرية والقاهرة والصعيد والبحر الأحمر في حركة رحلاته الحجازية المصرية فيقول في مادة "شذل" من تاج العروس: "وشاذلة بها قرية بالمغرب قرب تونس، منها القطب الإمام أبو الحسن علي بن عبد الله الحسيني الشريف - أستاذ الطائفة الشاذلية من صوفية الإسكندرية[1]» ثم قال الزبيدي مرتضى بعد ذلك نافيا نسبة الشيخ إلى تونس ورافعا نسبه إلى المغرب الأقصى من بني زروال «وقد رد ذلك شيخ مشايخنا أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي ... حيث قال: الشيخ أبو الحسن على بن عبد الجبار الزرويلي، ونسبه إلى شاذلة لأنه كان يتعبد فيها وليس منها كما توهم صاحب القاموس» ثم قال المرتضى الزبيدي عقبه: «ولد رضي الله عنه في سنة 591 ويقال 593 بقرية غمارة .... من سبتة ثم انتقل إلى تونس وسكن شاذلة ... ودخل المشرق وتوفي بصحراء عيداب سنة 656» وذكر بعده أنه اخذ عن سيدي عبد السلام بن مشيش عن أبي العباس السبتي عن أبي محمد صالح عن أبي مدين الغوث؛ وقيل أخذ أيضا عن أبي مدين مباشرة.

وإنما سقنا تفصيلات عن شيخ شيوخ شاذلية مصر والمغرب بعد ذلك لأنه بالإضافة إلى إنشائه حزب البر الطويل نسبيا أنشأ معه وقد شاهد أهوال البحر المتوسط ومخاطر البحر الأحمر معا حزبا يسمى بحزب البحر وهو أقل من حزب

---

[1] - مقدمة تحقيق شرح حزب البحر للأستاذ أحمد الشرقاوي إقبال ص 12 - 13 وقد حقق أستاذنا المرحوم عبد الهادي التازي الحزبين ووضع حزبا ثالثا سماه حزب الجو (محاضرة في دار الثقافة بالداوديات /مراكش ليلة تكريمه).

البر حجما، وقد نقل عنه صاحب الرحلات الشهيرة ابن بطوطة أنه كان يسافر في كل سنة على صعيد مصر وبحر جدة بالإضافة إلى سفره الأول من المغرب، فكان إذا سفر يقرأه يوميا ويلقنه للتلاميذ الذين استمروا فيما بعد عليه في أسفارهم البحرية، وفي هذا الحزب من الآيات القرآنية والدعوات الاستدفاعية طلبا لتيسير السفر وعقباته ودعاء على قطاع الطرق ما يؤنس المسافر المتوجس الخائف ويعيد إليه الطمأنينة ومن جملة الحزب قوله: «فثبتنا وانصرنا وسخر لنا هذا البحر كما سخرت البحر لموسى عليه السلام»[1] وفيه أيضا: «وهب لنا ريحا طيبة كما هي في علمك، وانشرها علينا من خزائن رحمتك واحملنا بها حمل الكرامة مع السلامة والعافية في الدين والدنيا والآخرة» وفيه «مرج البحرين يلتقيان، بينهما برزخ لا يبغيان» إلى آخر هذا الحزب البحري كما حققه أستاذنا رحمه الله أحمد الشرقي إقبال: أي حزب البر.

[1] - رحلة ابن بطوطة 189/1 تحقيق: عبد الهادي التازي.

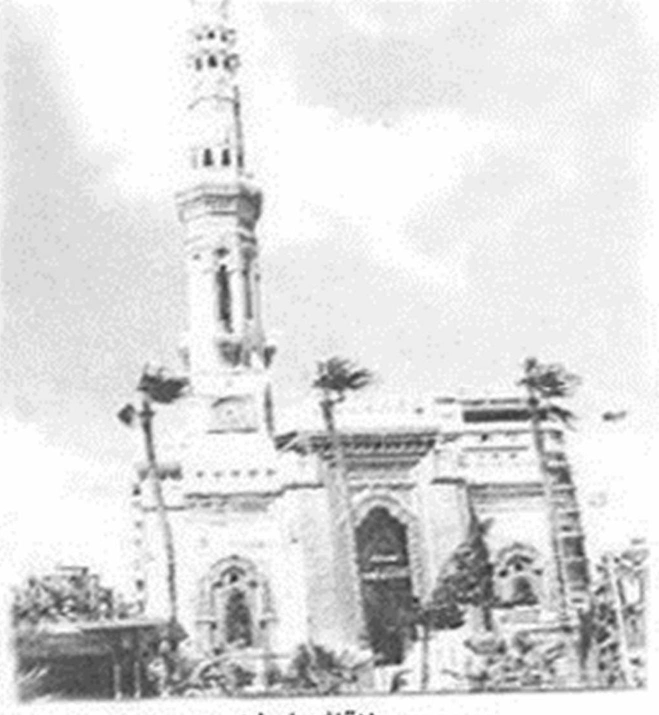

مسجد القائد ابراهيم

مسجد المرسي أبو العباس

كوكبة من علماء الغرب الإسلامي تختار ثغر الإسكندرية رباطا ومثابة قريبة من المغرب والمشرق:

وكان مع هذا الرعيل المهاجر من الغرب الإسلامي أمثال القاضي المالكي بالإسكندرية محمد بن الحسن المعروف بابن القديسة من صفاقس قبل أن يحل بها محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ابن بطوطة سنة 726 هـ والذي لفت نظره وجود هذا الرعيل المغاربي بها فراح يفيض في الحديث ويلتمس ذوي الفضل والصلاح والكرامة دون أن نغفل في هذا العصر فقيه الثغر الإسكندري ورئيس علمائها؛ الدين الصالح محمد بن يوسف الإسكندراني الفاسي (805 هـ) الوافد من فاس صغيرا (المغاربة ودورهم الثقافي 36 – 39).

إعجاب الرحالة المغاربة العابرين:

وهكذا استمرت علاقات المغاربة شعبا وعلماء وملوكا مع هذا الثغر ورجالاته وعلمائه عبر تاريخ المغرب ومصر المتميز بالتقدير والإعجاب، فنرى الزياني من الدولة العلوية خلال القرن الحادي عشر والثاني في عودته من رحلاته الطويلة يتوقف بالإسكندرية لقلة المراكب المتوجهة للمغرب بسبب الوباء الذي بإفريقيا دون أن يغفل مدح الإسكندرية بما لا يوجد في غيرها من حسن البنيان والنظام بحيث لم يشاهد في رحلته الطويلة مدينة أحسن منها كما قال (يونان لبيب رزق: تاريخ العلاقات المصرية المغربية 130)، كما سجل عبد الرحمان ابن زيدان من أعمال السلطان المولى محمد بن عبد الله هديته إلى «فقهاء الإسكندرية ومدرسيها وسائر طلبتها وطلبة القرآن والعلم»[1]، كما سجل الجبرتي بعد ذلك في خططه وتاريخه

[1] - رحلة ابن بطوطة 155 تحقيق: عبد الهادي التازي.

ما وقع للشيخ علي الميلي المغربي المقيم بالإسكندرية بسبب ما أثارته فتوى أصدرها باعتبار ذبيحة أهل الكتاب في حكم الميتة لا يجوز أكلها (نفسه 205)، ولم تنته أزمتها إلا باختفاء الشيخ عن الأنظار، كما لم يفت الجبرتي ما لاحظه من تسخير بعض الأسرى المغاربة الذين أخذوا من مالطة لمهمة التواصل مع نابليون عند نزوله إلى الإسكندرية بسبب معرفتهم للغات كما قال، كما اختار بعد ذلك علماء الأزهر وسيطا مغربيا للتفاوض مع هذا القائد نظرا إلى خبرته في اللغات (نفسه 272 – 273).

الجولة الرابعة التمهيدية:

ما بين الإسكندرية والقاهرة

(من الإسكندرية إلى القاهرة عبر النيل والقرى والكفور والمدن خلال الدلتا)

من الإسكندرية إلى القاهرة بعيون مغربية

الجولة التمهيدية: من الإسكندرية إلى القاهرة عبر النيل والقرى والكفور والمدن خلال الدلتا:

يصل المغاربة حجاجا ومعتمرين وطالبي علم وسفراء وتجارا وعساكر إلى القاهرة إذا مروا بالإسكندرية إما عن طريق فرع مدينة رشيد القريب من الإسكندرية وذلك مرورا بقرى ومدن هذا الفرع كما يشير إلى ذلك أحد أقدم الرحالة المغاربة أبو الحسين محمد بن جبير خلال القرن 6 هـ حيث يذكر أنه انفصل عن الإسكندرية في شهر أبريل خلال الربيع مارا بدمنهور الذي يصفه بأنه «بلد ميسور، في بسيط من الأرض أفيح، متصل من الإسكندرية ... وكله حرث يعمه النيل بفيضه، والقرى فيه يمينا وشمالا لا تحصر كثرة» (رحلة ابن جبير 47) ثم منه عبر النيل إلى "بصا" في مركب تعدية، ثم اتصل بهم السير إلى بُرْمَهْ وهي قرية كبيرة ذات سوق ومرافق آنذاك (47) ثم منها في اليوم الموالي وصادف عيد النحر سنة 1578 إلى "طندتة" حيث أدركوا بها صلاة العيد، وهي فسيحة آهلة خطيبها ذو لغة بليغة جامعة ومن "طندتا" ساروا إلى "سبك" وباتوا بها مجتازين إليها موضعا حسنا يعرف بـ"مليح" في عمائر متصلة وقرى منتظمة حيث بكروا يوم الأربعاء بعده إلى بقية بلدان الدلتا الغربية إلى أن وصلوا إلى "قليوب" القريب من القاهرة ذي الأسواق الجميلة والمسجد الجامع الكبير الحفيل البنيان: ثم وصلوا إلى "المنية" الحافلة بالعمران ومنها إلى القاهرة في أربعة أيام. (47)

خريطة من الإسكندرية ودمياط إلى أسوان

من الإسكندرية ودمياط إلى القاهرة في طريق الرحالة المغاربة قديما

الوجه البحري من القاهرة إلى الأبيض المتوسط

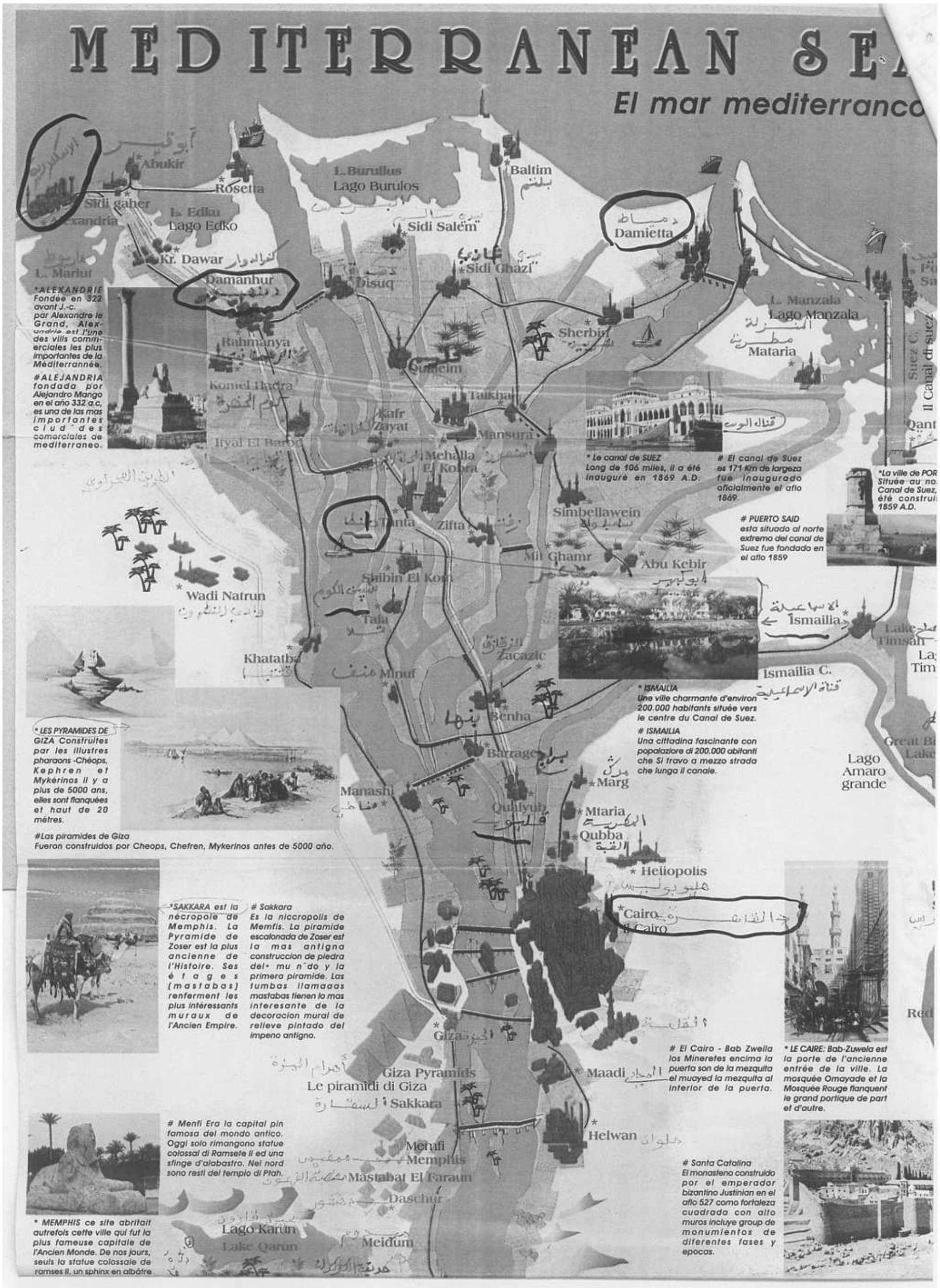

الطريق الزراعي عبر نهر الدلتا عند بنها وزفتي

أما أبو عبد الله اللواتي الطنجي (ابن بطوطة) فيظهر انه وخلال القرن الثامن الهجري لما انتقل من الإسكندرية بحرا إلى فرع دمياط من النيل شرقا قد استعمل أثناء قدومه إلى القاهرة الطريق الشرقي لفرعي الدلتا بعد أن مكث بدمياط مدة أتاحت له فرصة الاتصال برجالاتها وصلحائها وبعض قراها ومزاراتها ومنها إلى "فارسكور" جنوبا على الضفة الشرقية للوادي ومنها إلى "أشمون" الرمان أو "أشموم الرمان" على قناة النهر الصغير الرابطة للجناح الشرقي للنيل ببحيرة ""المنزلة" وكانت في هذا الوقت عاصمة لإقليم الدقهلية التي تعتبر "المنصورة" قاعدة لها، ونسبة إلى الرمان لكثرته بها ومنها يصدر إلى مصر كلها، ورأى لها ابن بطوطة قنطرة خشب ترسو المراكب عندها (تحفة النظار 200/1/ ط أكاديمية المملكة المغربية/1997. الرباط)؛ فإذا كان وقت العصر رفعت تلك الخشب وجرت المراكب صاعدة أو منحدرة؛ ثم انتقل ابن بطوطة منها إلى (سَمَنُّود) جنوب المنصورة غير بعيد عن المحلة

الكبرى، ووصفها بكثرة المراكب وجمال الأسواق، ومنها ركب النيل مصعدا ما بين مدائن وقرى منتظمة متصل بعضها ببعض إلى أن وصل إلى القاهرة (نفسه 201/1).

خالد البلوي بالبسيط المخضوضر والمشجر بالنخيل وأنواع الأزهار والألوان وقت الربيع:

أما خالد بن عيسى البلوي من أهل القرن الثامن أيضا وبين رحلته ورحلة سابقه حوالي عشر سنوات فقد اختصر الوصف وأوجز المراحل واكتفى برسم لوحة مليئة بالإعجاب بالمدائن والبساتين التي مر بها وذلك إبان الربيع أيضا مثل سالفه ابن جبير من شهر رجب سنة 737 هـ قائلا «سرنا في بسيط من الأرض عريض، لا يخترقه النسيم بمسراه - لتكاثف أشجاره ونباته فيما يظهر- ويكاد البصر يقف عند مداه» (تاج المفرق 215/1) ثم يفصل كائنات هذا البسيط العريض «بين مدائن عليها نضرة النعيم، وبساتين اعتمارها من التعميم- يقصد أنها مخدومة معمورة كلها بالزرع والأشجار - وسرحات مونقة، ودوحات مورقة - فالطريق إذن مشجرة مظللة خضراء الجنبات- ونخلات طلع، وخامات زرع، تموج بدائعها موج البحر، وتلوح طلائعها بين كتائب الزهر- فالنخل قد أخرج طلعه الأول والزرع تكاثف واستغلظ وماج تتخلله الأزهار المتنوعة- من لم ير أرض مصر في أوان ربيعها، وإبان زروعها، لم ير منظرا نظيرا» (215/1) وهكذا إلى أن دخلوا القاهرة في موكب من الربيع والاخضرار والألوان والنسيم والمياه والطيور والكائنات التي تنشد بحركاتها وطيرانها وأهازيجها سمفونية الربيع عالية شاكرة نعم المنعم الباسط الجميل البارئ المصور (قارن تاج المفرق 215/1 مع بعض الإضافات).

الطريق الصحراوي إلى القاهرة شريان ثالث سريع وجادة مأمونة:

وقد أضيف إلى هذين الطريقين الرئيسيين طرق ثالث خارج عن نطاق الدلتا محاد لها يسمى بالطريق الصحراوي خال من القرى والمدن ومختصر من حيث عدم التوقفات بمداخل المدن وأواسطها وقريب من حيث المسافة من هذين الطريقين، اللذين يعتبر الطريق الغربي منهما أكثر استقامة ويسمى بالطريق الزراعي، وقد كنا قطعناه ليلا ونحن راجعون من رحلة يوم واحد إلى الإسكندرية ولم نتمكن من التملي بهذه المناظر الخضراء الخلابة وخلال فصل الصيف أواخر يوليوز من تسعينات القرن الماضي في رحلة جماعية إلى الديار المقدسة عبر القاهرة، أما هذه السنة 2008 فقد تمتعنا بالذهاب عبر الطريق الصحراوي الذي لم يعد صحراويا بسبب العبقرية الهندسية الفلاحية المصرية التي استطاعت استزراع مختلف الأشجار وجلب الترع وحفر الآبار وتوزيع الأراضي على أعراب الصحراء قطاع الطريق الصحراوي سابقا فاستقروا وأنتجوا وباعوا وبنوا الدور وأبراج الحمام وأصبحوا يستفيدون من هذه الطريق في حمل منتوجاتهم من بطيخ وموز وعنب وخضر ومزروعات أخرى إلى القاهرة أو الإسكندرية وانقطع الأذى وهدأ الفارس المعاصر وألقى السلاح وأجم فرسه المضمر.

ابن خلدون في صورة شاملة كأنها لوحة مركبة:

ولعل أحسن من أطل على القاهرة من الأعلى وأشرف عليها إشراف النسر على الأسافل ونظر إليها نظرة شمولية كما نظر إلى التاريخ العربي والإسلامي والبربري والأممي العالم المغربي عبد الرحمان بن خلدون من القرن الثامن أيضا حيث قدم إليها من الإسكندرية في عهد بداية حكم الملك الظاهر بيرس عندما قال "وأقمت

بالإسكندرية شهرا لتهيئة أسباب الحج - ولم يقدر عامئذ - فانتقلت إلى القاهرة أول ذي القعدة – يقصد سنة 784هـ - فرأيت حاضرة الدنيا؛ وبستان العالم، ومحشر الأمم، ومدرج الذر من البشر، وإيوان الإسلام، وكرسي الملك» (تاريخ ابن خلدون 452/7) (أعادت تصويره بالأوفست الهيئة العامة لقصور الثقافة / القاهرة).

صورة أخرى مقربة:

ثم فصل النظرة الإجمالية ذاكرا ما يبدو من مؤسساتها العامة ويعلو على الساكنة فقال «تلوح القصور والأواوين في جوه، وتزهو الخوانق والمدارس والكواكب بآفاقه، وتضيء البدور والكواكب من علمائه» (452/7) دون أن ينسى ذلك الشريان الذي يضم القاهرة ويحاديها ويمدها بالحياة والماء عندما قال «قد مثل بشاطئ النيل نهر يدفع مياه السماء ويسقيه العلل والنهل سيحه – ويجبي إليهم الثمرات والخيرات ثجه» (452/1) يقصد فيضانه صيفا، ثم تعمق أكثر في أحشاء المدينة فقال واصفا وملتقطا «ومررت في سكك المدينة تغص بزحام المارة؛ وأسواقها تزخر بالنعم»(نفسه).

عيسى البلوي يرسم لوحة عن محيط القاهرة النباتي والمائي بالألوان والحركة والضوء:

وهذا المنظر الشامل نفسه نجد نظيره عند معاصره عيسى البلوي الذي لم ينس محيط القاهرة المخضوضر المسقي المتخلل بالترع والشرايين المائية حيث يصرح بأنه خرج إلى ظواهر المدينة فيقول: «وسرنا في أُقطار تلك الحضرة التي أرضها سندسية اللباس وروضها متنوع الجناس وروائحها عنبرية الأنفاس ومنظرها يجلب أنواع الإيناس ... رياضها تشرق، وأطيارها تنطق؛ وكأن بكل عود عودا يخفق»

(نفسه 216/1) - وقد لمسنا ذلك خاصة في هذه الزيارة- ثم يتعمق في داخل القاهرة وأحيائها فيقول «فرأيت فيها من المباني الهائلة، والأسواق الحافلة، والمساجد العتيقة، والمدارس الأنيقة، والمرابع البارعة، والمصانع الناصعة والأزهار والأشجار الباهرة، والآثار العامرة، والجنود الوافرة، والأمم المتكاثرة، ما تحار في ذلك الأوهام، وتكل دون وصفه الألسن والأقلام»(نفسه 216/1)، دون أن ينسى ما تمتع به في هذا الوقت من الأمن والهدوء والنهضة والمكانة الاستراتيجية والمعنوية باعتبارها عاصمة العالم العربي والإسلامي في هذا الوقت من سلطانها الملك المنصور محمد بن قلاوون سنة 736 هـ.

الجولة الأولى بالقاهرة الفسطاط

أقدم منطقة في محيط القاهرة

وأصل القاهرة الإسلامية

الجولة الأولى بالفسطاط

عمرو بن العاص يضرب فسطاطه عند حصن بابليون وعند تفرع النيل والتقاء الوجه البري بالوجه القبلي:

هذا ولعل أول مكان كانت تهفو إليه قلوب الرحالة المغاربة هو أقدم مكان بالقاهرة وأكثر أماكنها بركة وعتاقة وانجذابا؛ وأول مدينة إسلامية على الإطلاق؛ كيف لا وقد أسسه الصحابي الجليل محب مصر والإسكندرية والأقباط والتقاليد النظامية في الحكم والشورى والحكمة عمرو بن العاص، وقد أشار صاحب الروض المعطار عند حديثه عن الإسكندرية إلى ما تصادف قبل الإسلام من حضور عمرو إلى الإسكندرية في بعض أسفاره ومصادفته أحد المتوسمين بمدرجها الرياضي والاحتفالي وكيف تنبأ له بأنه ستسلم إليه فيما بعد مقاليد مصر كلها وكذلك كان؟ وفي صحيح مسلم حديث الصحابي المستورد القرشي وكان في مجلس عمرو فحدثه بحديث من أحاديث الفتن وأن الروم تغلب في آخر الساعة؟ فاستغرب عمرو وأراد التأكد من كلام الصحابي المسند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما تأكد منه أخبره عمرو بملاحظاته عن أنظمة الروم في الحكم وأن فيهم خصالا محمودة العواقب، منها أنهم أكثر الناس إفاقة بعد مصيبة وأكثرهم إتقانا لنظام الكر والفر والرجوع إلى الانتصار بعد الهزيمة وأحسنهم ليتيم ومسكين وضعيف وأمنعهم من ظلم الحكام، وقد أبى الله إلا تحقيق هذه المكرمة لعمرو في عهد الخليفة عمر رضي الله عنهما وكان على وشك أن يثنيه عن الدخول إلى مصر لولا حسن تأتي عمرو وتوسمه ما في كتاب عمر قبل أن يفض ختامه فكان ما كان من دخول مصر واختيار عمرو المنطقة المتوسطة عند انقسام النيل إلى فرعيه ليشرف منها على الوجهين: القبلي

والبحري للمنطقة. عاصمة إسلامية بعد أن كانت عاصمة للفراعنة ومن بعدهم قرونا، وذلك عند حصن بابليون في موقع يتمتع بحصانة طبيعية تحميه التلال وهضبة المقطم من الشرق والشمال ويحميه أحد فرعي النيل، ولم يبق له إلا الجهة الشمالية التي سيضطر الحكام العباسيون فيما بعد إلى التوسع إليها لإقامة مناطق عسكرية (العسكر) وإدارية (القطائع) للنخبة الحاكمة والجيش وكذلك فعل الفاطميون من بعدهم حيث أمدوا البناء شمالا لتأسيس قاهرة المعز الفاطمي.

الفسطاط جامع عمرو بن العاص

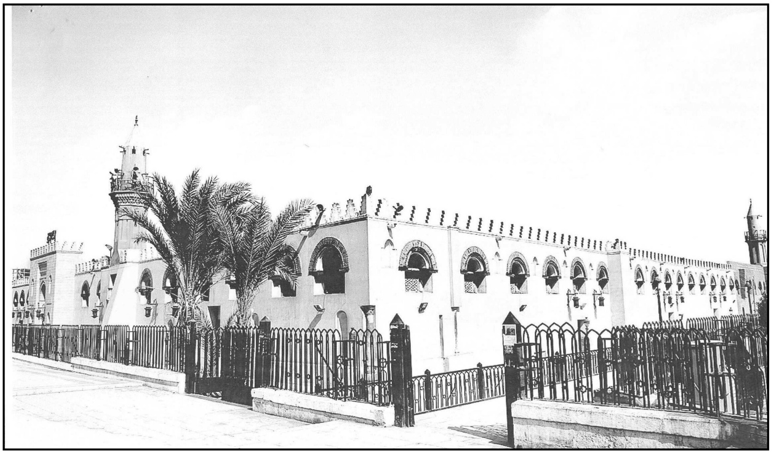

الفسطاط، الكنائس الأولى قبل الإسلام الباقية إلى اليوم

الفسطاط الحالي
«المنطقة الغربية»

إلى السيدة زينب من ميدان صلاح الدين

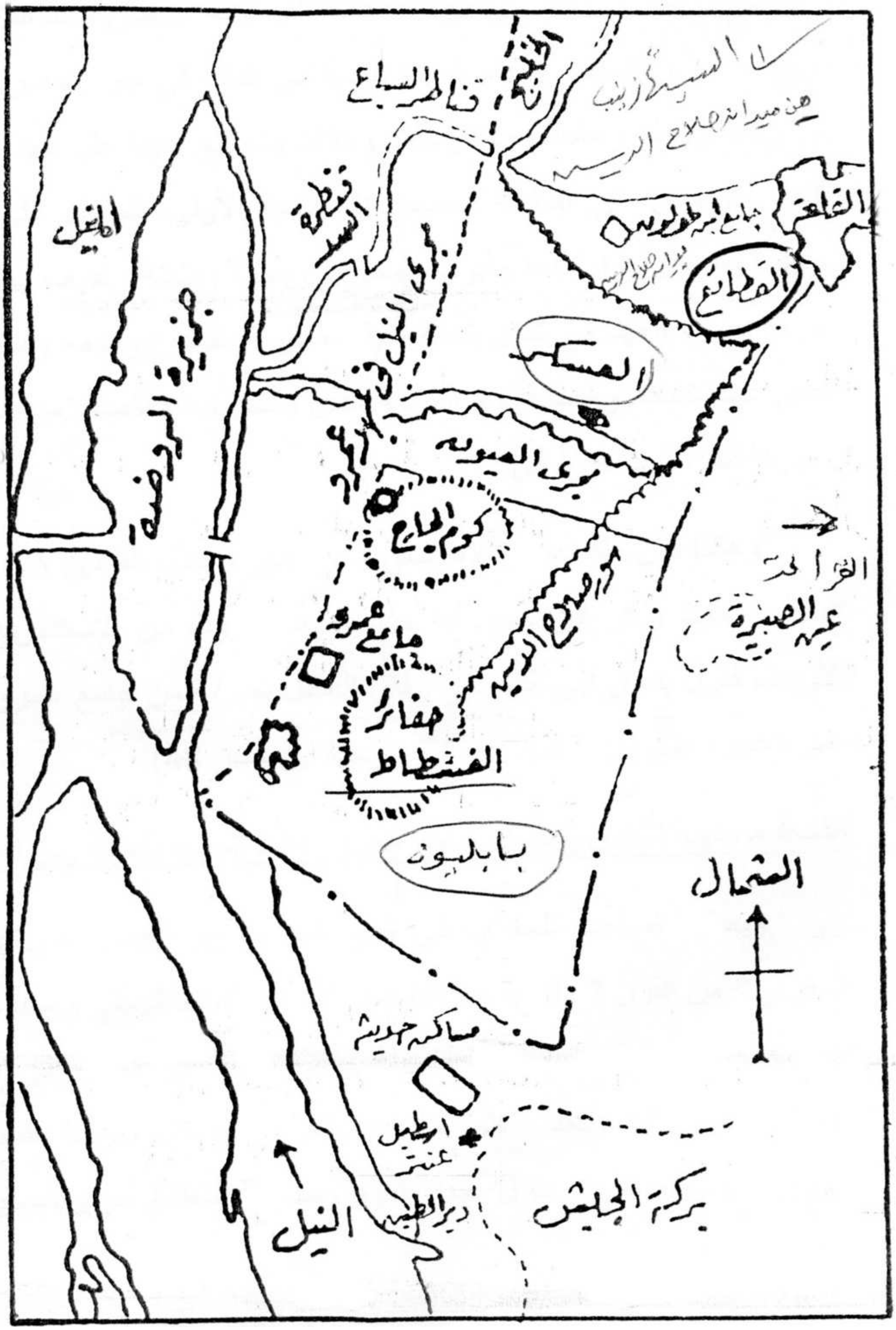

الفسطاط صورة حية للتعايش بين الديانات السماوية الثلاث:

وهكذا أسس عمرو سنة 21 هـ/642 م مدينة الفسطاط عند حصن بابليون القديم ذي الكنائس القبطية كالكنيسة المعلقة وكنيسة أبي سرجة وكنيسة الست بربارة وأبي السيفين المنتمية جميعها إلى القرن الرابع الميلادي والتي لا يزال معظمها قائم الذات إلى اليوم مما يشهد بسمو التعايش والتساكن بين الديانات التوحيدية السماوية تتناغم أبراجها مع صومعة جامع عمرو بن العاص ومقام السيدة نفيسة آتي الذكر في جو واحد رباني توحيدي متعايش لونا ولغة وأزياء وعادات وممارسات وعقائد وشرائع بعيدا عن عهد الشرك الغليظ والوثنية النجس الرجيس، في بساطة المساجد الإسلامية الأولى، ثم نال على يد الأيوبيين العناية ترخيما وأساطين وارتفاعا وأبوابا ومحرابا ومنبرا ومئذنة وعرف بعد ذلك زيادات خمسا آخرها حديث العهد في شكل تحفة فنية معمارية نظيفة وواسعة وفسيحة الجنبات تنشرح النفس عند غشيانه وخاصة يوم الجمعة الذي يغص بالقصاد من مختلف أنحاء القاهرة وغيرها نظرا للمكانة الأولى كما شاهدنا ذلك عند صلاة الجمعة فيه.

وهكذا كان منذ عصر الإدريسي وابن جبير وخلال القرنين 8/7 محطة أولى للرحالة المغاربة حيث يذكر ابن جبير أنه حل به عند وروده من الإسكندرية سنة 761 هـ يوم الأربعاء فنزل بفندق أبي الثناء في زقاق القناديل بمقربة من جامع عمرو رضي الله عنه في حجرة كبيرة على باب الفندق المذكور (رحلة ابن جبير 48).

الفسطاط مدينة تتنفس برئتين: جامع عمرو ومقام السيدة نفيسة زين العابدين:

ويعطينا صاحب "المغرب في حلى المغرب" أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي[1] من القرن 7 (610 - 685 هـ) ناقلا عن كاتم البيهقي وصفا مجملا للموقع ذاكرا أن فسطاط مصر - مبانيه قديمة متصلة بمباني مدنية عين شمس إلى الشمال - وذلك قبل الإسلام وخراب الفسطاط - فلما جاء الإسلام بقي به بناء يعرف بالقصر - يقصد قصر بابليون - وحوله مساكن فنزل عنده عمرو وضرب الفسطاط حيث المسجد الجامع المنسوب إليه، ثم قسم المنازل على القبائل وتداولت عليها بعد ذلك ولاة مصر فاتخذوها سرير السلطنة، وتضاعفت عمارتها فأقبل الناس عليها من كل جانب إلى أن رسخت بها دولة بني طولون، فبنوا بها المنازل المعروفة بالقطائع - يقصد بنوها إلى جهة الشمال كما سيأتي (نفح الطيب، أحمد المقري 237/2، تحقيق إحسان عباس دار الفكر بيروت) ويزيد صاحب وصف إفريقيا المنطقة وضوحا من خلال مشاهداته في القرن العاشر الهجري سنة 923 هـ: فيذكر أن بناءها على ضفة النيل، وليست مسورة، لكنها على شكل ربض كبير يمتد على طول النيل. وفيها عدة قصور جميلة عالية؛ لاسيما القصور الواقعة على ضفة النهر-أي النيل- وجامع عجيب هو جامع عمرو المدهش بجماله وكبره وإتقانه، وفيها كذلك ما يكفي من الصناع من مختلف الحرف(وصف إفريقيا 211) ثم يعرج على ضريح السيدة نفيسة جهة شرقي الفسطاط والجامع دون أن ينسى ما لاحظه من

---

[1] - راجع ترجمته وترجمة والده موسى وجده محمد بن سعيد المغربي في (المغرب 3/1-76-8) طبعة دار المعارف تحقيق شوقي ضيف سلسلة ذخائر العرب - 10 ط ثالثة دون تاريخ، القاهرة.

كثرة إقبال الرحالة والزوار والشعب المصري على هذه السيدة بنت زين العابدين وهو كذلك إلى اليوم نهارا وليلا لا تفتر الحركة حوله كما حدثنا بذلك، والتي غادرت الكوفة مفضلة سكنى الفسطاط بعيدا عن مشاكل الحكم والصراع السياسي حوله بالعراق، فعرف مكانتها الشعب المصري بقطع النظر عن نوعية حكامه فاطميين او غيرهم من العباسيين فمن بعدهم (نفسه 222)؛ ويصف أبو عبد الله ابن مليح من المغرب الأقصى خلال رحلته الحجازية "انس الساري والسارب من أقطار المغارب" خلال القرن الحادي هذا المشهد وهو خارج القاهرة المعزية في هذا القرن: إذ رأى فيه «مسجدا عظيم الاحتفال، فائقا في الحسن والجمال، فيه من الذهب وأنواع الصنعة ما لا يحصره الحد، ينتهي الداخل بعد ثلاثة أبواب فائقة ... بين كل باب وباب فضاء واتساع! وفي قبلة المسجد باب من الحديد - يقصد شباكا من الحديد- فوقه مكتوب بالذهب.. هذا مشهد السيدة الطاهرة نفيسة بنت الحسين بن زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ... وفي داخله - أي الشباك - مسجد صغير ... وفي قبلته باب بديع إلى قبة عجيبة تتوقد ذهبا، وتتلألأ جمالا استنارت بالمضاوي[1] أبهاؤها ... وتحت هذه القبة الضريح المبارك بساطها مرمر ... وشبابيك العود البديع التخريم مكوكبة بمسامير الفضة والذهب، ... وسرج من نضار[2] تقيد الأبصار؛ وأستار الديباج البديعة السياج؛ وعقائد من شمع قائمة على قواعد من ذهب وفضة، تبهر العيون جمالا، وتضاهي البدور كمالا» (أنس الساري والسارب 52 - 53).

[1] - المضاوي كأنها جمع مضواة للمصباح المضيء.

[2] - النضار من أسماء الذهب.

وبمقربة من هذا المشهد العظيم روضة عظيمة ... مشهد أختها السيدة[1] رقية بنت زين العابدين رضي الله عنها، وفي ترجمتها وصفها بالعلم بالحديث والتفسير سمع عليها الشافعي ولما مات أدخلت جنازته إلى دارها للصلاة وزارها العلماء وأخذوا عنها (نفسه 54/ ط فاس 1968/ المغرب) (ابن بطوطة 206/1 هامش 96).

ولعل خالدا البلوي من أهل القرن الثامن أوائله وقد زار مسجد عمرو بعد تجديد الناصر صلاح الدين له يعطينا صورة غابرة عن هذا المسجد وبهائه إذ يقول «ثم جلنا من مصر في أعظم المصر ... كنت أتردد بها إلى المسجد العتيق الحافل الذي بناه عمرو رضي الله عنه، وإليه ينسب اليوم فأراه جامعا منيرا، ومسجد كبيرا، له صحن فسيح، وسوار حافلة، ومقاصر من العود عجيبة - يقصد مقصورة السلاطين عند زيارتهم أو حضورهم للصلاة تحجبهم عن الصفوف الخلفية والجانبية على سبيل الحماية الأمنية - وتواريخ مكتوبة بالخط الحافل المذهب ... فمنها ما كان مكتوبا على المحراب إلخ»(تاج المفرق 221/1).

الفسطاط بين الجد المبالغ واللهو البريء والنكتة الشعبية الطابع:

ولا نخلي هذه الجولة من التقاط صور طريقة من هذه المدينة المباركة الشعبية الطابع والذوق العريقة القدم بالنسبة إلى امتدادات القاهرة بعدها شرقا وغربا فيما بعد، والتي رغم مرور السنوات والأعوام وكل الحوادث والإهمال لا تزال تحتفظ في عيون الرحالة المغاربة بذلك الطابع الشعبي الحرفي البسيط والعفوي

[1] - الصواب أنها السيدة نفيسة زين العابدين الشهير ضريحها ومشهدها وزيارتها وموسمها كما يستحسنه أهل مصر قرى وكفورا ومدينة وبالتبعية غيرهم من كل محب ومحبة للجناب النبوي وأبناء عترته والمدفون رأسه بالفسطاط هو والدها زين العابدين وسيأتي الحديث عنها في الجولة الثالثة.

والترابي مما يبدو من شوارعها وأسواقها ومساجدها وسلعها الرخيصة وخفة دم اهلها وتحللهم من كثير من اخلاق أهل القاهرة المعزية العاصمة الإدارية وكذا من رقابة المحتسبين والعساكر وحرصهم على تنفيذ الأوامر العرفية والتعازير تحت مراقبة العلماء بالأزهر والسلطات الفاطمية بين القصرين والأيوبية والمماليك فيما بعد انطلاقا من القلعة وما إليها.

الفسطاط بين رحابة الأسواق والمساجد وضيق الأزقة وامتلاء الدور بالساكنة:

يذكر صاحب المغرب علي موسى ابن سعيد المغربي ما لاحظه صاحب النزهة الإدريسي من تعميرها وما فيها من طيب ولذة ورحابة في محالها وأسواق عظام وإن كان فيها ضيق ومن متاجر فخام ومظهر أنيق وبساتين نضرة ومنتزهات، على أن خطط العرب النازلين بها بقيت على بساطتها مع أرض سبخة غير نقية التربة، ودور ذات طبقات متعددة وساكنين عديدين، معظمها بالطوب خالية الأسفل من السكن (ابن سعيد 338 - 339) ويعجب ابن سعيد المغربي الذي زارها خلال القرن السابع الهجري بعد انتقال العاصمة إلى القاهرة المعزية من شدة إهمال الفسطاط ومسجدها وكثرة الخراب في أبنيتها والأزبال أثناءها وغشيان الصبيان والشعبيين لمسجدها وتناولهم المآكل خلاله وكثرة الباعة للمكسرات والكعك عنده ولعب الصبيان في ساحته واتخاذه ممرا إلى غير ذلك ومع هذا كله يقول «إلا أن على الجامع المذكور من الرونق وحسن القبول وانبساط النفس ما لا تجده في جامع اشبيلية مع زخرفته والبستان الذي حوله ... ولقد تأملت ما وجدته فيه من الارتياح والأنس فعلمت أن ذلك سر مودع من وقوف الصحابة رضي الله عنهم في ساحته عند بنائه»(المغرب 341). قلت: [وكذلك الأمر في الأحياء القديمة بالقاهرة

اليوم بحركة الساكن ودعوات الصالح ونظرات المحسن وصدقات الواقف]. دون أن يغفل ما امتلأ به المسجد من حلق الإقراء والعلم الحرة الطابع كجامعة شعبية تغص بالوافدين تستقبل كل من هب ودب من مختلف الطبقات والأعمار والنساء والرجال والمرضى والزمنى مفتوحة الصدر جميلة الليل والنهار للساهرين والقائظين والمستريحين والنائمين والمقبلين على الوعظ وعلى الفقه والنحو والإقراء (نفح الطيب 341/1).

اللطف ورحابة الصدر والسماحة مخففات الضغط التساكني بين أهل الفسطاط:

ودون أن يغفل ما لاحظه في الساكنة من اللطف قائلا «ولم أر في أهل البلاد ألطف من أهل الفسطاط! حتى إنهم ألطف من أهل القاهرة! وبينهما نحو ميلين، والحال أن أهل الفسطاط في نهاية من اللطافة واللين في الكلام، وتحت ذلك من الملق وقلة المبالاة برعاية قدر الصحبة وكثرة الممازحة والألفة ما يطول ذكره» (نفح الطيب 346/7).

أما رخص أسعارها وكثرة السلع بها فيرجعه ابن سعيد إلى محط مراكب النيل المصعدة والنازلة عن نيلها ومن تجهز بعد ذلك إلى القاهرة مع وجود مطابخ السكر والصابون ومعظم المنتوجات الغليظة القالب بها يقول «والفسطاط أكثر أرزاقا وأرخص أسعارا، لقرب النيل ... والقاهرة - أي القاهرة المعزية - والقاهرة أكثر عمارة واحتراما وحشمة من الفسطاط، لأنها أجل مدارس، وأضخم خانات (أي فنادق ونزل) وأعظم ديارا لسكن الأمراء فيها، لأنها المخصوصة بالسلطنة لقرب قلعة الجبل منها ...، وبها الطراز - أي دور الثياب الرفيعة ومصانعها - وسائر الأشياء التي يتزين بها الرجال والنساء» (نفسه 347).

الفسطاط مثابة الطبقات الشعبية والزائغين عن ضوابط الأنظمة الحاكمة:

ثم أشار إلى شعبية الفسطاط صراحة وإلى قلة كلفتها إذ قال: «وهي مستحسنة للفقير الذي لا يخاف - أي فيها- طلب زكاة ولا ترسيما[1] ولا عذابا، ولا يطالب برفيق له إذا مات فيقال له: ترك عندك مالا، فربما سجن ... أو ضرب أو عصر[2]! والفقير المجرد فيها يستريح بجهة رخص الخبز وكثرته، ووجود السماع -أي الطرب - والفرج في ظواهرها ودواخلها - بسبب الحلقات وأنواع الملاهي- وقلة الاعتراض عليه فيما تذهب إليه نفسه، يحكم فيها كيف شاء! من رقص في وسط السوق أو تجريد - أي للثياب - أو سكر من حشيشة أو صحبة مردان وما أشبه ذلك بخلاف غيرها من بلاد المغرب» (نفسه 348).

بحارة مغاربة بالفسطاط:

دون أن ينسى استثناء سكانها أو الحالين بها من البحارة المغاربة المظنون فيهم الغنى بسبب التجارة ومعاناة البحر والحركة حيث يطلب غنيهم بالزكاة وفقيرهم بالمغادرة فيوقف سجينا إلى حين قدوم الأسطول فيسفر فيه (نفسه 348) ودون ان ينسى ما لاحظه من وجود مصانع الورق بها ورخص أثمانه (وكانت بعض أقدم مطابع القاهرة تتخذ الفسطاط مقرا لها لهذا السبب ولا شك).

---

(1) - الترسيم ضرب المراسيم على التجار وغيرهم وهي مؤكدة.

(2) - العصر والاستعصار كلمة مولدة في الفقه الإسلامي وتعني الأخذ بطريقة استنطاقية لاستخراج مال أو غيره من حقوق أو دعوى حقوق.

أطعمة مغربية:

هذا وقد فوجئت أثناء زيارتي سنة 2003 للفسطاط يوم الجمعة بوجود بعض الأطعمة الخاصة بالفسطاط ومنها طعام الكسكس بالحليب الساخن، وقد طلبت أكلة منه فقدم لي كسكس جيد التبخير مع قدح من الحليب الساخن وعلى الكسكس سكر مسحوق، وهو من أثر وجود المغاربة التجار والبحارة قديما بهذا الفسطاط الشعبي المفتوح المبارك ربما؟! وكان الزميل بالدروس الحسنية عبد الصبور شاهين أستاذ فقه اللغة والترجمة وعلم الأصوات والقراءات خطيبا بمسجد عمرو لفصاحته وذلاقة لسانه وسخونة الموضوعات المتناولة، وكانت خطبه تستقطب أهل القاهرة كل جمعة إلى أن وقع زلزال التسعينات من القرن الماضي فأخلي المسجد ولم يعد إليه الزميل بعد ذلك عند زيارتي سنة 2003 له وعوض بأحد دكاترة الأزهر الشريف.

الجولة الثانية بالقاهرة

(بالقرافة)

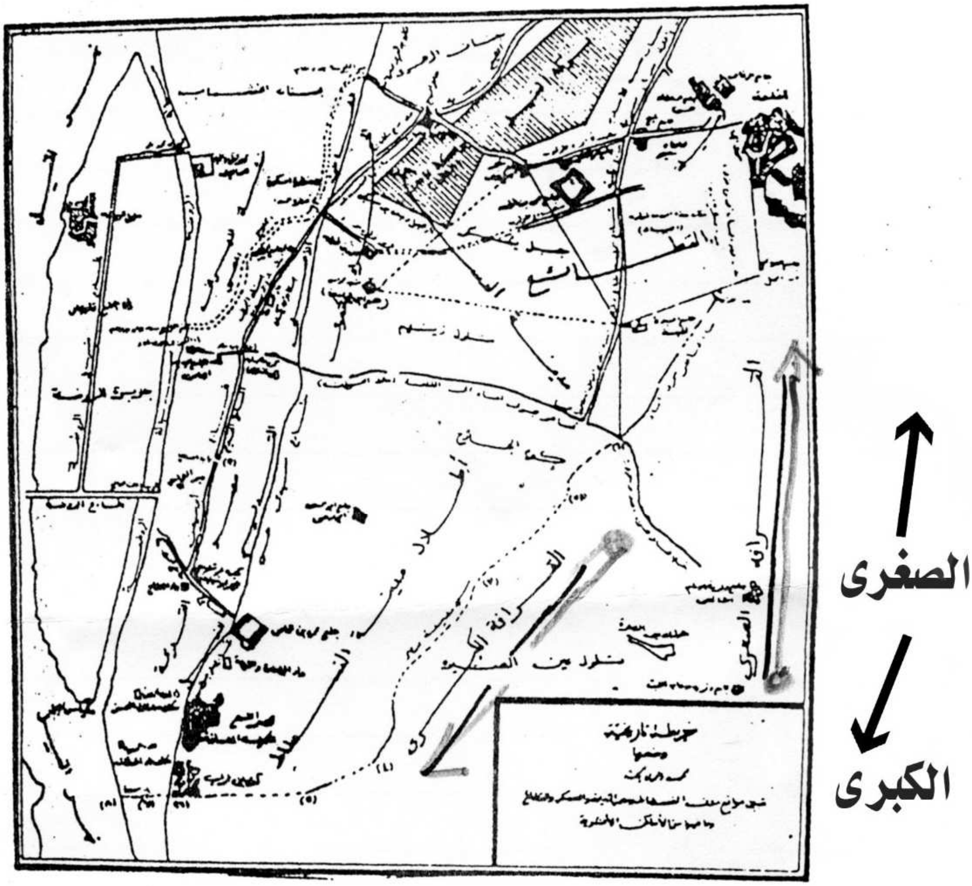

خريطة تبين موضع القرافة الكبرى والصغرى

(عن: محمد رمزي)

الجولة الثانية:

القرافة مدينة المقدسات والمقامات والفقراء والقراء والزوار عبر العصور:

هذا ولا يغادر المغاربة قديما الفسطاط إلى الجنوب للوصول إلى ميناء نويبع للركوب إلى البحر في الصعيد دون أن يزوروا مشهوري السلف والخلف وأضرحتهم ترحما وعبرة شرقي الفسطاط عند جبل المقطم عند القرافة المسماة باسم قبيلة عربية كانت مخيمة عند جبل المقطم إبان فتح مصر والفسطاط، وقد وصفها الوزان من أهل القرن العاشر أوائله فرآها على شكل ربض خارج القاهرة على مسافة رمية حجر من الجبل ونحو ميلين من أسوار القاهرة، (وصف إفريقيا 210).

أما ابن جبير من القرن السابع فقد رآها سنة 661 هـ وبات بها فوجدها عامرة بالمساجد المبنية والمشاهد المعمورة يأوي إليها الغرباء والعلماء والصلحاء والفقراء، تجرى عليها النفقات المتصلة من قبل السلطان شهريا، وعجب ابن جبير أيضا من احتوائها على مشاهد الأنبياء صلوات الله عليهم ومشهد أهل البيت رضوان الله عليهم والصحابة والتابعين والعلماء والزهاد والأولياء، قبل أن يفصل القول في القبور التي وقف عندها وهو يذكر أسماء أصحابها كما هو مكتوب عليها.

تربة الإمام الشافعي أبهى مباني القرافة:

ولا ينسى أبو عبد الله العبدري الحيحي عند مروره بالقاهرة سنة 688 هـ أن يلاحظ اشتهار تربة الإمام الشافعي بتربة القرافة لأنها «أشهر من أن تخفى .... عليها رباط كثير، ومحل أثير، وفيها جراية تزيدها اشتهارا ... وعليها قبة عجيبة مشهورة معدودة في المباني المتقنة مذكورة: ويقول: مفرطة الاتساع والارتفاع، غريبة الإحكام والإبداع، ذرعتها من داخلها فوجدت سعتها أزيد من ثلاثين ذراعا، وفيها من

العُدَدِ[1] والأسباب والآلات ما يعجز عنه الوصف» (رحلة العبدري 152)، ويضيف إلى هذه القبة الضخمة الشهيرة صاحب تحفة النظار من القرن الثامن بعده ما عرفته القرافة من القباب الحسنة وعليها الحيطان كالدور وما بها من البيوت، وما اشتملت عليه من القراء يقرؤون ليلا ونهارا بالأصوات الحسان حتى قيل فيها: من لم يزر مشهد الشافعي بمصر لا يعد من زوارها، مع زوايا ومدارس، يخرج إليها أهل القاهرة ليلة الجمعة يبيتون بها بأولادهم ونسائهم عند ترب[2] أقربائهم المحاطة بالجدران ثم يطوفون على المزارات الشهيرة، مع تزويدها بصنوف المآكل والمواد يجلبها الباعة من الأسواق وخاصة ليلة النصف من شعبان يتخلص بها أهل القاهرة من الزحمة والالتصاق بالدور والشوارع الضيقة ويرتاحون فيها ليلة الجمعة ونهارها مغيرين رتابة وروتين الحياة الصاخبة بالهدوء والجو الرباني الموحي بالآخرة وبالسلف الماضين والأعلام المتوفين وبالأصوات المذكرة بالآخرة دون أن ينسوا الدعاء والذكر والقراءة على موتاهم وذوي أرحامهم عند اجداثهم (انظر رحلة ابن بطوطة 205/1 – 206).

---

[1]- جمع عدة.

[2] - جمع تربة بمعنى مقبرة.

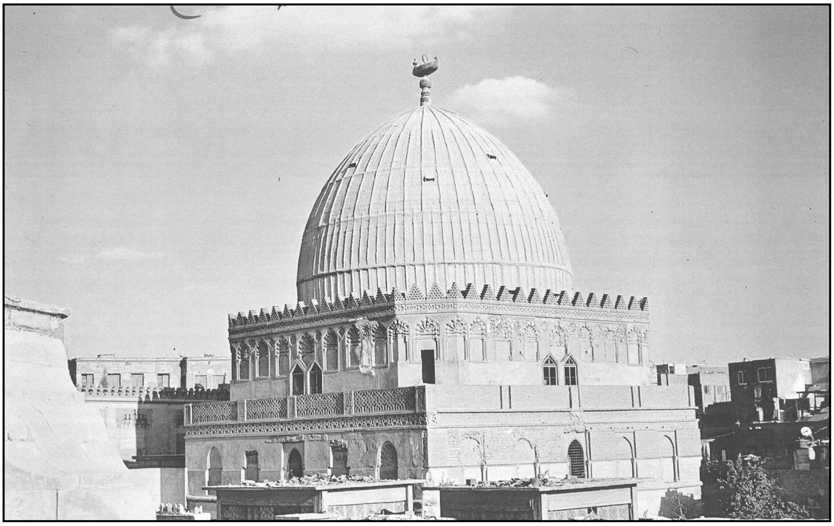

القرافة وقبة الامام الشافعي وتشجيع محبي العترة النبوية

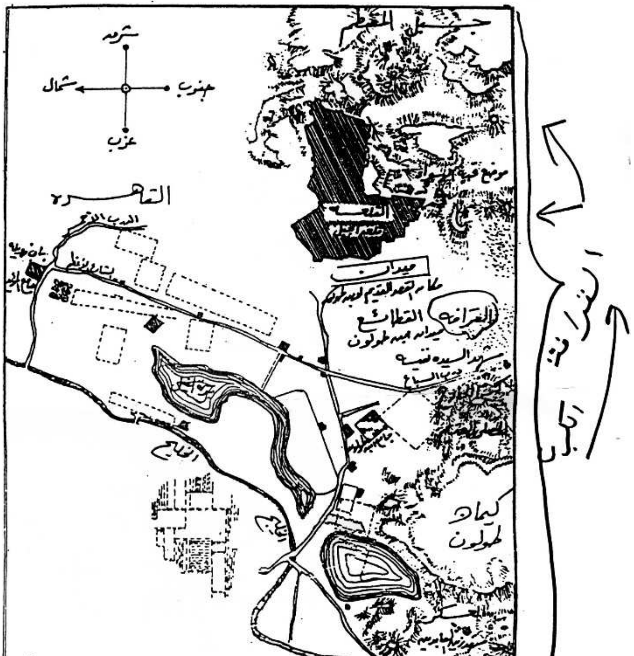

خريطة تبين امتداد القرافة الكبرى حتى الموضع الذي بنيت عليه قلعة الجبل في العصر الأيوبي.

(عن: سالمون)

القرافـــــــة حاليا

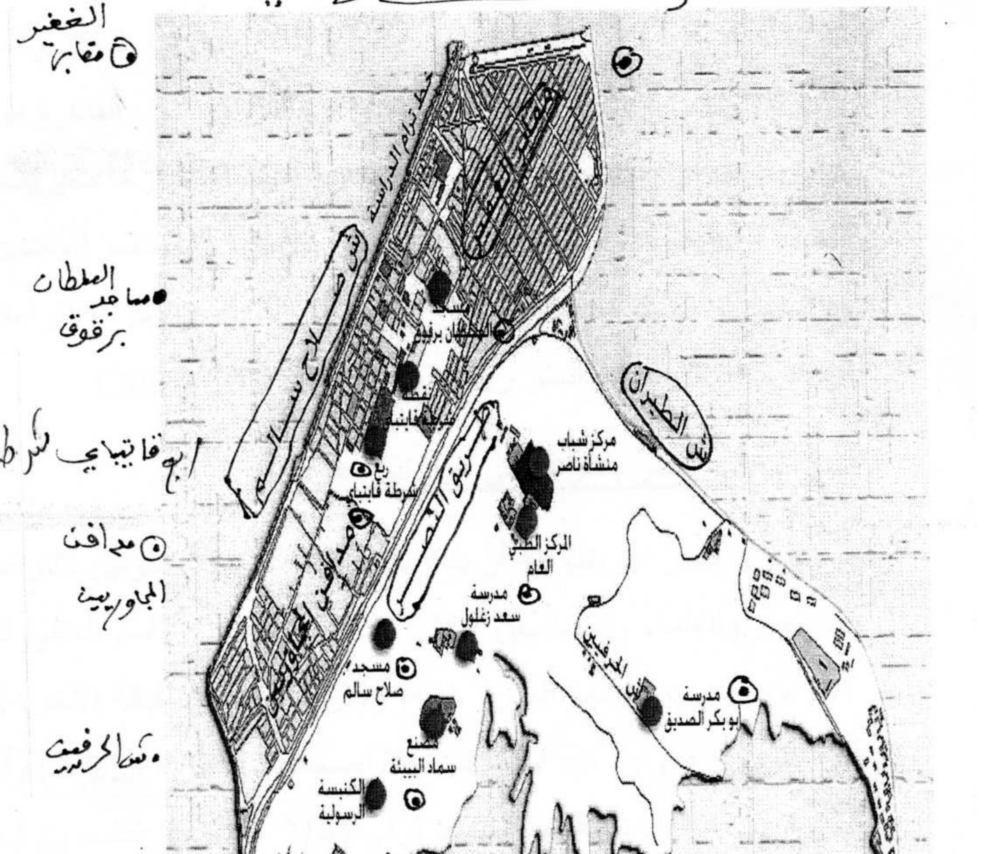

« حـــي منشأة ناصر »

« المنطقة الغربية حاليا »

أشهر مالكية مصر بالقرافة في عين ابن بطوطة:

ولا ينسى ابن بطوطة أن يذكرنا بأشهر المالكية المدفونين بالقرافة إلى جانب الصحابة والتابعين والعلماء والصالحين أمثال عبد الرحمان بن القاسم العتقي تلميذ الإمام مالك (ت 191 هـ) وأشهب بن عبد العزيز خلفه، وكان قبر أحدهما قبالة الآخر، وأصبغ بن الفرج من أهل القرن 3 هـ وابن عبد الحكم من جلة أصحاب مالك (ت 225 هـ) وابن عبد الحكم هذا هو الذي انتهت إليه الرئاسة بعد أشهب توفي (214 هـ) وأبي القاسم بن شعبان وأبي محمد عبد الوهاب القاضي البغدادي صاحب التصانيف المالكية الشهيرة الناصعة الديباجة كالمعونة والتلقين والفروق (ابن بطوطة 206/1 – 207) وقد نص بعد ذلك صاحب أنس الساري والسارب من أهل القرن الحادي على تسمية التربة المدفون فيها السادة أتباع مالك المذكورين "بروضة المغاربة" عند زيارته لها، دون أن ينسى التذكير ببعض مقابر الأعلام من غيرهم كابن عطاء الله السكندري وأبي العباس القرافي وابن جزي الكلبي وأبي العباس الصدفي وابن الفارض وعيسى بن مخلوف المغيلي والحسين بن فيره الصدفي، وغيرهم كثير (أنس الساري 58 – 60).

العبدري يتحسر على إهمال أجداث العلماء المالكية بالقرافة:

هذا وقد بقيت في نفس صاحب الرحلة العبدرية غصة من أثر الإهمال الذي أصاب مشاهير المذهب لصالح شهرة الشوافع وقبة الإمام المطلبي ما أرجع الأمر فيه إلى أن أم الملك الكامل لما دفنت بروضة الشافعي رحمه الله نالت بسبب هذا مزيد العناية والاهتمام المتواصل مع ما للشافعي من نسبة إلى أهل البيت زادته شهرة على شهرة الفقه مما اعتدنا العثور عليه تحت قلم العبدري اللاذع رحمه الله[1].

---

[1] - قام الزميل أحمد شوقي بنبين بفرض الكفاية في هذا الأمر فزار مقابر السادة المالكية المهملة ووقف على أماكنها ففتش عنها وكتب في ذلك بحثا لطيفا وقد زودته منذ سنوات بمؤلف عن مقابر القرافة مفصل المواقع في جزئه الأول الذي صدر آنذاك.

مدينة الخانقاهات والربط والمدارس والقباب:

هذا وعرفت القرافة في عصر المماليك امتدادا إلى الشرق والشمال لتضم بهما فضاء ممتدا من قلعة الجبل إلى العباسية شمالا؛ كما عرفت مطلع القرن التاسع الهجري حركة من العمران حيث اكتظت بالمباني وعلى رأسها مجموعة من القباب وبعض الخانقاوات والأرباع[1] المملوكية تميزت بطابع معماري، ولعل من أشهرها طابعا وإتقانا خانقاه وقبة فرج بن برقوق في الجزء البحري من قرافة المماليك شمالا بجوار قبة يونس أو أنس الدودار بالقرب منها جنوبا قبة الأشرف برسباي ومدرسة الأمير قرقماس أتابك العسكري ثم جنوبا يمر الزائر على ربع وقف السلطان الأشرف أبي النصر قايتباي وبعده جنوبا مجمع مدرسة وقبة وسبيل وكتاب السلطان الأشرف المذكور، وهي مجموعة معمارية اشتملت على جميع المميزات المعمارية في دولة المماليك الجراكسة يدخل إليها الزائر من خلال شارع صلاح سالم على يمين القادم من الشمال وكانت من قبل خلال القرن الثامن الهجري ميدانا فسيحا للعب الكرة.

وتقوم هذه المؤسسات آنذاك بعدة وظائف هامة كتدريس المذاهب الأربعة والصلاة والمدافن السلطانية والخانقات للانقطاع للعبادة تنافس السلاطين الجراكسة على إتقان بنائها بالحجارة المجلوبة لا تزال جوانب منها قائمة الذات رغم الإهمال، وكنا في رحلاتنا خلال القاهرة قاصدين قلعة محمد علي جنوبا نمر بالقرافة جيئة وذهابا على يسارنا إلى القلعة، وهي اليوم تحتل شمالي العاصمة من باب الفتوح والنصر إلى قبور الخلفاء في موازاة الجامع الأزهر شرقا عبر باب "البرقية" إلى باب "المحروق" مرورا بالقطائع والعسكر الاوسط وصولا إلى القلعة وما وراءها جنوبا

---

[1] - جمع ربع وهو المسافة ذات الأصل المزروع تتخذ للعمران توسعة ثم أصبحت مصطلحا عمرانيا

حيث القرافة الموازية للفسطاط وفيها قبور المماليك أيضا، وحدثني غير مرة الزميل الدكتور شوقي بنبين مدير المكتبة الملكية بوقوفه على كثير من مشاهد قبور المالكية بواسطة أحد الزملاء من أساتذة جامعة القاهرة والمختصين في محاولات وزيارات عدة من اجل توسم قبورهم المكتنفة بالإهمال في كثير من الأحيان.

القرافة متنفس أهل القاهرة ليلة الخميس وصبيحة الجمعة ومتنزه ومرحمة للسلف:

ونظرا إلى هذه الامتدادات من الجنوب إلى الشمال على جبل المقطم والقلعة اتخذ أهل القاهرة عبر تاريخ الخلفاء أمويين وعباسيين وفاطميين ومماليك إلى اليوم هذه المشاهد مدافن ومزارات ومتنفسا أسبوعيا، وملجأ للفقراء والصوفية والمرابطين والمنقطعين والسابلة والمجاذيب والراغبين في التخلص من ضغوط القاهرة وشدة وطء الأنظمة عبر العصور في إيقاع يومي وأسبوعي وسنوي يفيض بمن تخلص من جاذبية حارات وأسواق وشوارع وعلاقات القاهرة، لينفس عن نفسه في معايشة لأرواح الأجيال منذ عصر الصحابة ومن بعدهم، فلا غرابة أن نسمع بـ "سكان القبور" اليوم إذا تصورنا هذه العمائر والبيوت والشوارع والأزقة والمؤسسات في حركة حية فقدت اليوم فيما يتراءى للمار كثيرا من زخمها وإقبال الناس عليها نظرا إلى ما أصبحت القاهرة عليه من صعوبة المواصلات وتعقد العلاقات وجاذبية النهر والحدائق والمتنزهات القريبة نسبيا من الساكنة لا يتذكر بسببه القرافة بعضهم إلا عند الاضطرار إلى توديع فرد عزيز إلى مثواه الأخير، رحم الله أهل هذه الدار المومنين وإنا إن شاء الله بهم لاحقون، اللهم اغفر لأهل القرافة ولكافة موتى المسلمين آمين.

سلسلة

الجبانات

في العمارة الإسلامية

(قرافة القاهرة)

من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر المملوكي

وبعض أشهر من دفن فيها من العلماء والصحابة

والمتصوفة والفقهاء عبر العصور

مواقع للبحث والتوقف والزيارة (في القرافة)

1- موقع دفن عبد الرحمان بن القاسم (ت 191) السادة المالكية الكبرى. (في القبة).

2- موقع دفن أشهب بن عبد العزيز القيسي (ت 204) السادة المالكية الكبرى.

3- موقع دفن أصبع بن الفرج (ت 225) السادة المالكية.

4- موقع دفن ابن عبد الحكم (ت 257).

5- موقع دفن ابن الفارض في صفح جبل المقطم.

6- موقع دفن ذو النون المصري في سفح جبل المقطم.

7- موقع دفن عمرو بن العاص في قبر واحد هو والصحابي معبد الجهني وبإزائهما قبة فيها ذو النون الحصري في سفح جبل المقطم.

8- موقع دفن الإمام ورش المدني.

9- موقع دفن الإمام القرافي.

10- موقع دفن العز بن السلام: منطقة البساتين.

11- موقع دفن ابن عطاء الله السكندري، القرافة الكبرى.

12- موقع دفن الليث بن سعد في القرافة الصغرى.

13- موقع دفن السيدة نفيسة بنت زيد معروف (قبة كبيرة بقبة العباسيين 660 – 723).

14- موقع دفن علي بن الحسن بن طباطبا ذي السبع القباب في سفح جبل المقطم.

15- موقع دفن مدافن آل محمد على المذهبة القباب السبع بالنمط الأوربي.

16- موقع دفن دراسة الجبل بن زنيم نقل قبره إلى القرافة من الشام.

17- موقع دفن الشيخ خليل بن إسحاق الجندي (747 هـ).

18- موقع قرافة السيوطي.

19- موقع دفن قرافة الشاطبي.

20- موقع دفن تقسيمات (أسماء القرافة جنوبي القلعة ص 374 والقرافة أكثر).

21- موقع دفن قرافة التونسي.

22- موقع دفن مدائن المتصوفة في صحراء المماليك ص 376.

23- موقع دفن أبو القاسم ابن الثعبان.

24- موقع دفن القاضي عبد الوهاب بجي معروف.

25- موقع دفن سليم البشري شيخ الأزهر في القرافة أمام السادة المالكية.

26- الليث بن سعد في القرافة

الجولة الثالثة: بالقطائع

(من السيدة زينب إلى جامع ابن طولون

وصورة مصغرة عن بغداد الزوراء)

الجولة الثالثة: بالقطائع (من السيدة زينب إلى جامع ابن طولون وصورة مصغرة عن بغداد الزوراء):

هذا، وقد امتدت القاهرة من الفسطاط إلى الشمال فيما سمي بالمعسكر والقطائع قبل بناء القاهرة المعزية الفاطمية من قبل القائد جوهر الصقلي، وهي التي يتحدث عنها الوصاف المغربي الإفريقي الحسن الوزان في موسوعته فيذكر أن هذا الربض - في عهده خلال القرن العاشر - بناه قبل أن تبنى القاهرة- يقصد قاهرة المعز - المدعو ابن طولون، وهو مولى لأحد خلفاء بغداد ونائبه بمصر، كان حكيما حذرا، ترك المدينة القديمة – يقصد الفسطاط وامتدادها الأول- وأقام في هذا الربض شرقيها، وبنى فيه قصرا فخما عظيما، وجامعا لا يقل عنه فخامة (وصف إفريقيا 207 – 208)، ويحدثنا تاريخ العمارة بمصر أن ابن طولون وقبل أن ينتقل إلى هذه المنطقة ليؤسس بها مدينة القطائع الشبيهة بالزوراء بغداد في هندستها وتقسيماتها كان قد اتخذ مدينة "العسكر" شمالي الفسطاط التي أسسها أبوعون منذ سنة 135 هـ شمالي الفسطاط كوال للعباسيين بها مركزا للإدارة والشرطة، فلما ضاقت بعسكر ابن طولون وجنوده أسس سنة 265 هـ مدينة "القطائع" لتصبح ثالثة العواصم الإسلامية المصرية بعد الفسطاط والعسكر فدخلت إحداهما في الأخرى وتوسع ابن طولون في هندسة المدينتين موسطا قصره نواة ومحولا السهل الواقع بين قصره والجبل إلى ميدان كبير جنوبا لتعرف هذه المدينة تطورا في المؤسسات الإدارية والدينية والعلمية عبر التاريخ انطلاقا من ميدان السيدة زينب شمالا إلى ميدان صلاح الدين جنوبا عبر شارع الصليبة الطويل المحتوي على الخانقاه الجاولية ومدرسة صرغتمش فجامع ابن طولون الفخم المركب من عدة مؤسسات أصبح بها أكبر مساجد بمصر وثالث مسجد جامع بعد مسجد الفسطاط وجامع العسكر، مع امتياز جامع ابن طولون بالنمط الحجازي والعراقي حيث اقتبس من المسجد النبوي الصحن

الواسع الكبير والأروقة ذات العقود ومن مساجد سامراء مئذنته الملتوية الحلزونية المميزة، كما قامت مدينته باعتباره منتميا إلى سامراء على محيط دائري في قطائع بمسجد جامع وقصر للإمارة والأسواق المحيطة بهما متخصصة تجاريا، وكذلك بالساكنة والجيش والإداريين مع ميدان شرقي المدينة عند سفوح المقطم لركوب الخيل والسباق والاستعراض الاسبوعي لا يدانيه في ذلك إلا الاستعراض الجمعي بسامراء، بحضور الخليفة نفسه، وقد استطاع خمارويه ولده أن يتخذ من جيشه أفرادا أشداء طوالا ضخاما مع قوة من الزنوج ضاربة ذوي عمامات سود ودروع حديدية عليها قمصان سود أيضا يضاف إلى ذلك حديقة صناعية بأشجار مفضضة ومذهبة ونباتات زكية وأشجار نادرة وحديقة حيوانات بها الخيول المنتقاة والجمال والنمور والفهود والأفيال والزرافات والسباع المدجنة مع مجلس باذخ سمي ببيت الذهب ذي صور حائطية من خشب بارز على صورة هذا المجلس.

ابن جبير يعجب بجامع ابن طولون وتحوله إلى مأوى للمغاربة المتعبدين والمنقطعين بعد الفسطاط:

وقد وجد الرحالة المغاربة والتجار في هذه المدينة الجديدة ومسجدها الفخم المأوى والملاذ، ويحدثنا ابن جبير سنة 661 هـ، عنه فيصفه بالجامع العتيق الأنيق الصنعة الواسع البنيان، جعله السلطان -آنذاك- مأوى للغرباء من المغاربة يسكنونه ويحلقون فيه، وأجرى عليهم الأرزاق في كل شهر، (رحلة ابن جبير 52)، ثم يضيف ما حدثه به أحد المغاربة المتخصصين بهذا المسجد من أن السلطان - آنذاك- جعل أحكامهم - أي المغاربة- إليهم، ولم يجعل يدا لأحد عليهم، فقدموا من أنفسهم حاكما يمتثلون أمره، ويتحاكمون في طوارئ أمورهم عنده، فاستصحبوا - بسبب هذا التحكم - الدعة والعافية، وتفرغوا لعبادة ربهم، ووجدوا من فضل السلطان أفضل معين على الخير الذي هم بسبيله.

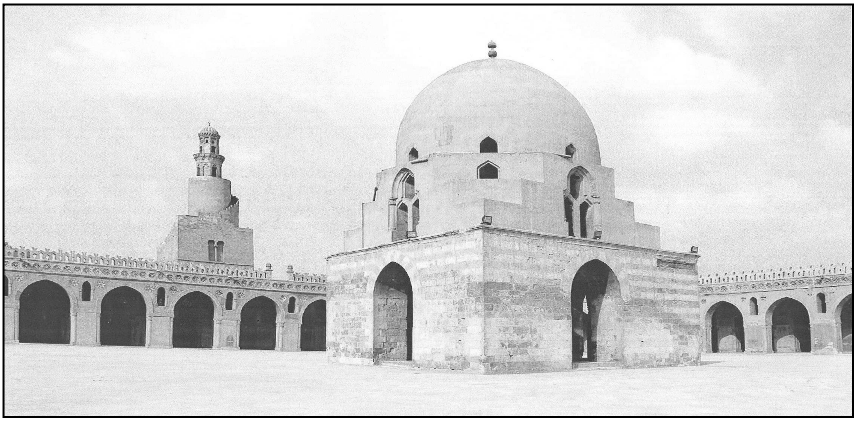

ربض ابن طولون: جامع ابن طولون والمئذنة الحلزونية وقبة الوضوء

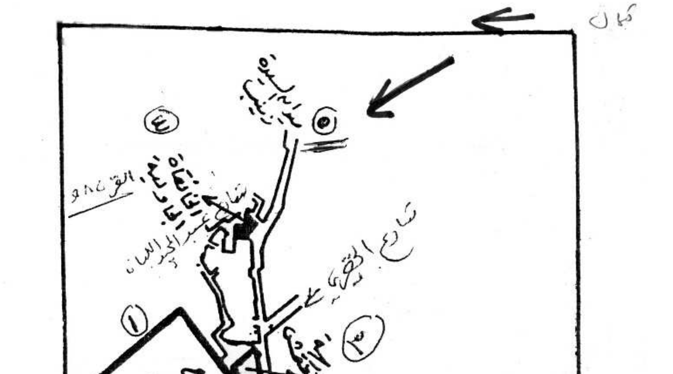

ميدان السيدة إلى صلاح الدين عبر شارع الصليبة

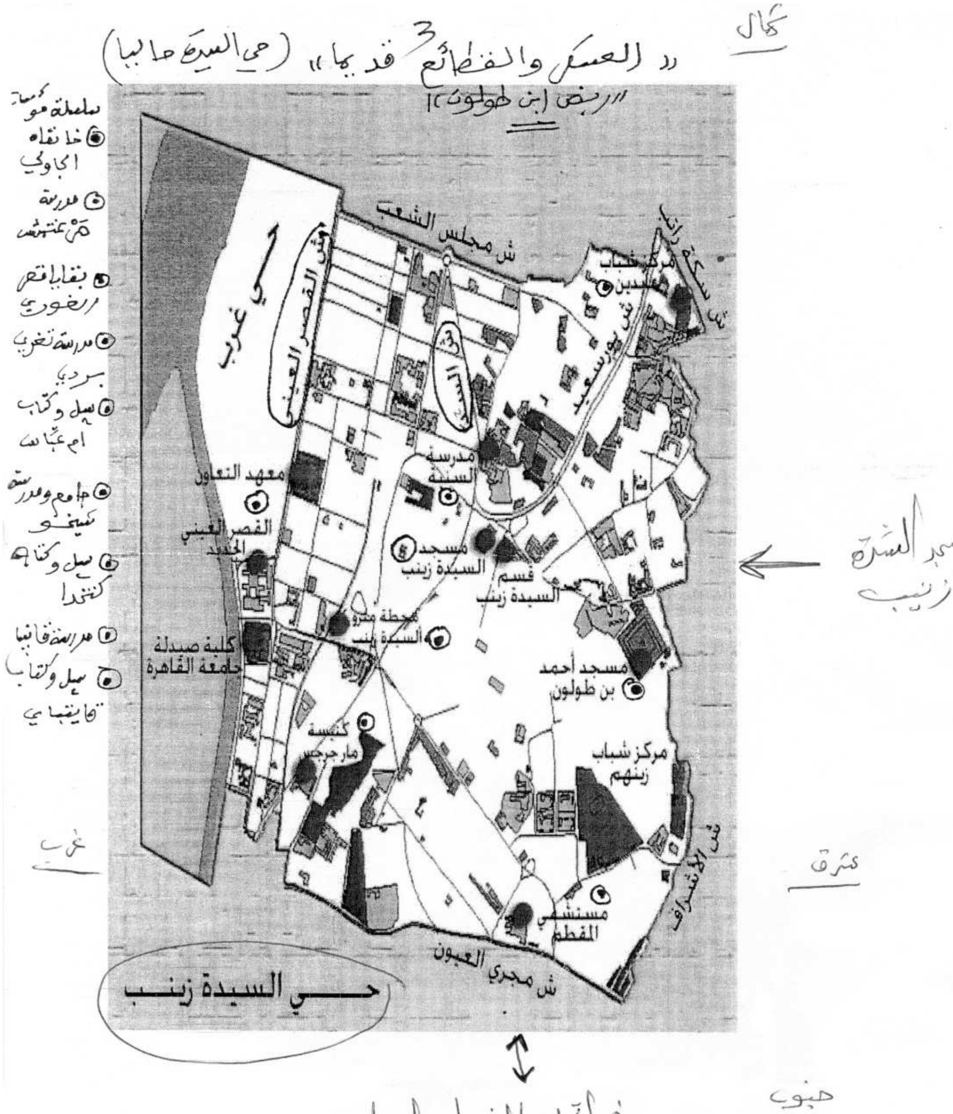
شمال
"العسكر والقطائع قديما" (حي السيدة حاليا)
"ربض ابن طولون"
ش مجلس الشعب
ش بورسعيد
مدرسة السنية
معهد التعاون
القصر العيني الجديد
مسجد السيدة زينب
قسم السيدة زينب
محطة مترو السيدة زينب
كلية صيدلة جامعة القاهرة
مسجد أحمد بن طولون
كنيسة مارجرجس
مركز شباب زينهم
ش الأشراف
ش مجري العيون
حي السيدة زينب
غرب
شرق
جنوب
في اتجاه الفسطاط

جاذبية ربض ابن طولون للمغاربة عند الحسن الوزان:

أما صاحب وصف إفريقيا من اهل القرن العاشر فيحدث خلال سنة 923هـ عن "هذا الربض" وأن به عددا كثيرا من الصناع والتجار، لاسيما من بلاد "البربر"(نفسه 208) فأفاد بذلك استمرار هذه العادة الحسنة من تعلق المغاربة بعد الفسطاط بالقطائع عامة وبمسجد ابن طولون خاصة، ولا غرابة فقد اعتبرت امتدادا للفسطاط قبل بناء القاهرة المعزية فأصابها من اخلاق وعادات وطبائع الفسطاط وحركتها التجارية ورخص أسعارها وخفة طبائع أهلها ما أصاب الفسطاط رغم اتخاذها عاصمة إدارية وسياسية وعسكرية، وانتقل إلى أسواقها المهندسة وإلى مسجدها الفخم الضخم ذي المرافق المتعددة جزء من نشاط جامع عمرو العتيق في اتصال يومي بين الجنوب والشمال وبين الفسطاط والقطائع في إطلالة مستطيلة على النيل: المرفأ التجاري والمنتزه في الليالي والمصايف والجزيرة جزيرة الروضة والمقاس الخاص بمنسوب النيل والمنتزه الأخضر من خلال أشجار ومنتوجات الجزيرة التي اكتنفها النيل من جهاتها.

تفضيل عامة المغاربة وعمالهم وحجاجهم ربض ابن طولون على القاهرة المعزية:

ويظهر من خلال مشاهدات الرحالة الآتين من المغرب في العصر المملوكي وخلال القرن الحادي عشر الهجري أن المغاربة وخاصة العامة والعمال والحجاج منهم لا يزالون رغم قيام القاهرة المعزية والأزهر والأسواق المحيطة به متعلقين بهذه الناحية وبهذا المسجد وبحلقات الفرجة وأسواق الدواب بالقطائع، فإذا كان التجار قد استقروا بالوكالات على جنبات الأزهر والطلاب والعلماء قد التصقوا بالأزهر

والحسين فإن الغالبية العظمى من الحجاج يقصدون ابن طولون يبحثون عن سكن فيها وذلك في نظر صاحب "ماء الموائد" العياشي من أهل القرن الحادي عشر هجرية لقربه من "الرملة" محل سوق الدواب وما يحتاج إليه من أمور السفر وكذلك لوجود زيادات كبيرة ومرافق بخارج مسجد طولون كان حجاج المغاربة ينزلون فيها بإبلهم وأخبيتهم أيام الإقامة - وكان ذلك يصادف شهر رمضان غالبا وقبل الحاج - وكان في ذلك رفق بالضعيف الذي لا يقدر على كراء المنازل(تاريخ العلاقات المصرية المغربية 53).

وعن بعض مرغبات سكنى طولون خلال القرن 16هـ يحدثنا الزياني صاحب الترجمانة الكبرى عن الفضاء الواسع خارج قلعة الجبل بطولون "فيه تباع الإبل والخيل وسائر الدواب، وبه يوجد غالب ما يحتاجه الحاج من الأثاث والأمتعة وتنصب فيه أيام الموسم أرحية متعددة لتدشيش[1] الفول يديرها الرجال بأيديهم مع كبرها، وقد أعطوا قوة على ذلك، يطحن الرجلان أرادب متعددة في يوم واحد، فتكون "بالرميلة" صبر - جمع صبرة = الكومة العظيمة - من الفول المدشش، كل جرة تزيد عن المئة إردب[2]، ومن هناك يكيل غالب الحجاج فولهم ويعمرونه هناك في غرائرهم[3] (نفسه 61).

من جواذب ربض ابن طولون للطبقات الشعبية عامة وللمغاربة منهم خاصة:

كما لا ينسى الرحالة الزياني خلال القرن 12 الهجري أن يلاحظ مصدرا آخر لجاذبية ابن طولون من تجمعات تتكون حول من يقومون بالألعاب البهلوانية

[1] - أصل التدشيش التجشيش فقلبت الجيم شينا.

[2] - الإردب: مكيال إسلامي استعمل أولا في مصر في الوزن والكيل أثناء العصور الإسلامية.

[3] - الغرائر جمع غرارة: وهي عينة من عينتي الجمل أو غيرها تحملان على متن الحيوان مشتركي الاتصال.

"يلعبون هناك في سائر الأيام كأنواع المشعوذين وأصحاب القرود ومن ضاهاهم من أصحاب اللعب بأنواع الحيوان كالدب والحمير والتيوس والكلاب (نفسه 61) .

سلسلة من المؤسسات العلمية والدينية والخيرية عبر العصور المملوكية:

فإذا ضيف إلى هذا كله ما اشتملت عليه مدينة القطائع الطولونية من مؤسسات دينية وإحسانية وعلمية وسبل للماء ومرافق على جنبات هذه المؤسسات وأسواق ومشاهد مرتفعة وميادين كان للزائر والحاج والتاجر والبحار المغربي في ذلك كله غنية ومغنى وطلبة ومبغى، وهو ينتقل من الشمال إلى الجنوب انطلاقا من ميدان السيدة زينب مارا بخانقاه سنجر الجاولي المشيدة منذ القرن الثامن الهجري ذات الطابع الخاص بالزوايا والقبتين المتفاوتتي الارتفاع وذات المئذنة الشبيهة بالمبخرة والتي تضم مدافن مؤسسيها وتضم أقدم قبة حجرية باقية بالقاهرة لينتقل بعد ذلك إلى مدرسة الأمير صرغتمش قريبا من جامع ابن طولون وفي شارع الخضيري حاليا ملاصقة للواجهة الغربية للجامع وتنتمي أيضا إلى القرن الثامن المملوكي الطابع وتخصصت في تدريس فقه السادة الحنفية والحديث آنذاك وبها قبة باقية فوق المحراب تعتبر أول قبة باقية من نوعها وذات مئذنة رشيقة من الحجر ذي الألوان مما امتازت به، وبعد ان يجتاز الزائر المسجد الطولوني إلى الجنوب يجد بقايا قصر الغوري المنتمي إلى القرن العاشر ذي الحجارة الملونة المزخرفة بالأحمر والأصفر، وبعده يمر على مدرسة "تغري بردي" المنتمية إلى القرن التاسع المملوكي أيضا وكان يوسف بن تغري بردي هنا محبا للعلم والعلماء ودروس الفقه والنحو والصرف فبرع هو أيضا فيها وكتب عن عصره تاريخه وسماه "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" وهو الذي ابتنى هذه المؤسسة ووقف كتبه عليها ثم

دفن بتربتها في القبة، وبها أيضا سبيل مائي وفوقه كتاب، وبمحاذاة هذه المدرسة سبيل وكتاب أم عباس من الأسرة العلوية خلال القرن 13هـ إبان عصر محمد علي على الطراز العثماني الممتاز بالتخطيط المثمن وأسلوب التغشية للجدران بالرخام المحفور بالزخارف النباتية بالروكوكو الأوروبي مع استخدام اللغة التركية في كتابة النصوص التأسيسية (الدليل الموجز لأهم الآثار الإسلامية والقبطية في القاهرة؛ تحقيق أبو أحمد محمد فرغلي 154-108، الدار المصرية اللبنانية القاهرة ط 4 سنة 2002).

وبعد هذا السبيل والكتاب يجد الزائر على يساره جامع ومدرسة الأمير شيخو من القرن الثامن الهجري ومدفنه أيضا، وبمسجدها دكة المبلِّغ المسماة المُكَبِّرية من الحجر محمولة على أعمدة يصعد عليها عن طريق سلم حلزوني تشبه الدكة الموجودة بالمسجد النبوي وعليها منقوش آيات من سورة الفتح، ويرى المرحوم حسن حسني عبد الوهاب أنها أول دكة حجرية، إذ المألوف أن تكون رخامية أو خشبية عادة، كما يوجد به منبر حجري ذو زخارف هو الثاني من نوعه بعد منبر السلطان قايتباي لخانفاه فرج بن برقوق سنة 888هـ؛ ولهذا الجامع ومدرسته الشيخونية أهمية تاريخية، فبه كان الجلال السيوطي رحمه الله قد ألقى أول درس له صغيرا بحضور أساتذته، وكان أحد السلاطين طومان باي آخر سلطان من أسرة المماليك الجاولية قد اختفى به وقت هروبه من السلطان العثماني سليم الأول خلال القرن العاشر الهجري وتسبب ذلك في إحراق القبة التي تعلو المحراب وسقف إيوان القبلة معها، وقد نالها شيء من الإصلاح أواسط القرن الماضي، أما خانقاه الأمير شيخو وهي في مواجهة مسجده هذا فقد خصصها للصوفية الذين كانوا بالمسجد فزاد من عددهم وأعد لهم بها مساكن، وجعلها دار حديث ومدرسة

للمذاهب الأربعة أيضا (المرجع نفسه 109 - 114)؛ وبشرقي الجامع الشيخوي سبيل وكتاب عبد الله كتخذا على اليمين من مباني القرن (16هـ) من الطراز التركي العثماني، وعلى هذا السبيل المائي شباك تغشيه مصبعات حديدية يعلوه عتب وعقد عائق بينهما نفيس تغشيه بلاطات خزفية من القاشاني بزخارف نباتية ذات زهور من السوسن واللاله (شقائق النعمان) وأوراق الساز[1] والسحب الصينية (تشى). (نفسه 116).

وبإزائه تقريبا مدرسة قانباي المحمدي من القرن التاسع هـ بقي منها أجزاء، أهمها الواجهة الرئيسية تطل على شارع الصليبة، وفي نهاية شارع الصليبة سبيل وكتاب "قايتباي" بالقرب من ميدان صلاح الدين بالقلعة، وهو ذو أربع واجهات أصلا من منشآت القرن التاسع الهجري، وهو الأول من نوعه في عصر المماليك الجراكسة بمصر دون ان يكون ملحقا بمدرسة أو مسجد كما هو المعتاد! وهو ذو ثراء في الزخارف الحجرية والرخامية على جدرانه وهي نباتات مورقة وزخارف هندسية ودوائر كتب عليها اسم السلطان في ثلاثة أشرطة أفقية (نفسه 117 - 118).

---

[1] - الساز/ وأوراق الساز: تشكيلة كثيفة من أوراق الأزهار على القاشاني الفارسي والتركي وتكون أيضا على العود والأوتار منه خاصة (ويكيبيديا)

سلسلة من المؤسسات العلمية والدينية والخيرية عبر العصور المملوكية

خريطة تبين الامتداد الشمالي الشرقي لمدينة القاهرة في العصر المملوكي، وتبين أيضًا بعض منشآت قرافة صحراء المماليك ومصطبة المطعم بالريدانية والطريق إلى بركة الحاج.

(عن دوريس أبو سيف)

ابن بطوطة يعجب بمؤسسة خيرية ودينية بربض ابن طولون ويصف دقة التنظيم والتيسير والعيش الكريم بها:

وينقل إلينا ابن بطوطة سنة 761 هـ أحد أرقى أنظمة الإيواء الخيري لفقراء الصوفية المخصص لهم أمثال هذه الخانقاوات آنفة الذكر وتخصص كل واحدة منها بصنف من الفقراء ومعظمهم من الأعاجم فيقول «ولكل زاوية شيخ وحارس، وترتيب أمرهم عجيب! ومن عوائدهم في الطعام أنه يأتي خديم الزاوية ... صباحا فيعين له كل واحد ما يشتهيه من الطعام، فإذا اجتمعوا للأكل جعلوا لكل إنسان خبزه ومرقه في إناء على حدة، لا يشاركه فيه أحد، وطعامهم مرتان في اليوم، ولهم كسوة الشتاء وكسوة الصيف ومرتب شهري ولهم الحلاوة من السكر في كل ليلة جمعة، والصابون لغسل أثوابهم، والأجرة لدخول الحمام، والزيت للاستصباح، وهم أعزاب، وللمتزوجين زوايا على حدة - لاحظ عدم الرهبانية في الإسلام في مسألة الزواج- والمشترط عليهم حضور الصلوات الخمس، والمبيت بالزاوية واجتماعهم بقبة داخل الزاوية، ومن عوائدهم أن يجلس كل واحد منهم على سجادة مختصة به، وإذا صلوا صلاة الصبح قرأوا سورة الفتح وسورة الملك وسورة عم أي جماعة، ثم يؤتى بنسخ من القرآن العظيم مجزأة - ما يسمى عندنا بالتفريق - فيأخذ كل فقير جزءا ويختمون القرآن، ويذكرون؛ ثم يقرأ القراء على عادة معظم أهل المشرق - أي فرادى وبالترتيل وبالتجويد - ومثل ذلك يفعلون في صلاة الصبح» (رحلة ابن بطوطة 37 - 38)، وقد استفيد من هذه القصة تنظيم الأكل الفردي ضمن الأكل الجماعي على سبيل التدبير الصحي واختلاف الأذواق وهي عادة أوربية لا تزال إلى اليوم قائمة في أنحاء مختلفة من العالم.

مشهد السيدة زينب مهوى أفئدة الزوار وخاصة أيام الموسم:

ولا نغادر مدينة القطائع دون أن نتوقف عند مشهد وضريح ومسجد السيدة زينب شمالي القطائع وأن أغفل كثير من الرحالة المغاربة الإشارة إليه! اللهم إلا ما كان من خالد بن عيسى البلوي من القرن الثامن 736 هـ حيث ذكر أنه شاهد من بين ما شاهد المسجد المعظم حيث مشهد السيدة زينب رضي الله عنها على هيئة مشهد السيد نفيسة آنف الذكر[1] بالفسطاط وعلى نوعه، وعلى بابه مكتوب هذا مشهد السيدة زينب ابنة الإمام أمير المومنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهما - كذا- (نفسه 222) وقد زرت غير مرة هذا المسجد المجدد حديثا والممتاز بساحاته الخارجية المشجرة وإقبال النساء والصبيان والفقراء عليه في حركة يومية دائبة تفيض بها النفوس محبة وإيمانا وأنسا بهذه السيدة ذات الفضائل والمناقب والمزايا تحيط بها الأسواق والمقاهي والحركة الدائرية ويجد بين أحضانها الزائر والمقيم ملجأ وراحة وحميمية واحتكاكا بالطبقات الشعبية على اختلاف ألوانها وانتمائها وخاصة في موسمها السنوي الذي يفيض بمختلف الباعة والمؤطرين الدينيين والنساء الراغبات في فض همومهن، كما زرته هذه السنة 2007 وصلينا به ركعتين بين الظهر والعصر ولا تزال عادة التجاء النساء الطالبات للإعانة من أجل مرض أو طفل أو زوج مستمرة مع اعتراض أحيانا للسيارات السياحية، وبإلحاح شديد غير معتاد بمصر، وصاحب الحاجة أعمى كما قيل كان الله في عون الأيم والأرملة وذات المريض والمتداوي والطفل المعوق!!!

---

[1] - تاج المفرق 222/1.

ولا نغادر ربض ابن طولون ومسجده المتميز دون أن نشير على الزائر بأن ينعطف وهو يغادر المسجد الطولوني إلى متحف صغير عرف بمتحف "اندرسون"[1] اشتراه ضابط إنجليزي عام 1935م وجمع فيه نماذج من بدائع الفن الإسلامي وكان في الأصل منزلا في القرن 17م عرف بمنزل "الجريدلية" ولا تزال معالم العتاقة والعمارة المتقنة بادية عليه (القاهرة من قمة المقطم، مجلة الهلال نونبر 2007 ص 130 بقلم الدكتور محمد الهادي).

مؤسسات ومعالم حي السيدة زينب

الجنرال جاسبار مونج العالم الفرنسى الذى أطلق اسمه على حارة بجوار المدرسة السنية فى حى السيدة زينب .

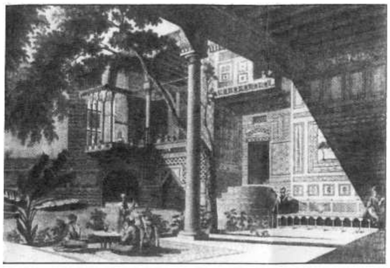

قصر قاسم بك فى حى السيدة زينب بريشة رسامى الحملة الفرنسية .

الجنرال بونابرت داخل المعهد العلمى الفرنسى فى حارة مونج بالسيدة زينب يوم ٢١ ديسمبر ١٧٩٨م .

مبنى مصلحة الخزانة . . وكان أيضاً مقراً لمصلحة الإحصاء القديمة بشارع منصور بالقرب من زينب .

---

(1) - أو متحف الكريدلية.

الجولة الرابعة بالقاهرة

(من باب زويلة إلى باب العزب

عند القلعة

وهو مسكن النخبة

بعد نشأة القاهرة المعزية)

الوزان يصف ربض باب زويلة:

هذا ويقع شمالي القطائع بين باب[1] زويلة شمالا وباب العزب جنوبا الربض الذي ذكره الوزان باسم "ربض باب زويلة" والمعروف اليوم ببوابة المتولي.

وهو ينتهي جنوبا إلى قلعة الجبل ووصفه الوزان خلال القرن العاشر 923هـ «بأنه ربض كبير جدا يضم حوالي اثني عشر ألف كانون، يبتدئ عند باب زويلة، ويمتد غربا على مسافة ميل تقريبا، وجنوبا إلى قلعة السلطان، وشمالا إلى الربض المعروف بباب اللوق»[2].- وهو في الحقيقة في شماليه ثم يلاحظ نشأة العلاقة التبادلية بين هذا الربض وقاهرة المعز في عهدها الذهبي كامتداد جنوبي لها حيث «سكان ربض باب زويلة هذا من الطبقة الراقية كأهل المدينة - يقصد مدينة المعز الفاطمية - المنتمية إلى أواسط القرن الرابع هـ وللكثير منهم دكان في الربض ومسكن في المدينة - أي مدينة القاهرة الفاطمية».

مدرسة السلطان حسن إحدى أهرام مصر الإسلامية:

ثم يلاحظ ظاهرة المنشآت السلطانية بهذا الربض الوسطي واشتماله على «عدد من المساجد والزوايا والمدارس» دون أن ينسى جوهرة هذه المؤسسات وأكثر مساجد مصر ضخامة وأعلاها وأفخمها وأحسنها شكلا وأجملها وهي مدرسة السلطان حسن جنوبي ربض باب زويلة بميدان صلاح الدين اتجاه باب العزب (ميدان محمد علي حاليا) وتعتبر إحدى أهرام مصر الإسلامية ولا يعادلها بناء آخر

---

[1] - المقصود عنه باب زويلة الكبير الذي بناه بدر الجمالي سنة 480 بعيدا إلى الجنوب بعدا يسيرا عن الباب الأول الذي بناه جوهر الصقلي وهو الذي أدركه الوزان بعد ذلك وأشار إليه ويسمى ببوابة المتولي.

[2] - وصف إفريقيا ص 207 وباب اللوق أنشئ 1241 في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب كبوابة لميدان ألعاب الكرة والفروسية والرماية في منطقة حي اللوق حاليا بالقاهرة وقد اندثر الباب.

في العالم الإسلامي في الجمع بين شتى الفنون، وهي إلى ذلك كما يلاحظ الوزان «عالية القباب متينة البنيان بشكل عجيب، حتى إنه إذا حدث أن ثار سلطان على سلطان آخر فإن الذي لا يحتل القلعة إذا عمل بحذق على الاستيلاء على المدرسة - هته - تحصن فيها وهاجم منها القلعة التي فيها السلطان الآخر لأنها لا تبعد عنها بأكثر من نصف مرمى بندقية» (وصف إفريقيا 207)، وقد أسسها السلطان حسن الناصر سنة 747 هـ لتدريس المذاهب الأربعة، وعين لها الفراشين والموظفين والقراء وعلق بها الثريات الجملية وعين لها الإمام، وأتم المشروع بعده الطواشي بشير الجمدار بعد اختفاء السلطان حسن في ثماني هكتارات.

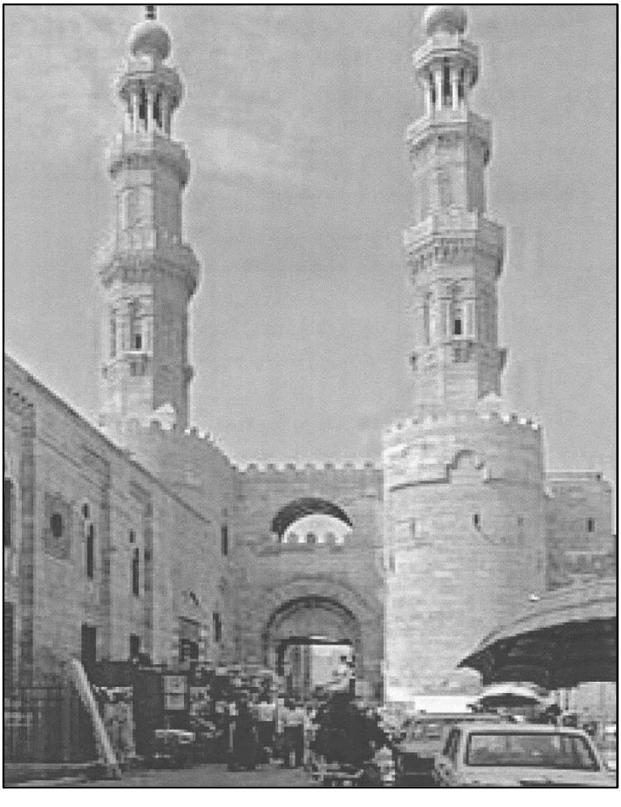

باب زويلة التاريخي الفاطمي

أسواق القاهرة تمتد إلى باب زويلة من أثر الاكتضاض والزحام:

ويظهر من خلال تطور هذا الربض الفسيح ما كان يقوم به عند تعرض جنوبه للتخريب وشماله أيضا عند وسط وشمال قاهرة المعز لدين الله، فكان البناءون يستغلون الحجارة المنقوضة من الجهتين، وبذلك عوضت منطقة باب اللوق الجهتين الجنوبية والشمالية سكنى ووظائف ومواد بنائية مع استمرارها في أداء وظيفة سكنى نخب القاهرة المزدحمة بالمنشآت والأسواق في أحوال الازدهار العمراني، فحصل فيها نوع من النشاط الحرفي فيما ضمه شارع الخيمية (المغربلين حاليا) من أسواق إعداد الخيام والدقيق المغربل والطحين وسوق السروجية والخيل وسوق السلاح.

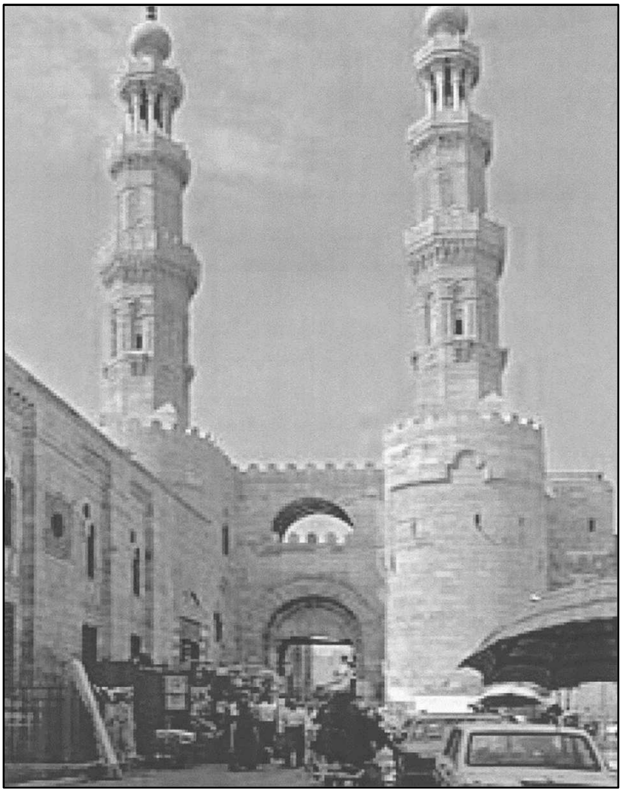

باب زويلة مكرر

سلسلة من الجوامع ذات المرافق التعليمية:

بالإضافة إلى مؤسسات وجوامع ومدارس تبدأ شمالا عند نهاية شارع احمد ماهر «بمدرسة قجماس الإسحاقي فجامع المرداني بزقاق الدرب الأحمر الذي يمتد من باب زويلة إلى القلعة وقصة تسميته بالدرب الأحمر ذات امتدادات اسطورية وعلاقة بمذبحة المماليك بالقلعة، فمدرسة أم السلطان شعبان فالجامع الأزرق "لآق سنقر" ثم مدرسة "خايربك" لنلتف يمينا حيث جامع المحمودية في نهاية الجنوب عند باب العزب في ميدان صلاح الدين "محمد علي" عند القلعة فوق الربوة "الصوة"، أنشأه محمود باشا في عصر السلطان سليمان العثماني خلال القرن 10 هـ وهو ثاني نموذج توجد به القبة الضريحية خارج جدار المحراب مع المشهد الحسيني، ونلتفت يمينا إلى الميدان لنجد جامع الرفاعي في مواجهة مؤسسة السلطان حسن آنف الذكر وهو إنشاء "خوشيار هانم" والدة الخديوي اسماعيل عند نهاية القرن 19 الميلادي سنة 1885 مسجدا ومدفنا لأسرتها ولها، ودفن به إسماعيل نفسه والسلطان حسين كامل، والملك فؤاد، وشاه إيران، رضى بهلوي، قبل نقل جثمانه إلى إيران » (الدليل الموجز 127 – 129).

وبإزاء جامع الرفاعي هنا مدرسة "جوهر اللالا" الأمير في خدمة الأشرف، برسباي ودفن بها، وعلى الربوة آنفة الذكر "قاتيباي الرماح" وتمتاز بالمئذنة ذات الرأسين أعلاها قبل أن يظهر هذا الطراز في مئذنة الغوري بالجامع الأزهر (الدليل الموجز 133).

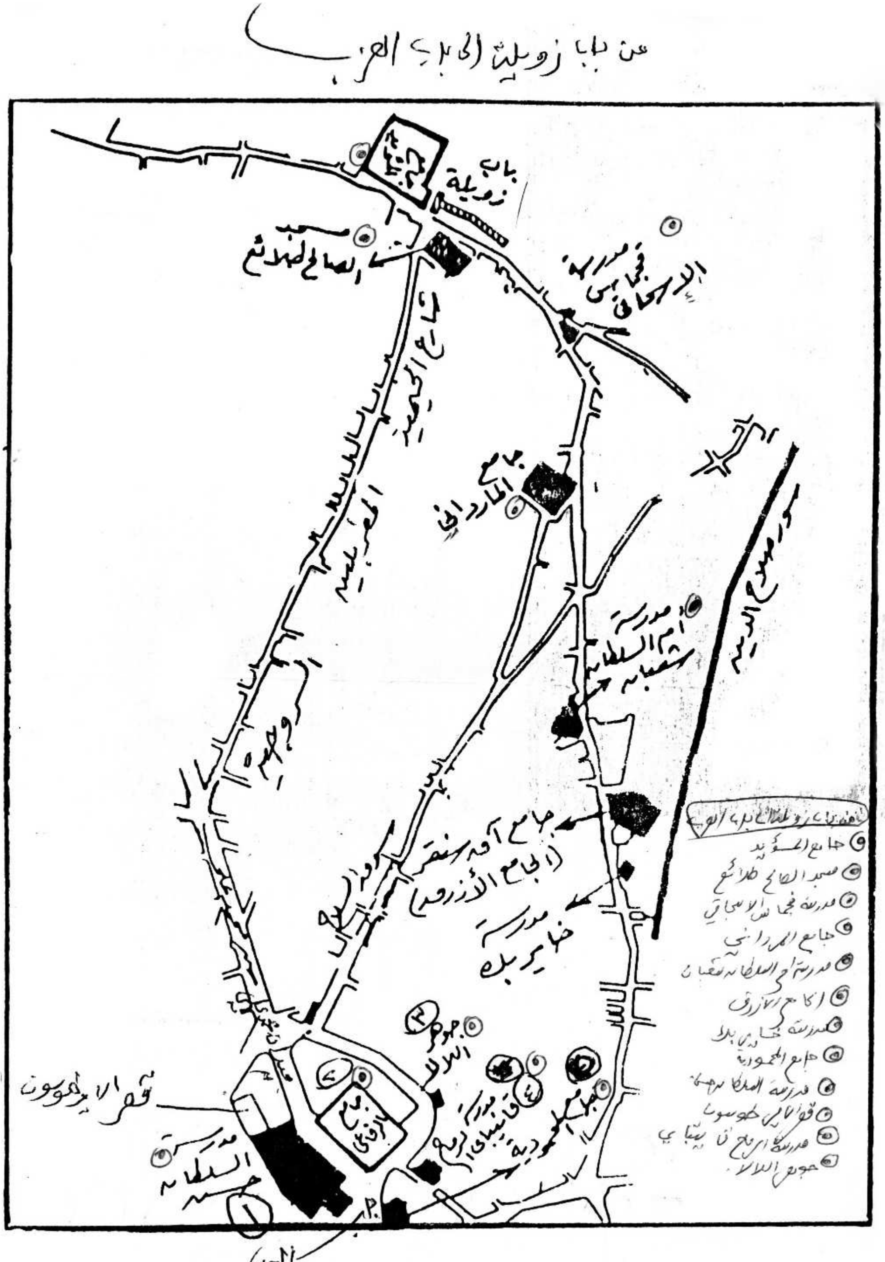

شكل يوضح أهم الآثار الواقعة بالقرب من مدرسة السلطان حسن وجامع الرفاعى.

داخل القلعة ومحتوياتها:

ابن جبير يشاهد قيام صلاح الدين الأيوبي بتشييد القلعة بالخبرة المحلية والأجنبية الفنية بعبقريته المتفتحة على الغرب والشرق معا:

لا نغادر جنوب العاصمة المصرية دون أن نصعد إلى قلعتها التاريخية قلعة صلاح الدين الأيوبي ومنه امتد الحكم والإدارة بها إلى عهد محمد علي جد الأسرة الخديوية العلوية آخر ملوك مصر و القاهرة، وأول من نجد بين أيدينا الإشارة عنده إلى هذه المؤسسة العامة ذات التخصصات الإدارية والمالية والعسكرية عبر تاريخ مصر هو ابن جبير الذي زارها خلال سنة 661 هـ في عهد مؤسسها صلاح الدين الأيوبي، فيذكر بداية ذلك قائلا: «وشاهدنا أيضا بنيان القلعة، وهو حصن يتصل بالقاهرة (أي القاهرة المعزية) حصين المنعة، يريد السلطان أن يتخذه موضع سكناه، ويمد سوره حتى ينتظم بالمدينتين: مصر والقاهرة» (رحلة ابن جبير 56).

ثم يبدي إعجابه بتجديد صلاح الدين وعبقريته في التخطيط والبناء وتفننه متحدثا عن مهرة العلوج الأسرى من الروم وعددهم لا يحصى كثرة وكيف سخرهم واستفاد صلاح الدين من خبرتهم أثناء الحروب الصليبية وما سادها من علاقات مع صلاح الدين بلغت حد الإعجاب بشخصه ورفعه إلى درجة الأبطال الأسطوريين في عيون الصليبيين لما بدا لهم منه من اوجه من التطوير والتجديد وأفانين العبقرية مع علو الهمة وحسن السياسة والعفو والتسامح والفضل يقول: «والمسخرون لهذا البنيان والمتولون لجميع امتهاناته ومؤنه العظيمة كنشر الرخام ونحت الصخور العظام - من المقطم نفسه - وحفر الخندق لأنه قلعة إدارية وعسكرية ذات اكتفاء ذاتي- والمحذق بسور الحصن المذكور، وهو خندق ينقر

بالمعاول نقرا في الصخر، عجبا من العجائب الباقية الآثار! العلوج الأسارى من الروم، ... ولا سبيل أن يمتهن في ذلك البنيان سواهم» (نفسه 56)، ولا شك إن ذلك راجع إلى خبرتهم بصناعة الحصون والقلاع الصليبية المتخللة لأوروبا ولجزء من آسيا وفلسطين والشام.

ابن بطوطة يشهد لأحد حكام القلعة باكرام المغاربة الحجاج:

أما صاحب رحلة ابن بطوطة وخلال القرن الثامن الهجري فيتحدث عن أحد حكام القلعة الأيوبيين الناصر محمد بن قلاوون وما يسديه للحاج المغربي المنضم إلى الركب المصري والمحمل الذي ينطلق من القلعة وما حولها من الميادين غالبا «وما يفعله في كل سنة من أفعال البر التي تعين الحجاج: من الجمال التي تحمل الزاد والماء للمنقطعين والضعفاء، وتحمل من تأخر وضعف عن المشي بين الدربين المصري والشامي» (رحلة ابن بطوطة 212/1) وقد كان الحاج المغربي لا يبلغ مصر إلا بعد إنهاك بري وبحري لنفسه ولدابته فإذا وجد بمصر أمثال هذا الحاكم اطمأن وارتاح وانتعش ونهض لإتمام المشوار الطويل في ذلك الوقت والمليء بالمفاجآت والآفات.

ولا ينسى ابن بطوطة أن يتحدث عن اهتمام هذا الحاكم أيضا بأحد قضاة المالكية مفضلا أن يبقيه قاضيا رغم ضعف بصره وهو محمد بن أبي بكر الأخنائي المالكي (ت 750 هـ).

وصف المحمل الحجازي المنطلق من القلعة:

ثم يصف بعد ذلك اليوم المحمل الحجازي هذا وكيف يدار به وكيف يرتب قضاة القضاء الأربعة ووكيل بيت المال والمحتسب في مقدمته ويركب معهم أعلام

الفقهاء، والأمناء وأرباب الدولة «يقصدون جميعا باب القلعة دار الملك الناصر فيخرج إليهم المحمل - وهو من صناعة دار الكسوة بالقلعة في مصنع خاص زرناه بعد أن جدد سنة 2003 - على جمل وأمامه الأمير المعين لسفر الحجاز في تلك السنة معه عسكره والسقاؤون على جمالهم، ويجتمع لذلك أصناف الناس من رجال ونساء، ثم يطوفون بالمحمل- وجميع من ذكرنا معه بمدينتي القاهرة ومصر، والحداة يحدون أمامهم - أي بالغناء للإبل - ... فعند ذلك تهيج العزمات ... ويلقي الله تعالى العزيمة على الحج في قلب من يشاء من عباده فيأخذون في التأهب لذلك والاستعداد» (نفسه 221/1) - وكأنها حملة نفرة إلى الحج عند وجود الأمان والحراسة -

ابن خلدون يضع خبرته القضائية والسياسية والعلمية في خدمة مصر المدافعة عن الثغور ضد القوتين العظميين آنذلك:

أما عبد الرحمان بن خلدون من اهل القرن 8 هـ فلم يخل رحلته من الإشارة إلى اتصاله بالسلطان في القلعة ليسلم عليه ويقدم إليه نفسه مؤرخا وسياسيا وعالما عبقريا وفقيها مالكيا يقول: «كان الاتصال بالسلطان فأبرَّ مقامي وآنس الغربة ووفر الجراية من صدقاته، شأنه في ذلك مع اهل العلم، وانتظرت لحاق أهلي وولدي .... فطلبت من السلطان ... الشفاعة إليه -أي إلى صاحب تونس- لتخلية سبيلهم فخاطبه في ذلك» (تاريخ ابن خلدون 406/7).

الوزان يلج إلى القلعة كاشفا تفاصيل عنها وعن أقسامها الإدارية والسكنية والعسكرية:

ولعل احسن رحالة من اهل القرن العاشر بعد ذلك وقف عند القلعة متأملا وواصفا موقعها عظمة صنعها على رأس جبل المقطم هو الحسن الوزان إذ يقول: «وفي خارج القاهرة قرب ربض باب زويلة - آنف الذكر- توجد قلعة السلطان المشيدة على رأس جبل المقطم، أسوارها شاهقة منيفة، وتكتنفها - أي من الداخل- قصور بديعة يعجز القول عن وصفها» (وصف إفريقيا 215) ثم يتوغل داخل هذه القصور رافعا نظره إلى أسقفها ملاحظا آنذاك أن «سقوفها كلها مكسوة بالذهب وأحسن الألوان» (نفسه 215) أما أرضياتها فهي «مفروشة بقطع من المرمر مختلفة الألوان» ثم يلتفت إلى نوافذها فيلاحظ أنها «مزدانة بالزجاج الملون مثل ما يشاهد في بعض أماكن أوربا» (215)، في مقارنة لطيفة لا يستطيع القيام بها إلا رجل تأورب وتمسح وغشي بلاطات روما وكرسي البابوية بها على الرغم منه - ثم يلقي بصره إلى الأبواب فيلاحظ أنها «خشبية منقوشة بفن رائع مزدانة بالألوان مموهة بالذهب» (نفسه 215).

ودون أن يفوته الإلمام بمواقع هذه المنشآت المتعددة الوظائف فيلاحظ أن منها ما يسمى "بالحرملك" المخصوص لسكنى السلطان وحرمه، مفصلا أجناس ما اشتملت عليه من الحرملك يقول:

«وكانت هذه القصور مخصصة إما:

لأسرة السلطان نفسها – يقصد أصوله وأرحامه –

أو لنسائه - يقصد الحرائر منهن -

أو لحظاياه يقصد جواريه وسرياته -

أو لبعض خصيانه - يقصد الذين يسمح لهم بالدخول على هؤلاء الحرملك أو حرسه - يقصد حرسه الخاص بالقلعة داخلا وخارجا، ومنهم الجند والقوة الضاربة عند الأحداث وأثناء المعارك (نفسه 215).

ثم يلتفت إلى القسم التشريفي من القلعة فيذكر أن منها «ما كان السلطان يقيم فيها ولائمه الرسمية»

ومنها أيضا ما كان «يقتبل فيها السفراء، وتجري فيها المراسيم الكبرى» (نفسه 215).

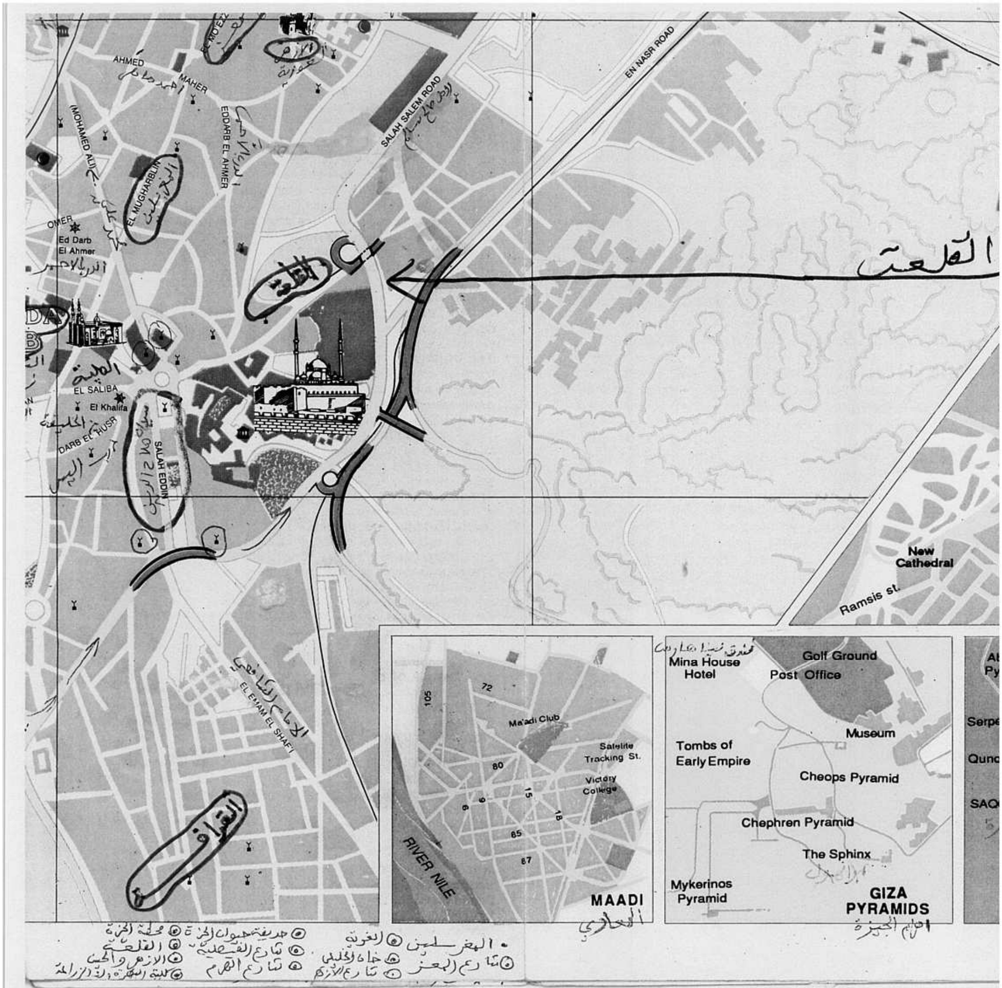

موقع قلعة صلاح الدين وخلفها
القرافة وقبة الامام الشافعي داخلها
جنوبا

احد ابواب واسوار القلعة وعلى اليمين احد المساجد الثلاثة بالقلعة (ميدان القلعة)

جامع محمد علي بالقلعة

ثم يشير إلى القسم الخاص بالإدارة العامة وهي «قصور أخرى مخصصة للموظفين المكلفين بتدبير شؤون البلاط» ومعه تدبير شؤون المملكة كلها بطبيعة الحال؛ ولم يغفل أخيرا ما وقع للقلعة عند زيارته للقاهرة سنة 923هـ من حملة السلطان سليم العثماني عليها وحذف هذه التقاليد في الحكم المستقل عمليا عن الخلافة العثمانية، دون أن يغفل بعض وظائف القلعة اليومية والخطرة المتعلقة بالزجر وإيقاع بعض العقوبات المستعجلة ردعا لسارق أو قاتل أو محارب ثائر أو سجين بالقلعة في دين عجز عن أدائه، وقد فهم أن هذه الملفات لا ترفع إلى بلاط القلعة إلا إذا وصلت إلى حالة الخطورة لم يستطع معها المسؤولون المحليون إصدار أحكام فيها، مبالغا في وصف شناعة بعض العقوبات العنفية من شق وسلخ[1] وتطواف بالشارع وغيرها (نفسه 220).

الوزان ينقل الخبرة الإدارية والمصطلحات الجديدة إلى حضرة البابا بروما إعجابا واستفادة وإفادة:

وقد ذكر من ألقاب الإدارة بالقلعة مثل "الأستادار" أو القابض سيد القصر والمزود الرئيسي له بالمؤن والحلي و "العلاف" المكلف بخيل البلاط وإبله تجهيزا وتوزيعا على أفراد البلاط بحسب درجاتهم "والداودار" صاحب القلم الناطق باسم البلاط "والأمير الكبير" القائد العام للجيش "و الخازندار" أمين خزانة المملكة "والتختخانة" الملكف بملابس المملكة والقصر والسلطان و"الشرابدار" الملكف بالأشربة والحلويات وصناعتها و "الشبابطية" المكلفون بحمل الرماح بجانب الملك عند الركوب أو الاستقبال و "الجنود الخاصكية" الفرسان النخبة العسكرية

---

[1] - عقوبات مستهجنة إسلاميا وإنسانيا ودوليا اليوم كانت تمارس خراج مراقبة القضاة للزجر في عصر الفتوة والقوة وتحمل العقوبات!!

والإدارية و "الجنود السيفية" الراجلون والجنود "الطرخانة" المنتظرون لدورهم في التعيين "والجنود الجلب" المجندون حديثا شبه الأميين لم يدربوا بعد، بالإضافة إلى الموقع والمحتسب وأمير الحج وكاتب السر والناظر الخاص الملحقين بالإدارة العامة (نفسه 220 – 232).

ولا شك أن هذا النظام الإداري المنضبط بالتداريب والتعليم وإعادة التكوين مع الاعتماد على العناصر المستقلة غير المنتمية اجتماعيا إلى الفئات والطوائف والنقابات والاهالي رغم ما أصبح عليه عبر الزمن من فساد واستغلال - قد وفر لمصر وسلاطين القلعة شبه المستقلين عن الخلافة العثمانية وقبل ذلك عن الخلافة العباسية- المزيد من الضبط وسهولة الحركة والتنفيذ المركزي في عصر تسوده الحروب المغولية والصليبية ويتناحر فيه الحكام على المناصب ولم يوفر فيه التطور الإداري والسياسي للدول الإسلامية تقاليد راسخة ومؤسسات شعبية منتخبة ونزيهة نسبيا.

حكام القلعة المماليك يقربون الصلحاء وأهل الفضل من المغاربة إعجابا فينتشر فضلهم في مصر كلها:

وإذا كان زوار القاهرة والمجاورون بالأزهر والمتعاطون للتجارة أو البحر والعابرون إلى الحجاز قد عرفوا من تصرفات حكام القلعة ما أحسهم بأهمية ربط العلاقات معها لفض نزاع حول ضريبة مفروضة أو نزاع تجاري أو طلب مكانة علمية أو رتبة إدارية أو راتب جار أو إسعاف على السفر أو إمداد للحج فإن من ملوك القلعة من ذكر عنهم التاريخ تعلقهم الشديد بما كان المغاربة يمتازون به من ورع وزهادة وشدة في الله وحسن سمت وهدي وسلوك في نحو ما يذكر عن الظاهر

سبيرس من تعلق بالشيخ خضر المغربي مستشاره الخاص الذي بشره قبل ذلك بالملك وكان يخبره بغير ذلك من الأمور ويسافر معه ويطلق يده في مملكته بعد أن رحل إلى مصر سنة 651 هـ، وقد رفعت السير الشعبية هذا الحاكم إلى درجة الولاية بينه وبين المغربي سيدي أحمد البدوي كما قرب السلطان الظاهر برقوق عددا كبيرا من صوفية المغرب كطلحة البجائي المتوفي سنة 794هـ فأصبحت مصر تربة لانتشار التصوف المغربي الأصول: حواضرها وبواديها من الإسكندرية إلى أقصى الجنوب عند ضريح الإمام الشاذلي "بحميثرا".

القلعة إلى اليوم متحف تاريخي ومجمع إداري وحضاري تتجدد مرافقه كل يوم وتستقبل الملايين من الزوار كل سنة:

وما من مرة زرنا فيها القاهرة إلا وأتيحت لنا الفرصة لزيارة القلعة ذات صباح من أيام الربيع أو الصيف، إذ أضحت بما تضمنته من مساجد وقلاع ومتاحف وأسوار وآثار سواء داخل السور او خارجه وبما اكتنفها مما ذكرناه من مساجد وزوايا وأسبلة مائية ومدارس وخانقاه مجمعا أثريا ضخما لا يكاد الزائر مرات له يستنفد مؤسساته العديدة وأقسامه الباقية والمطورة عبر التاريخ، وهكذا إلى هذه السنة 2007 لا تزال الأشغال جارية لإصلاح دار الضرب بها وكذلك دار الضيافة، مع فتح دكان لتصوير الزوار بثياب مملوكية لائقة بالفرسان وبالمسؤول وبالضابط وبالحاكم مع أسلحة وطرابيش خاصة.

وهكذا بدأت القلعة سنة 572هـ ومرت بها كثير من التجديدات والإضافات والبنايات وعلى الخصوص منذ ان سكنها الملك الكامل الأيوبي إلى أن نقل الخديوي اسماعيل بن محمد علي مقر الحكم إلى قصر عابدين!، فبقيت القلعة

مجرد أبنية شبه فارغة إلا من عدد قليل من الحراس والأدلاء والمسيرين السياحيين والآثاريين بعد أن قامت بأدوار عسكرية خارجية وداخلية وأدوار إدارية وحضارية كبرى باعتبارها ذروة أعمال صلاح الدين الدفاعية ضامة القاهرة الكبرى المسورة بسور صلاح الدين آنذاك إليها في مدينة واحدة ضمت ثلاثة مدن تاريخية وشجعت على امتداد التعمير إلى الجنوب بعد الفراغ الذي عرفته الفسطاط والقطائع عند إنشاء قاهرة الفاطميين بشمالها، ذات سورين ثانيهما أقل حجما من الاول بعد أن أضافه الملك الكامل سنة 614هـ فأضحت القلعة مكونة من ثلاثة أُسام رئيسية: قسم شمالي هو أقدمها وآخر جنوبي وثالث وسطي يدخل إليه من باب العزب وهم طائفة من الجيش عند أسفل القلعة، وهو المطل على ميدان صلاح الدين ويسمى باب السلسلة أيضا، فهما اذن بابان: أحدهما هو الباب الجديد الذي شيده محمد علي ومنه يدخل إلى القسم الشمالي الأقدم على سكة المحجر من ميدان صلاح الدين والثاني الباب المدرج وهو إلى اليسار من الباب الجديد وعليه نقش التأسيس الأول بخط النسخ المتميز، ومعه السور ذو الأبراج النصف دائرة من اعمال صلاح الدين ملتفا من الجانب الشرقي لبرج المقطم وممتدا نحو الجنوب والشمال حتى انعطف ووقف لدى المتحف الحربي وبه البابان الخلفيان والجزء الداخلي من باب القرافة[1].

---

[1] – أنظر الخريطة آخر الكتاب.

تفاصيل عن محتويات القلعة:

أما القسم الجنوبي على يمين الداخل اليوم من الباب الجديد آنف الذكر فيضم "بئر يوسف"؛ الحلزوني الشكل ... بني مع القلعة برأي من بهاء الدين قراقوش[1] وزير يوسف صلاح الدين؛ في الصخر للاحتياطي المائي عند الحصار، وهو من العجائب على حوالي 90 مترا، ينزل إليه بواسطة 300 درجة من طابقين بالإضافة إلى قناة من النيل على ظهر سور صلاح الدين من الفسطاط إلى القلعة أضاف إليها من جاء بعد صلاح الدين سواقي أخرى ممتدة لتزويد القلعة بكيفية دائمة!!

كما يضم هذا القسم الجنوبي من القلعة القصر الأبلق وبقاياه من أقدم بقايا قصور القاهرة وهو الآن مصنع الكسوة الشريفة يدخل إليه من ناحية متحف الشرطة العسكري، وعلى يسار الداخل من البوابة الوسطى ومن الباب الجديد أيضا جامع الناصر محمد بن قلاوون منذ سنة 718 هـ جمع إليه عند الفراغ القيمين الدينيين بمصر وعرضوا بين يديه وأنصت إلى آذانهم وخطبهم وقراءاتهم فرتب منهم عشرين عليه مع الأوقاف الكافية (الدليل الموجز 148 - 150) ومر المسجد بعدد من أعمال الإصلاح والتجديد عبر تاريخه المتميز بانفراده وسط القلعة بالدور الديني لساكنيها قبل إنشاء جامع محمد علي آتي الذكر وقبل إنشاء مسجد سليمان باشا سنة 935 هـ بعد أن تهدمت أركان جامع الناصر هذا، فقام بوظيفته مؤقتا ريثما يعاد إليه الإصلاح آنذاك وأضيفت إليه وظيفة عزل الجنود الانكشارية داخل القلعة

[1] - من أعظم الوزراء المصلحين في عصر صلاح الدين، ولغرابة بعض تصرفاته وأحكامه نسب إليه العامة كثيرا من الوقائع المستغربة الأحكام، وكتب السيوطي رحمه الله هذه المغربات في كتاب سماه "الفاشوش في حكم قراقوش".

عن النزول إلى باب العزب لئلا يصطدموا بجنود طائفة العزب، ويطل على المساجد الثلاثة من أعلى جبل المقطم جامع الجيوشي القديم منذ سنة 478هـ وزير الخليفة الفاطمي المنتصر، وهو أول مسجد ضم ضريحا بمصر وذو مئذنة من برج مربع أعلاه شرفة حافتها من المقرنصات لأول مرة، وبعد البرج المربع مكعب أصغر حجما ثم منطقة مثمنة وقمة بعدها على هيئة قبة مضلعة.

وبهذا القسم الجنوبي جامع محمد علي المذكور والذي دفن فيه والممتاز بتأثير الفن البيزنطي بما في ذلك قبة الوضوء المزدوجة وساعة تاريخية أهداها لويس فيليب له مقابل هدية جميلة فرعونية وقبر خشبي أضيف إليه منبر رخامي عمله الملك فاروق يعتبر أكبر منبر بمصر، ودكة المؤذنين غربا على ثمانية أعمدة وأعلاه مئذنتان عثمانيتان كالقلم الرصاص وقبة وسطه كبيرة جدا مكتوب أسفلها أسماء الخلفاء الراشدين مع توقيع الخطاط أمين أزميري ويطوق دائرة المسجد أسفل الشبابيك أبيات من قصيدة البردة بالخط النستعليق الفارسي، وقد نال المسجد العلوي هذا عناية زائدة وإصلاحات وزيارات سياحية أكثر من غيره من المرافق الأخرى نظرا إلى هذا الطابع البيزنطي الخاص، ولتأخر تشييده ولجمعه خلاصة الفنون العثمانية، فأشبه جوامع العاصمة استانبول وقد لاحظنا في زيارتنا الأخيرة له سنة 2007م سمك حيطانه وتغطيتها الخارجية بحجر أصفر مائل إلى البياض ذو خيوط حمراء[1] وبداخله يظهر المسجد وكأنه مشقق الجدران، ولم يعجبني هذا الصنيع ولم يرق لي إطلاقا لما يوحي به من تلطيخ وشقوق وعتاقة مصطنعة على النمط الأول بالقلعة

---

[1] - وأدركت فيما بعد أن هذا الحجر المشجر بالخيوط الحمر ذو ندرة وخاصيات ولذلك تفرد به هذا المسجد ويسمى حجر البلاستر المصري المستقدم من محاجر بني سويف ورأيت منه في جنوب مصر أشكالا أخرى.

وبجنوبي جامع محمد علي هذا قصر الجوهرة من أعمال محمد علي سنة 1228هـ، وهو سراي كبيرة يشرف على ميدان صلاح الدين وعلى المنظر العام للقاهرة، وبداخل السراي قاعة العدل مستطيلة الشكل ذات سلم مزدوج يوصل إلى ميدان دار الضرب، وبهذا القصر عدة غرف وأبواب توصل إلى القاعة الكبرى ورسومات ولوحات بحرية، وبه صالة العرش، وعمل في بنائه روم وبلغار ورناؤوط آنذاك، فنال طابعا أوروبيا، مع حمام من المرمر المجلوب من بني سويف ذي بهجة وبياض وقيل لنا أثناء زيارتنا له إنه مرصود يشعر محمد علي بالخطر عند اللزوم، وبوسط الحديقة فسقية من الرخام في حافتها أسود تتدفق ماء وفي غير عناية كبيرة بهذا الإطار الغريب المشرف على القاهرة كلها من على قدم المقطم!

ويبقى القسم الثالث الذي يضم "باب العزب" من الغرب المطل على الرميلة وميدان صلاح الدين وبه طائفة العزب[1] آنف الذكر عمره "رضوان كتخذا" خلال القرن 12هـ وعلى جانبيه برجان ضخمان، وبه مسجد سليمان باشا العثماني من القرن 10هـ آنف الذكر لعزل الجنود الإنكشارية عن الدخول إلى المسجد القديم "مسجد الناصر قلاوون" آنف الذكر، ويعتبر مسجد سليمان باشا هذا أول مسجد أسس على الطراز العثماني بمصر لم تتح زيارته للجمهور مع بعض متاحف الأميرات به إلى حد كتابة هذه السطور سنة 2007.

---

[1] - من جملة الطوائف التي كانت بمصر في سلك الخدمة السلطانية المملوكية وباسمهم سمي باب العزب.

ابن بطوطة وحرافيش مصر عند القلعة:

ومن أطرف الوقائع ذات الصلة بالقلعة وحكامها ان الملك الناصر أمر مرة بسجن الأمير طشط البدري المعروف "بحمص أخضر" لمحبته له، وكان من خيار الأمراء وله الصدقات الوافرة -كما يقول ابن بطوطة- على الأيتام من كسوة ونفقة وأجرة لمن يعلمهم القرآن، وله الإحسان العظيم للحرافيش وهم طائفة كبيرة أهل صلابة ووجوه دعارة كان لهم زعيم يعدل لهم أمروه عليهم وقد صرف جهودهم إلى الاهتمام بالفقراء والضعفاء، فلما سجن الأمير صديقهم اجتمع الآلاف منهم ووقفوا بأسفل القلعة ونادوا بلسان واحد، يا أعرج النحس! يعنون الملك الناصر - أخرجه، فأخرجه من محبسه وسجنه مرة أخرى ففعل الأيتام مثل ذلك وقد كتب نجيب محفوظ ملحمة شعبية ضخمة سماها "الحرافيش" استمدادا من صدى هذه الطائفة، المؤطرة لأعمال الخير بالقاهرة وبطرق خشنة جدا، والتي إذا اتفقت على موقف لم تلبث أن تقوم قومة رجل واحد على إنفاذه، بما في ذلك الضرب والبهدلة والإحراق أحيانا للقاهرة كلها (رحلة ابن بطوطة 730)، نعوذ بالله من فتنة الجماعات وعقلية الرعاع وسوء أخلاق الذعار وكلب السلطات ومجاراة النخبة ضغوط الجانبين في غير مراعاة لجانب الحق والعدل خوفا ورهبة أو رغبة وسمعة!!

خريطة تقريبية لمحتويات القلعة

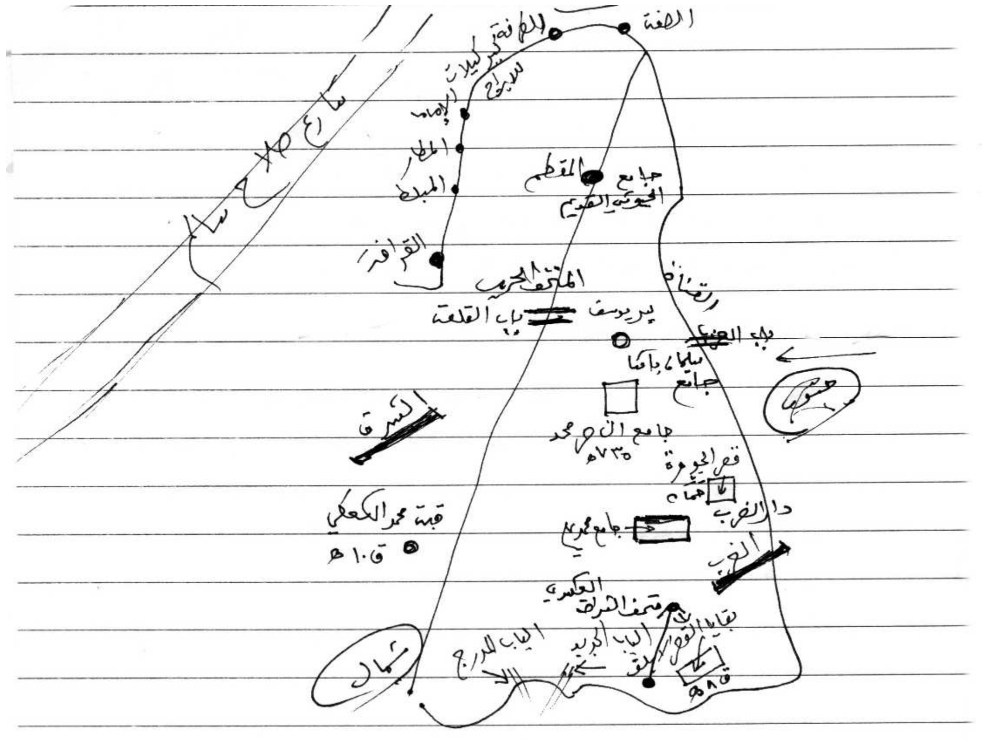

القلعة ذات الأبواب الأربعة والمتاحف الحربية والشرطية والمساجد الثلاثة والقصور والحي الإداري ودار الضرب وبئر يوسف وقناة جلب المياه والسجون والأسوار والقلاع وأدوات استنطاق الأسرى المستعصين من الإدارات المحلية وحوانيت الخيل والإعدادات الحربية والإمداد التموينية في قلعة جامعة مانعة توالى بها الملوك منذ صلاح الدين إلى عهد آخر الحكام من أبناء محمد علي لينتقل الملوك إلى قصور أخرى أقرب إلى المدينة الجديدة التي وسعها أحفاد محمد علي الملقب بالمجدد

31- من جملة الطوائف التي كانت بمصر في سلك الخدمة السلطانية المملوكية وباسمهم سمي باب العزب.

الجولة الخامسة بالقاهرة:

نظرة إجمالية على قاهرة المعز
وشارعها الرئيسي
الممتد من باب الفتوح إلى باب زويلة

الجولة الرابعة:

نظرة إجمالية على قاهرة المعز وأزهرها الشريف والمشهد الحسيني:

لم يكتب للقطائع الطولونية وما بعدها جنوبا الصمود أمام ضربات الفاطميين القادمين خلال القرن الرابع الهجري من المغرب الإسلامي مستبدلين النفوذ العباسي الخصم بنفوذ جديد وعاصمة جديدة، بعيدا عن العسكر والفسطاط إلى الشمال الذي كان مجرد حديقة إخشيدية أنشأها آخرهم كافور في الجزء الأوسط الغربي من القاهرة الحالية محاذية بعد ذلك للسور سور جوهر الصقلي لتتحول بعد تأسيس قاهرة المعز في الجزء الشرقي منها إلى بلاط ملكي سمي بين القصرين وعند الجامع الأقمر الحالي، بعد أن اختار الفاطميون هذا السهل الرملي وفق رسم وضعه الخليفة الفاطمي نفسه، المعز لدين الله في شمال إفريقيا، وبمجرد الوصول أمر جوهرا الصقلي بتخطيط أسوار هذه الجهة شمالي القلعة ومعها القصر الملكي، كما عين الأحياء لمختلف الجنود بعد ذلك بستة أشهر، وأقام بعد ذلك الجامع الأزهر بسنة وبنى في ظرف قصير مدرسة إيديولوجية لنشر المذهب الجديد في انقسام أكبر عن الخلافة العباسية، وقد أنشئت أيضا حوانيت وسوق لخدمة هؤلاء الجند، وبنى الجنود مساكنهم في هذا المعسكر الذي تحول إلى مدينة بالتدريج في صورة قصبة كبيرة مسورة وذات إيوان من جهاتها الثلاث وبابين إلى الشمال هما باب الفتوح الذي ينتهي إليه الشارع الرئيسي باسم المؤسس المعز والذي يقسم هذه القصبة إلى شطرين شبه متساويين وينتهي عند باب زويلة جنوبا، مع تزويد المدينة الجديدة من جهة الغرب ومن خلال أبوابه الثلاثة: باب القنطرة وباب الخوخة وباب السعادة، بما تحتاج إليه من مياه بواسطة القناة الممتدة على طول هذا السور الغربي والمسماة

بالخليج كما أمر أصحاب المتاجر فيما بعد بإضاءة البوابات والأسواق والميادين والطرق العامة والحارات المسدودة وغيرها قبل أن يؤمر الناس بعد أن أطالوا السهر ليلا بحظر التجول إلى حين.

قاهرة الفاطميين تنافس الفسطاط والقطائع وباب زويلة وتتفوق عليها:

ونمت الدكاكين لتبلغ الآلاف، وهي في ملك السلطان، كما ازداد عدد الحمامات والربط والأبنية العامة في نفس عهدة المالك يؤجرها شهريا وكذلك المنازل، وأصبحت المدينة بذلك شبه قلعة وقصورها حصونا وعماراتها العمومية في خمسة أو ستة طوابق مع البساتين والأشجار بين القصور تسقى باستمرار في حركة دائبة من الحمالين وأصحاب القرب[1].

أسوار وأبواب وقصور وأسواق ومطاعم وبروتكول جديد:

يشرف على هذه المدينة غربا قصر السلطان المستقل بناؤه من جميع الجهات يحرسه كل ليلة ألف رجل، نصفهم مشاة مع عرض عسكري مهيب وعزف موسيقي يبدأ بعد صلاة العشاء يتخلله قرع الطبول ونفخ الأبواق وآلات أخرى لمدة ساعة قبل أن يغلق الضابط البواب القصر في حركة برمحه لافتة يسير بعدها حول القصر سبع مرات، مع سلسلة في أضيق ميدان سمي فيما بعد "بين القصرين" منصوبة ليلا حتى ينفخ في البوق عند الفجر للإذن بالمرور من شارع المعز الرئيسي، فإذا خرج الزائر إلى خارج المدينة المعزية رأى هذا القصر كأنه حصن مرتفع ذو أسوار مصمتة

[1] - في زيارتي الأخيرة سنة 2007 لشارع المعز دخلت صدفة إلى إحدى مدارسها المملوكية فوجدت خزانا مائيا عريضا وعميقا ينزل إليه بالدرج من أعظم الخزانات المائية المجلوب إليه الماء من النيل تتمة لهذه الحركة التزويدية عبر هذه العصور واحتياطيا استراتيجيا عند الضرورة والحصار.

لا يرى ما يداخلها والذي ينقسم إلى اثني عشر بناء وذو عشرة أبواب وسرداب بين القصرين مرتفعة عن مستوى الأرض وأبواب أخرى تحتية، وتحت الجميع باب يخرج منه السلطان راكبا في سرداب يؤدي إلى القصر الخارج عن سور المدينة ويصل بين القصرين بسقف محكم وجدران القصر كلها من الحجر المنحوت كأنها قدت من صخرة واحدة (كاستون فييت: القاهرة مدينة الفن والتجارة ص 32 - 33 / ط مؤسسة أخبار اليوم/ القاهرة 1990) (عن سفر نامه لناصر خسرو: 48 - 49).

فإذا دخل الزائر من باب "السراي" الرسمي رأى عمارات وصفات وإيوانات في اثني عشر جناحا وأبنية مربعة متصلة، كل جناح يؤدي إلى جناح أحسن منه، مشتمل بعضها على صور ورسوم ذهبية وفرش من الديباج والبوقلمون[1] نسجت على قدر كل موضع تشغله، ودرابزينات[2] من الذهب المشبك ودرجات من الفضة وأشجار اصطناعية مصنوعة من الحلوى ومن تحتها ألف صورة تمثال سكرية (نفسه 34).

انبهار الرحالة المغاربة بمنظومة البناء المتكاملة المرافق في قاهرة المعز:

وهذه المدينة الجديدة ولا شك هي التي انبهر بنظامها الرحالة المغاربة عندما زاروها تباعا مطلقين لأقلامهم العنان في وصف عمرانها وجمالها وعظمتها وتجارتها وناسها، وقد استطاعت حتى بعد انتساخ دولة الفاطميين بالقادة الأيوبيين السنة وبعد تخريب هذه المظاهر الخلابة أن تنهض من جديد فيما أشار إليه ابن جبير سنة 661 وقد صرح بأنه «بمدينة مصر - عند زيارته لها - آثار من الخراب الذي أحدثه

[1] - البوقلمون: لعله نسبة إلى قلمون موضع بدمشق (السيوطي لب اللباب) والمقصود نسيج غال يسمى بذلك.

[2] - دارابزين: معربة للقوائم المصفوفة المستطيلة الشكل من خشب او غيره تجعل حواجز نافذة الهواء والنور وهي المشربيات في لغة أهل القاهرة والمغاربة.

الإحراق الحادث بها وقت الفتنة، عند انتساخ دولة العبيديين، وذلك سنة أربع وستين وخمسمائة، وأكثرها الآن مستجد! والبنيان بها متصل وهي مدينة عظيمة» (رحلة ابن جبير 54).

ابن بطوطة يتعجب من تركيبة سكانها الجامعة بين الأضداد:

إما عندما زارها ابن بطوطة سنة 726 فقد تجدد شبابها تماما وبدت له «وهي المتناهية في كثرة العمارة، والمتباهية بالحسن والنضارة، مجمع الوارد والصادر، ومحط رحل الضعيف والقادر، وبها ما شئت من عالم وجاهل، وجاد وهازل، وحليم وسفيه، ووضيع ونبيه، وشريف ومشروف، ومنكر ومعروف، تموج موج البحر بسكانها، وتكاد تضيق بهم، على سعة مكانها وإمكانها» (رحلة ابن بطوطة 201/1).

عيسى البلوي يعجب بعمرانها وحسن تكامل مرافقها وخدماتها الأمنية:

وبعد ذلك بعشر سنوات يزورها عيسى البلوي ملاحظا ما اشتملت عليه من «المباني الهائلة، والأسواق الحافلة، والمساجد العتيقة، والمدارس الأنيقة، والمرابع البارعة، والمصانع الناصعة، والأزهار والأشجار الباهرة، والآثار العامرة، والجنود الوافرة، والأمم المتكاثرة» (تاج المفرق 216/1).

الرحالة الحسن الوزان يتوغل في أحشاء القاهرة ذات الوفرة في الخدمات والمرافق العامة والأسواق المتخصصة النادرة الشأن:

أما أحسن من توغل من المغاربة في أحشائها ورسم لها في عصره خلال القرن العاشر الهجري 923هـ لوحة حية متموجة ونابغة بالحياة والوفرة والساكنة، فهو الوصاف الجغرافي والمنقب العلامة المتخرج في مرابع الإسلام وأديرة الرهبان ليون الإفريقي الحسن الوزان مصرحا بأنها إحدى كبريات العالم العجيبة وأنه

سيفصل القول في مظهرها وموقعها جميعا، ملاحظا ما يحدق بها من الأسوار الجميلة والمتينة وذات الأبواب المصفحة بالحديد.

قصور ومساجد ومؤسسات علمية وخيرية وأبواب وميادين بريشة الحسن الوزان:

ثم يتوغل إلى شارعها الرئيسي يبدأ من شماله عند جامع الحاكم بأمر الله[1] ثم يتوغل إلى شارعها الرئيسي يبدأ من شماله عند جامع الحاكم بأمر الله ثالث الخلفاء الفاطميين ملاحظا هذا الشارع الممتد من باب النصر إلى باب زويلة آنف الذكر وما اشتمل عليه من قصور نبلاء القاهرة ومدارس أُقامها الحكام تثير الإعجاب بأبعادها وحسن بنائها وزخرفتها، ومساجد منسجمة وبديعة، وحمامات مبنية بالفن المعماري العظيم (وصف إفريقيا 204).

وتدل أسماء الأعلام التي كان يحملها القسم الغربي من القاهرة على مدى الغنى والوفرة والسعة والفضاء الفسيح وغنى الطبيعة في "حارة برجوان" شمالا فبستان كافور وسطا ومعه القصر الصغير وبين القصرين فتربة الزعفران ومعها "الوزيرية" وباب الخوخة و "باب السعادة"

إحكام الفاطميين للأبواب والأسوار احتياط أمني من الأعداء العباسيين المنافسين ومن بعض المذاهب الأخرى:

فإذا انتقلنا إلى القسم الشرقي من القاهرة المعزية المسورة بدءا بالشمال لاحظنا مدى استغلال المسافات الشرقية في المرافق العامة حيث نسمع: جامع

---

[1] - مررنا بواجهته الخارجية في زيارة 2007 ووجدناه على أهبة الاكتمال بعد تجديدها به داخلا وخارجا، (م ب) محمد البايك.

الحاكم آنف الذكر من جهته الشرقية والغربية يكتنفه بابا النصر والفتوح وبعده الجامع الأقمر وبإزائه حي الجمالية وبه دار الوزارة وباب الريح وباب الزمرد وباب الذهب الملكي وميدان العيد والقصر الكبير وبشرقيه قصر الشوق وباب الديلم وبيت الحكمة وبشرقيه الأزهر وباب البرقية وتحتهما قطامة الروم السفلى وباب الخراطين (المحروق) وباب زويلة (خريطة رافيس).

بين القصرين سرة القاهرة المعزية ومهوى الأفئدة والبطون الجائعة والعطشى:

ولا يلبث الحسن الوزان أن يأخذنا عبر شارع المعز من الشمال إلى حي "بين القصرين" سرة القاهرة المعزية ومركزها الرئيس ومجمع أسواقها الذي تصب إليه البوابات الثلاث عشرة من جهاتها الأربع وحدائقها الداخلية ومصانعها ومتاجرها المكتنفة، فيطفح بأنواع الخيرات في نحو "ستين دكانا لبيع اللحوم النيئة والمنضجة الجاهزة مع المراقبة بدقة المحتسبين وصرامتهم، وبقربها المشروبات المعصورة من جميع أنواع الفواكه والأزهار ذات المذاق الرفيع يشرب فيها قبل الأكل ومعه وبعده جميع النبلاء كما قال، وهي محفوظة في قوارير جميلة جدا من الزجاج أو القصدير النظيف المشكل فنيا، وفي سياقها دكاكين الحلوانيين في عرض لم يشاهد مثاله العجيب الرحالة الوزان في أوربا على الإطلاق، بعضها بالعسل والآخر بالسكر، وحوالي هذه الباقات من الطعام والشراب والحلوى دكاكين الفاكهانيين ذات الفواكه المحلية والأجنبية كالإجاص والسفرجل والرمان إلخ، ووسط الجميع دكاكين الفطائر والبيض والجبن المقلوين، وبقرب من هذه الدكاكين كلها أسواق المنتجات الصناعية الراقية من المعادن والأخشاب والصدف والذهب والفضة وما إليها.

أسواق متخصصة في العطور والمجوهرات والمنتوجات الثمينة:

ثم يلتفت الوزان وهو في خضم هذه الخيرات والمنتجات الفنية إلى يمينه بعيدا عن الشارع قليلا ليدخل إلى حي العطور كالزباد[1] والمسك والعنبر وصمغ جاوة، ملاحظا وفرة هذه العطور بكثرة، وعلى جانب منه حي آخر للورق الصقيل وللأحجار الكريمة يحملها الدلالون من دكان إلى آخر وقت المزاد العلني.

ومن هذا الزقاق الجانبي حي الصاغة اليهود وحارتهم، ومع ذلك كله حي آخر لتقسيط بيع المنسوجات الفاخرة المجلوبة من صانعيها أو خازنيها من نفائس المصنوعات وأندر الملبوسات لعرضها على المزاد وسط هذه الدكاكين الخاصة بهذه العروض. (نفسه 206).

خان الخليلي الشبيه بقصر الإمارة في فخامته:

وعلى السيار من الشارع الرئيسي: شارع المعز؛ في اتجاه الأزهر والحسين شرقا لا ينسى الوزان أن يذكرنا بفندق ووكالة خان الخليلي الذي يقيم فيه التجار الفرس ويشبه قصر أمير كبير في الارتفاع ومتانة البناء في ثلاث طبقات، خصصت الأولى منها للتجارة وباقيها للخزن والجملة والسكنى جميعا (نفسه 205 – 206).

[1] - وهو طيب ورشح تجتمع تحت دابة الزباد وعلى مخرجها بعد إمساكها ومسح ذلك الطيب من تحت ذنبها.

إلى الغورية حيث أسواق[1] المنسوجات الغليظة وذات الأحجام ومعها السروج والسيوف:

ثم ينتقل بنا نزولا إلى حي الغورية في الشارع الرئيس نفسه ليمر بنا على مدرسة الغوري على يسارنا بعدها فنادق القماش المستورد: البعلبكي الإيطالي والموصلي والخز الصقلي والطلس[2] والمخمل والديباج التي لم ير الوزان مثيلها في عاصمة إيطاليا نفسها متعجبا! (نفسه 205)، ثم ينزل بنا نحو باب زويلة جنوبا مارا عبر أسواق المنسوجات الصوفية المستوردة من أوربا: البندقية وميورقة، وشعر الماعز الأبيض من قونيا[3] الناصع البياض الناعم كالخز، وبقرب باب زويلة عدد لا يحصى من الصناع بما يسمى اليوم بالسيوفية (نفسه 205) وفيها الخيامية والسروجية وغيرها.

[1] - تجرى الإصلاحات باستمرار في هذا السوق العالمي لتوسيع قيسارية او تجديد طابق أو إضافة مقهى أو وكالة أو غير ذلك.

[2] - جلد فخد البعير بعد إزالة شعره وهو ألين وأجمل شيء منه.

[3] - قونيه: مدينة تاريخية في الجنوب من الأناضول بتركيا الحالية.

الجولة السادسة بالقاهرة:

حول المنشآت الدينية والعلمية التاريخية من الحسين والأزهر إلى باب زويلة

(حوالي 28 مؤسسة عامة وخاصة)

جاذبية الغورية والأزهر والحسين للمغاربة المتعلمين والعلماء والتجار:

وقبل أن نشير إلى المؤسسات المتناثرة حوالي شارع المعزو في الحسينية والأزهر والتي تتجاوز العشرين ما بين قصر ومسجد خانقاه ومدرسة وسبيل وكتاب وبيمارستان وضريح توالت عبر العصور وشيدت من قبل حكام القاهرة الأيوبيين والمماليك في تنافس عجيب جعلها تصطف في شارعين تقريبا ممتدين من الشمال إلى الجنوب معانق أحدهما بمؤسساته السور الشمالي بباب النصر والفتح والسور الجنوبي بباب زويلة يشمخ وسطها تقريبا عند منتصف الشارع الأزهر والحسين ومؤسسات الغوري وخان الخليلي ذوات السمعة والشهرة العالمية والقصاد والزوار من مختلف جهات مصر وخارجها وخاصة في المواسم والموالد نشير إلى جاذبية هذا الوسط وخاصة قرب الأزهر والحسين والغورية بالنسبة إلى المغاربة[1].

العياشي الرحالة يتحدث عن الأزهر والغورية:

فهذا العياشي خلال القرن الحادي عشر الهجري يذكر في رحلته ماء الموائد هذا الموقع قائلا «دخلنا القاهرة ضحى، ولم نجد دارا للكراء بقرب الأزهر مع شدة رغبتنا في ذلك فطرحنا أمتعتنا بوكالة "قايتباي" بباب الأزهر الغربي وجعلنا نتطلب دارا للسكنى فما وجدناها إلا آخر النهار بمحل يقال له "البردبكية" وجدنا هناك دارا واسعة فيها عدة مساكن إلا أنها بعيدة عن الأزهر بنحو أربعمائة خطوة ... واكتريناها بثلاثة سبعين ونصفا، ونقلنا إليها أمتعتنا» (تاريخ العلاقات المصرية المغربية 59).

---

[1] - تمتعنا هذه السنة بشاي مغربي في مقهى الفيشاوي عند الحسين وأكلة كوشاري قرب الأزهر وغداء كباب مشوي وسط الساحة (محمد البايك). وزرت قبل هذه الرحلة الجزء الخاص بنجيب محفوظ من مقهى الفيشاوي وبه طاولات جميلة وأكلات وشراب بأسماء روايات محفوظ وبأثمنة خاصة.

الطلبة المغاربة المجاورون للأزهر عند الحسينية:

ويلاحظ العياشي آنف الذكر أن حارة "المجاورين" حوالي الأزهر والحسينية «لا يسكنها في الغالب إلا العلماء والغرباء والفقراء وقل أن تجد بإزائه دار تاجر أو أحد أرباب الدولة لضيق المحل» (نفسه 122) بينما يسكن الذين يطلبون السعة والقرب من القلعة التي هي محل الباشا وأكابر دولته في ما وراء باب زويلة إلى القلعة جنوبي القاهرة المعزية (نفسه 122).

ابن دحية المغاربي يكرمه الملك العادل بالتدريس لولده ويسكنه قرب قصريه:

وهكذا تعلق العلماء والطلبة المغاربة بالأزهر وبالمدارس القريبة منه منذ القدم، فهذا الحافظ أبو الخطاب ابن دحية بعد أن رجع من الحجاز واشتهر صيته بالأزهر يسكنه الملك العادل المتوفي سنة 615 بالقاهرة ويعينه مدرسا لولده الكامل بالمدرسة الكاملية بين القصرين، وكان هذا الطالب الكامل ابن السلطان يسوي له "بلغته"[1] حين يقوم تعظيما (المغاربة ودورهم الثقافي بمصر 21).

أبو حيان النحوي نابغة عصره بالأزهر:

وهكذا نرى أثير الدين أبا حيان النحوي الغرناطي من أهل القرن 7هـ يهاجر إلى مصر ويدرس بها ويؤلف الكتب الشهيرة في التفسير والقراءات والنحو واللغة والألسن في نحو خمسين كتابا منها تفسيره البحر المحيط، ونرى أيضا العبدري محمد بن الحاج ينزل خلال هذا العصر من القرن الثامن الهجري بالأزهر والقاهرة ملاحظا ومنتقدا ومؤلفا كتابا مستقلا عن مآخذه حول ما يتساهل فيه أهل القاهرة سماه "المدخل".

---

[1] - عامية مغربية وكأنها من بلغة العيش وكل ما يبلغك المراد!

واعظ أمازيغي يسمح له بالوعظ دون سائر علماء القاهرة:

كما تولى التدريس بالأزهر خلال القرن الثامن شمس الدين محمد بن تازمرت الذي اشتهر به وكثر محبوه ومريدوه إلى درجة السماح له وحده بالوعظ سنة 738هـ بعد ان منع الناصر الوعاظ والقصاص من المجالس (المغاربة ودورهم الثقافي بمصر 36).

نخبة من مفكري الغرب الإسلامي يدرسون العلوم العقلية والنقلية بالأزهر:

- وممن درس في الأزهر بعد صلاة الصبح تاج الدين بن محمد الصنهاجي المتوفي سنة 708هـ وكان يدرس بعد الظهر بالمدرسة الظاهرية أيضا (نفسه 40).

- وممن تولى الإفتاء من العلماء المغاربة بالأزهر منذ القرن التاسع الهجري عبد القوي بعدان تعلم بمصر أيضا على الشيخ موسى المراكشي.

- وممن حدث في الأزهر الشريف من مغاربة القرن الثامن عبد الله بن خير.

- وكذلك أبو الحسن القلصادي[1]صاحب الرحلة الحجازية الشهيرة باسمه من اهل القرن التاسع قرأ على الشيخ موسى المراكشي بالأزهر وظل به حتى تولى منصب الإفتاء بالأزهر الشريف (نفسه 44 – 45).

وممن مر في الأزهر من الصوفية المغاربة العلماء:

- هذا وقد طلب شيخ الأزهر علي الأخهوري رحمه الله من أحد الرحالة المغاربة أحمد بن قاسم المجري أفوكاي الخبير في الحوار الديني أن يثبت محاوراته في كتاب سماه (ناصر الدين على القوم الكافرين) خلال القرن 11هـ (نفسه 161).

---

[1] - أبو الحسن علي من بسطة أُقام بغرناطة وتوفي بباجة تونس له "كشف الأسرار عن علم حروف الغبار".

صورة حية عن النشاط المتعدد بالأزهر عند السراج صاحب الرحلة الحجازية الشهيرة:

ولا غرابة فقد شهد الأزهر ولا يزال منذ إنشائه إلى اليوم من الإقبال العلمي والروحي ما لا نظير له فيما سواه، فجاءت الإشارة إليه في أقلام الرحالة المغاربة مرارا وتكرارا، ولعل أحسن من رسم لوحة نابضة بالحياة والحيوية للأزهر الشريف أبو عبد الله القيسي السراج في "أنس الساري" آنف الذكر حيث ينعته "بجامع الأزهر، المشرق الأنوار، لا مسجد يعدله في قطر، لا يغلق له باب، أوقاته معمورة، وبأنواع العلم موفورة، قراءة وحديثا ونحو وبيانا، وأصول فقه ودين، وتصوفا، ينبع العلم من حيطانه، ويسلي الغريب عن أوطانه، لا تجد سارية من سواريه خالية من معلم مفيد، أو متعلم مستزيد!... وفيه خمسة رواقات للغرباء[1] ... تجرى لهم الأقوات ... من رغيف نظيف ... وحسو جريش وعدس نضيج، صباحا ومساء، أساطين بلاطاته الداخلية من رخام منحوت، سماوي في اللون[2]، وسقفها من ساج أخضر، وفيه من المصابيح ما لا يحصى عددا، وفيه أربعة مكاتب في كل واحد منها أربعون صبيا، ... ولهم أوقاف جارية لملبسهم وقوتهم، ... ولها "ميضات" خارج المسجد، كثيرة الصهاريج، .... واسعة الفناء .... وبينه وبين المسجد ممر مستطيل وداخل في وسط المسجد (أنس الساري والسارب 48).

---

[1] - زرنا هذه السنة منها رواق المغاربة والشوام والجاويين ... وببعضها حركة استراحة بعد صلاة الظهر وأنشطة ومحاضرات وطلاب آسيويون يلبسون لباس الطلب بحوافظهم الكتابية وقماطيرهم.

[2] - عرف الأزهر الإصلاحات والتلوين في عهد الرئيس الحالي، وتوحي ألوانه المائلة إلى الحمرة والوردية بالدفء والحميمية والإشراق.

حلقة أبي الحسن على الأجهوري لإقراء رسالة ابن أبي زيد القيرواني بالأزهر:

ثم يصف إحدى حلقات أبي الحسن علي الأجهوري وهو يقرئ الرسالة لابن أبي زيد القيرواني قراءة تحقيق وتدقيق وأبحاث يعجز عن جوابها جهابذة التحقيق! وأنه حضر مجلسه مع صديق وسمع منه أبقاه الله مدة إقامته بمصر (نفسه 49 - 50) ثم يشير إلى ما كان بالمسجد عند إنشائه من الطلسمات لمنع العصافير من سكناه من الحمام واليمام والطيور (نفسه 50).

ولعل آخر شهادة قديمة نقدمها عن الأزهر الشريف في هذه العجالة ما ذكره محمد بن عبد الله الغيغائي المراكشي في رحلته المخطوطة إلى الحجاز أواخر القرن 13هـ، حيث كتب له الحلول بالقاهرة وللأزهر الشريف أثناء رجوعه من الحجاز إلى مراكش وقد عانى ما عاناه في الحجاز واضطراب أحوال السير والعيس بها في هذه السنة 1375 هـ فإذا بالقاهرة جميع ما يشتهيه من لحم وسمن وفاكهة وحمام وغيره! وفيها ما يسلي القلب من السادات العلماء والفضلاء ... لا يمل أحد منها ... وأهل مصر في كثير من الفرح والسرور لفيض النيل الفيض الكثير وهم في الأعراس والأفراح ... يقول: «وأكرمنا من بها من الأحبة مثل الفقيه الطوبي والفقيه الهداوي وبناني! ... ودام ورودنا إلى الأزهر الشريف وإلى ضريح السيد الحسين نرى الطلبة والقراءة ومجالس العلوم والتلاوة والأذكار» ثم يقول «وبها نساء فقيهات يحضرن مجالس الفقه متنقبات! هكذا» (محمد القاضي: رحلة الغيغائي الحجازية في مجلة التاريخ العربي 384 ص 373 خريف 2006).

السراج يعجب بمقام الحسين قرب الأزهر:

ولا يغفل المغاربة إلى جانب الأزهر ضريح سيدنا الحسين حيث رأسه الطاهرة في روضة مباركة، داخل مسجد يصفه ابن مليح في القرن 11هـ بأنه: «تابوت خشبي مغشى بالحديد وعليه بنيان مجلل بأنواع الديباج محفوف بعقائل من شمع أبيض موضوعة في قواعد من فضة، قد زين أعلى التابوت بأمثال التفافيح من الذهب وفيه من الرخام المجزع الغريب البديع الترصيع، كما أن المسجد الحسيني شبيه بهذا الضريح في الإتقان والإبداع، مع الازدحام الشديد والإقبال الكثير تبركا ودعاء وبكاء[1]» (أنس الساري 50).

عناية حكام مصر ونظار أوقافها بالأزهر والحسين عبر العصور إلى اليوم:

وقد عرف الأزهر تجديدات كبرى وأعمال إصلاح في العصر الفاطمي نفسه من طرف الحاكم بأمر الله لا تزال إحدى بواباتها تحمل اسمه كما عرف إضافات على الصحن من الداخل ببلاطاته مع قبة حافلة على رأس الحاجز القاطع جهة الصحن بتأثير من الهندسة المغربية كما في الزيتونة وجامع عقبة، كما عرفت المدرسة الطيبرسية على يمين الداخل زيادة على الجامع مع ميضأة وحوض ماء لشرب الدواب وخزانة مع تذهيب سقوفها، وعرف الأزهر أيضا المدرسة الأقبغاوية على اليسار وبها الآن مكتبة الأزهر الشريف والمدرسة الجوهرية في الطرف الشرقي الشمالي ثم عرف بالمئذنة ذات الثلاث دورات 873هـ، وعرف مئذنة السلطان قنصوه الغوري سنة 915هـ عالية الارتفاع بالقاشاني وسلمين وزيادات في العصر العثماني وإضافة رواق آخر خلف المحراب وبابا للصعايدة جنوبا مع رواق لهم،

---

[1] - لا تزال العناية موصولة بهذا المسجد المزار مع الاحتفاظ على مركز الضريح قبالة بلاط القبلة منفصلا عنه بمدخلين أحدهما للدخول والآخر للخروج عند الزحمات وفي المناسبات.

وعرف إصلاحات زمن محمد علي وأحفاده وبعده في عهد الثورة الناصرية وإصلاح حسني مبارك أخيرا.

أما المشهد الحسيني فقد عرف بدوره تطورات وتجديدات منذ أن أنشئ سنة 549هـ في عهد الظافر الفاطمي بعدان نقلت الرأس الشريفة من عسقلان ودفنت في سرداب بقصر الزمرد قبل نقلها إلى المشهد الحسيني، فلما أنشئ الأزهر غلب على هذه البقعة اسم المشهد الحسيني وقرر له مدرسون برئاسة الفقيه البهاء الدمشقي عند المحراب والضريح خلفه، ثم عزل الضريح بالجدار ولم يبق من المشهد القديم إلا الباب المعروف بالباب الأخضر، وأنشأ سنة 623هـ أبو القاسم الزرزور مئذنة حافلة فوقه، وأهم إصلاح قام به الخديوي إسماعيل سنة 1379هـ وتركت القبة على حالها ونقل إليه منبر جميل كان في جامع أزبك بالأزبكية (العتبة حاليا)، كما بقي من المشهد القديم المنارة الأيوبية والتابوت الخشبي الأيوبي، ومساحة مع مبنى للإدارة ومكتبة خاصة مع امتداد مصلى السيدات.

تميز الحسين بخزانة الآثار النبوية النادرة الوجود عند ابن بطوطة وأصل قصة جامعها تاج الدين حناء:

وشيدت سنة 1311 هـ حجرة خاصة لبعض الآثار النبوية النادرة ولعلها التي نقلت أولا من دير الطين على الساحل الأيمن للنيل على بعد 5 كلم جنوبي القاهرة إلى رباط الآثار المعروف "بجامع أثر النبي" قبل نقلها[1] إلى المشهد الحسيني بقي منها

---

[1] - عرفت هذه الآثار تنقلات من عهد بني ابراهيم الذين ورثوه أبا عن جد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اشتراها في القرن 7 هـ أحد بني حينا ونقلت إلى مصر وبنى لها رباط على النيل ثم منه إلى قبة الغورى منذ 1275 م ثم بين عدة أماكن إلى ان استقرت بالمسجد الحسيني (موقع alaattar.com).

في المشهد قطعة من قميصه الشريف صلى الله عليه وسلم ومكحلته عليه السلام وقطعة من العصا الشريفة وشعرتان من لحيته الشريفة ومصحفان بالخط الكوفي، وذكر ابن بطوطة قصة تاج الدين بن حناء جامع هذه الآثار قديما (رحلة ابن بطوطة 223/1 والدليل الموجز 242 – 245).

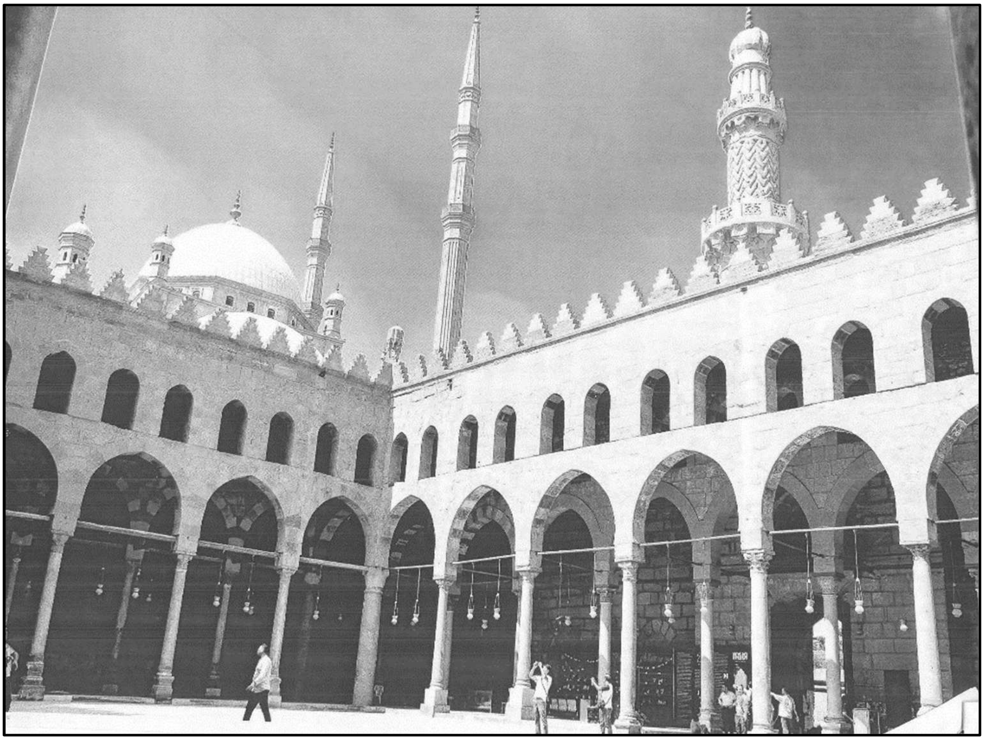

داخل الأزهر الشريف

مسجد الحسين - الواجهة الخارجية الجميلة

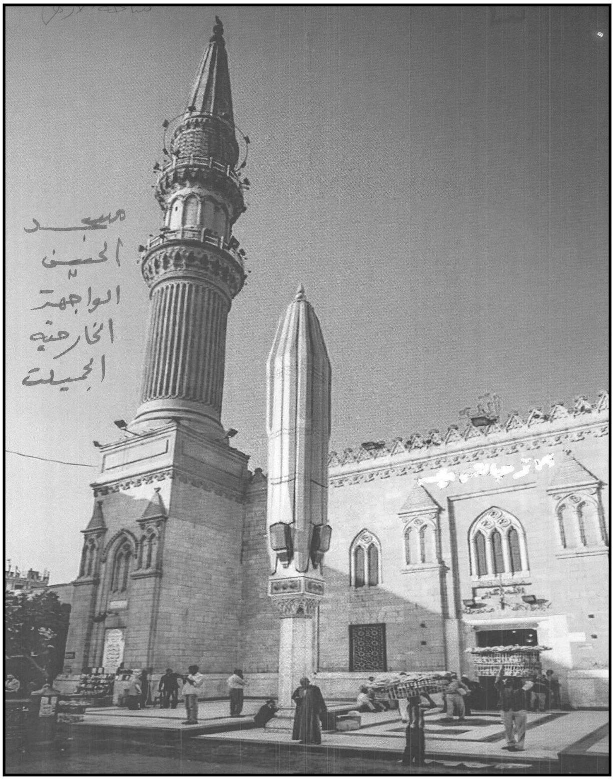

جامع الأزهر - الواجهة الخارجية

مذكرات
أحد الطلاب المغاربة أواخر القرن الماضي
عبد الكريم تارفي
يسجل رحلته باليوم والشهر بعنوان
(كشف الغطا عن رحلتي
من جامع القرويين إلى جامع الأزهر
والقاهرة والإسكندرية وطنطا)

توطئة:

لعله من باب الفضول أن أجيب قبل أن أسأل عن سبب تدوين هذه الرحلة المباركة.

فأقول: هي رحلة تمت بحمد الله بعد انتقائي مع مجموعة من طلبة القرويين الأوائل فقد كنا أربع مجموعات وأرادت الوزارة مشكورة أن تكافئ المتفوقين الحاصلين على المراتب الأولى في امتحانات نهاية السنة الدراسية وكانت من تيسير الله أن كنت ضمن الأربعة الاوائل في مجموعتي وهي المجموعة الأولى، وكان اسمي من بين هذه الأسماء التي رشحتها الوزارة للمشاركة في مجموعة من اللقاءات العلمية بكل من الإسكندرية وطانطا.

يوم الخميس 27 مارس 1997 وابتداء الرحلة:

بعد لقائنا في المحطة الطرقية بفاس وامتطائنا للناقلة التي أوصلتنا إلى سلا في أمن وأمان أخذنا الأخ غميط لحسن إلى بيت أحد أقاربه الذي لم يأل جهدا في إكرامنا والترحيب بنا حتى إنه ليخيل لي من شدة فرحه بالجميع أنه لم يجد مكانا رحبا يسعنا بارك الله فيه وفي من كان سببا في كل هذا ....

دخلنا البيت وبعد أن أخذنا قسطا من الراحة توضأنا وصلينا المغرب في مسجد هناك قرب البيت، ثم بعد العودة قرأنا الحزب الراتب جماعة وأثناء القراءة كان أحدنا يشير بأصابعه إلى رسم القرآن، والآخر يشير إلى عظمة الله، والآخر إما إلى نفي أو استفهام، الشيء الذي جعل باب المناقشة يفتح بعد الحزب مباشرة، وصاحب المبادرة كان هو الأخ: أحمد التقال حيث قال: حتى لا نبقى ساكتين، لا بد أن نتأول موضوعا يخرجنا من صمتنا، فكان الموضوع الذي أثاره جزاه الله خيرا: "ما رأي الإخوان في الإشارات التي تكون أثناء القراءة؟ مع الرجاء من كل متدخل أن يأتي بدليل قاطع يعضد به قوله.

اضطربت الآراء: فمن قائل: "إن الإشارات التي تكون أثناء القراءة لا بأس بها إذا كانت خالية من أنواع التهكم والمزاح". وقول آخر فصل فقال: "إذا كانت نية الشخص خالصة من الرياء والمباهاة بالمعرفة فلا بأس. أما إذا كانت غير خالصة، فلا".

غير أن القول الفصل هو ما أشار له الأخ التقال، حيث أكد على أن الإشارة باليد ليست جائزة تماما، لاسيما وقد نبه على هذا السيد بدر الدين الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن، فليرجع إليه.

كانت جلسة شيقة، تليت فيها آيات بينات وبعض الأمداح النبوية، وأخيرا تناولنا طعام العشاء، وبعده جرت أمور من المناقشة في الدين وإسداء بعض النصائح من أحد الضيوف، ووقتئذ كان الختم ثم الاستسلام للراحة، فإلى غد بحول الله.

يوم الجمعة 28 مارس 1997

وجاء الصباح:

لما استيقظ الكل على أشعة الشمس الدافئة وفي يوم بهيج أخذ الجميع سيره إلى مقر الوزارة حيث موعد اللقاء مع السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور المشمول بواسع رحمة الله عبد الكبير العلوي المدغري الذي أبى سيادته إلا أن يرانا قبل سفرنا، وتلك عادة الوالد العطوف على ابنه، فلا تسمح له عاطفته أن يترك ابنه يسافر من غير أن يودعه ويسدي له بعض النصائح والتوجيهات، بالإضافة إلى تراكم التجارب والخبرات، فيمده ببعض الزاد الذي حتما سينتفع بها في كل تحركاته.

دخلنا قاعة الاجتماع لانتظار السيد الوزير الذي ما مرت إلا برهة من الزمن حتى حضر، عندها افتتحت هذه الجلسة المباركة بآيات بينات من الذكر الحكيم، تلاها الأخ: عبد الحميد الحميدي، وهي من قوله تعالى: "إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا" (فصلت: 30) إلى آخر الآيات، ثم بعدها تناول السيد مدير الشؤون الإسلامية الأستاذ الرزكي الكلمة، حيث عبر في ألفاظ وجيزة كلها شكر وتحيات باسمه وباسم جميع الحاضرين، وقبل إنهاء كلمته تقدم الأخ أحمد الثقال المتحدث باسم الطلبة، ليقول كلمته نيابة عن إخوانه الطلبة في شكرهم للسيد الوزير، الذي لم يأل جهدا لإسعاد الطلبة، مع الإشارة إلى ما تحمله هذه الكلمة من معاني السعادة، وما تحتضنه بين أكمامها من معاني البهجة والحبور.

ثم تقدم السيد الوزير بكلمته التي رحب فيها بالحاضرين، منبها إيانا على أن الغرض من هذه الرحلة هو الاحتكاك بالآخرين والاطلاع على مناهجهم وعلومهم،

والسير بعيدا بما ابتدأه أجدادنا من تنمية المدارك والمعارف والعلوم، كما جاء في تعبيره: "أريد منكم أناسا صالحين مزودين بالعلم والخبرة، وأريدكم ألا تفكروا في المستقبل فمستقبلكم جد سعيد، لكنه مشروط بالعلم والتضلع فيه، فإن العالم الإسلامي متوقف عليكم، بل أنتم عملة رابحة، وسلعة نافذة، فعليكم بالتحصيل والاجتهاد، والحرص على التبحر في العلم"، ثم ختم كلمته جزاه الله بقوله: "أريد بكلمتي هاته أن أجعلكم في الصورة التي وضعناها لكم، فالمستقبل مضمون إن شاء الله تعالى، إنما الباقي هو التفكير في رسالة القرويين، هذه الرسالة التي كادت أن تندثر، لولا أصحاب الفضائل والمصالح النافعة الذين فكروا فيما فيه خير البلاد وإسعاد العباد، وعلى رأس هؤلاء المفكرين الذي يعود له الفضل الأكبر بعد الله تعالى: جلالة الملك الحسن الثاني أدام الله عزه ونصره"[1].

وانتهى الاجتماع، وذلك بعد أن قال السيد الوزير في آخر كلامه: "ولن تسافروا إلى مصر وجيوبكم فارغة، بل خصصنا لكم بعض الدراهم، وذلك حتى تتمكنوا من شراء بعض ما ستحتاجونه هناك، ثم حدد لنا موعدا بعد صلاة الجمعة، وبالتحديد مع الساعة الثالثة بعد الزوال، وبالفعل حضر الكل في الموعد المحدد، وما إن أخذنا الدريهمات حتى كانت الحافلة في انتظارنا أمام باب الوزارة، حيث أخذت مسيرتها وجهة بنك المغرب، ذلك أننا دفعنا الدرهم المغربي، وعوضناه بالدولار الأمريكي، ليسهل الصرف في الديار المصرية.

بعد هذا عدنا إلى الوزارة ليلتحق بنا السيد المدير: (مولاي رشيد العراقي) مدير الدراسة بجامع القرويين آنذاك والأستاذان الجليلان: (سيدي محمد بلحاج

---

[1] - كان هذا إبان حياته أسبل الله عليه واسع الرحمات والمغفرة

السلمي) و (الدكتور محمد ابن معجوز) من علماء جامع القرويين الذين كانوا يدرسوننا بها، وكانوا مرافقين لنا في هذه الرحلة المباركة، وكاتب الديوان بالوزارة السيد (عبد الله رضوان)، ثم كان المسير جهة مطار محمد الخامس، حيث الجو ممطر وبارد، وهكذا وصلنا في أمان الله إلى المطار بأمتعتنا وكل منا بهندام راق وأنيق.

أخذنا الأمتعة كلها لنذهب إلى قاعة الانتظار، حيث كان مكوثنا طويلا بعد أن تأخرت علينا الطائرة، ولم تتحرك بنا في وقتها المحدد، وأخيرا ابتدأ الجميع عند ركوبه الطائرة حياة أخرى، حياة جميلة بكل معاني الجمال بمقاعد الطائرة الرطبة، وبارتفاعها في الجو وتحليقها في السماء، وبالمستضيفين، كانت جميلة بكل شيء، حتى إن الطلبة كانوا يأخذون بعض الصور التذكارية إما فرادى، أو مع زملائهم المرافقين لهم، وهكذا إلى أن وصلنا القاهرة، وبعد ذاك ماذا كان؟ إن أردت أن تعرف يا أخي فإلى الأمام....

السبت 29 مارس 1997

عندما وطئت أقدامنا أرض القاهرة

وصلنا القاهرة على الساعة الخامسة وعشر دقائق صباحا بالتوقيت المصري، حيث وجدنا في الاستقبال المندوب الثقافي بالسفارة المغربية بالقاهرة، وأحد الشخصيات المصرية الذي قدم لنا كل المساعدات حتى خرجنا من المطار، لنجد أمامنا حافلة أعدتها لنا وزارة الأوقاف المصرية، وذلك حتى نتمكن من الوصول إلى الفندق في أقرب وقت، ونأخذ قسطا من الراحة. وبالفعل حللنا بفندق "دار المدرعات بمدينة نصر بالقاهرة"، بحيث كان الوصول مبكرا كما سبق وأن أشرت. ومن المعلوم أن السفر متعب، سيما والنبي صلى الله عليه وسلم يقول (السفر قطعة من العذاب)[1]، ذاك ما لوحظ علينا، فما إن دخلنا الفندق حتى كانت أجسادنا مرتمية على المقاعد من شدة التعب.

أخذنا بعض الراحة، وتوجهنا إلى غرفنا بعدان تسلمنا المفاتيح، وشاء القدر أن يجتمع معي في البيت الذي يضم ثلاثة أسرة ،زملائي في الدراسة، الأخ الفاضل غميط لحسن، والاخ المبارك المرضي مصطفى، بالإضافة إلى عبد ربه عبد الكريم تارفي، غير أننا تضررنا من بعض الضيق، الشيء الذي اضطرنا إلى أن نطالب ببيت واسع، فكان أن جمعتني الأقدار ثانية بالأخ غميط وذهاب المرضي إلى غرفة أخرى، كان هذا بعد ان أخذ كل منا متاعه ليدخله إلى غرفته، وبعده تم استدعاؤنا فورا لنتناول وجبة الغداء، حيث أكل الجميع، ومن ثم نتجه نحو قاعة صغيرة قصد التداول والاجتماع، فكانت النتيجة أن استقر الرأي على أن نصلي العصر ونخرج مع

[1] - صحيح، انظر فتح الباري رقم الحديث 1710 عن أبي هريرة.

الذين حبذوا فكرة الخروج للتجوال بعض الشيء، والرجوع قبل المغرب، حتى يتسنى لنا الذهاب إلى مسجد النور، لندرك صلاة المغرب هناك، وفعلا كنت من الذين لم يتخلفوا عن الموعد، حيث امتطينا الحافلة قاصدين مسجد النور لأداء الصلاة.

مسجد النور فعلا إنه مسجد النور، اسم على مسمى مسجد عظيم وعظيم، لا في هندسته ولا في بنائه ووضع لبناته، بل وفي صومعتيه وقاعاته، فحينما وقفنا أمام بابه وسلمنا أحذيتنا لمن يحرسها، دخلنا إلى وسطه الذي كله رخام وكل أسقفه عالية ومرتفعة جدا، وبينما نحن في إعجابنا بهذا العمران إذ خرج إلينا شيخ وقور، لا يزال في أشده، فرحب بنا وصافح الجميع، وأخذ يتكلم عن هذا المسجد قائلا: إن هذا المسجد يسمى بمسجد النور والمركز الإسلامي، تم وضع حجر أساسه في السبعينيات، ونظرا للتكاليف الباهظة، فإن الدولة قامت بإتقانه وإتمامه، حتى صار جاهزا للصلاة، وقد كانت آخر جمعة من رمضان سنة ألف وتسعمائة وخمسة وتسعين (1995م) هي أول يوم ولادة له، حيث صلى فيه ذلك اليوم الرئيس حسني مبارك، وهو الآن يصلي فيه في الأعياد والمناسبات". وأضاف: "إنه في هذه الأيام القلائل، أتى رئيس تركستان إلى مصر، وحينما زار هذا المسجد أعجب به وراقه، الشيء الذي جعله بعدما رجع إلى بلاده يرسل مجموعة من المهندسين ليطلعوا على معمار هذا المسجد جيدا، ويبنوا له مثله في تركستان". ولا أشك أخي القارئ في أنك حينما تقرأ هذه الصفحات ستندهش، وقد يأخذك الحنين إلى التطلع لرؤية هذه الأرض الطيبة. وهذا ما آمله وأتمنى من الله بكل قلبي أن يوفقك، حتى تتمكن من زيارة الذي أحكيه لك، وإن لم أستطع أن أوصل لك كل شيء، لكن ما لا يؤخذ كله لا يترك جله.

أعود فأقول لك: إن هذا المسجد يشتمل على قاعات من بينها قاعة القران، ما تزال على النظام الإسلامي، ذلك أنه يأتي العروسان مع عائلتيهما، وبالطبع لابد من المأذون (العدلان) ومعه شاهد، فيكتب المأذون ويشهد الشاهد، ليتم حفل الزفاف بقاعة المسجد. بعد هذا شربنا بعض المشروبات قبل أن نصلي المغرب التي صلاها بنا إمام المسجد السيد مصطفى المراغي، لنواصل بعد ذلك اتجاهنا إلى قاعة أخرى، هذه القاعة يستقبل فيها السيد وزير الأوقاف السادة العلماء في كل أربعة أشهر، ليتدارسوا شؤونهم، ثم بعدها إلى قاعة أخرى خاصة بالنساء، ولا يصعدن على السلاليم "الدروج" إنما يمتطين المصعد الكهربائي رحمة بهن، كما زرنا بالمسجد قاعات أخرى مخصصة للساعات الإضافية، وأخيرا جلسنا في قاعة صغيرة لنتناول شيئا من المشروبات قبل أن يقوم إمام المسجد ليهدينا بارك الله فيه ثلاثة أشرطة، واحد للإمام الذي صلى بنا المغرب، واثنان له، وللإشارة فإن الإمام هناك هو الذي يشغل مهمة صلاة العصر والمغرب والعشاء. ولا يكون مؤهلا لمنصب الإمامة إلا إذا تخرج من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر الشريف، ولا تعطى له الإجازة إلا إذا اختبر في حفظ القرآن الكريم كاملا مع التجويد، والتفسير، عند ذلك تسلم له الإجازة ليصبح إماما وواعظا وخطيبا، أو مدرسا بإحدى ملحقات جامعة الأزهر، ثم إن الذي يصلي الفجر والظهر يسمى مقيم الشعائر أي المؤذن عندنا بالمغرب.

انتهت الزيارة بالمصافحة والعناق الحارين، هذا العناق الذي كان قلبيا، يظهر هذا في الكلمات التي قالها السيد المدير حيث شكر الشيوخ الذين رحبوا بنا، والمصريين قاطبة ضيافتهم وحسن استقبالهم، مبينا أن الأزهر والقرويين أخوان

منذ القدم، وما يزالان، ثم حفهم بدعوات صالحات، وختم كلامه بقوله: "السلام عليكم ورحمة الله" ثم تكلم الشيخ عبد الدخيل وكلماته مثل السيد المدير، وختم أيضا بالسلام، وكان هذا هو الاتصال الأخير لنخرج ونركب الحافلة الخاصة بنا، آخذين الطريق صوب الفندق، حيث تناولنا العشاء، وكان أن صادفنا في ذلك الفندق عدة أفراح تقام كل ليلة، ولا أزال أتذكر إحدى الكلمات التي كان يقولها أحد المطربين والعروسان في الوسط: "عين الحسود فيها عود افرح يا عريس".

غير أن الطريف في هذه المسألة هو أن أحد أساتذتنا وهو العلامة محمد بن معجوز كان يتحين فرصة ذهابنا إلى غرفة النوم لينزل هو إلى قاعة الحفلات بالفندق ويتمتع بمشاهدة العرس، ولم يعلم به إلا أحد الإخوة الذي تبعه إلى قاعة الحفلات ليفتضح بعد ذلك أمره وسطنا ونتخذها نكتة مقبولة من أستاذ متحضر فاسي، لا يتحرج من الحضور في مثل هذه الأعراس.

هكذا انتهى هذا اليوم فرحا وسرورا، وأنسا وحبورا، آملا أن امنح من قبل القارئ فرصة آخذ فيها راحتي حتى يتسنى لي في الصباح أن أنقل للقارئ كل ما دار في ذلك اليوم فإلى غد بحول الله.

<u>وإلى الأزهر الشريف غدا بحول الله.</u>

الأحد 30 مارس 1997

- صبيحة المحاضرات -

أشرقت شمس يوم الأحد، وضربت أشعتها الدافئة سطح الأرض، فتناول الجميع طعام الفطور قبل أن نتمكن من امتطاء الحافلة قاصدين ملحق الأزهر الشريف، الذي هو خاص بسكنى الطلبة، وهو ملحق كبير جدا يشبه الحي الجامعي، غير أن هذه السكنى توجد داخل إطار باب كبير، وهذا السكن فيه عدد كبير من طلبة كثير من مجموع أنحاء العالم، كالماليزيين والفيلبينيين والنيجيريين وغيرهم...، وقد لا تكفيني الصفحة ولا الصفحتان، ولا الورقة ولا الورقتان لكتابة اسم مختلف الدول التي ينتمي إليها طلبة الأزهر الشريف، وإنما المهم أن ألمح فقط، حتى أحيط القارئ بكل شيء أو ببعض الشيء، لا سيما وأنه لا تتأتى لي فرصة الكتابة إلا بعد الحادية عشرة ليلا، لأن النهار كله عندنا مملوء، إما محاضرات، وإما زيارات لبعض المعالم المصرية الغريبة والرائعة. فكنت أسرق من وقت النوم لحظات أخصصها لتدوين ما حصلته وما استفدته من يومي.

حينما دخلنا الملحق الموجود بمدينة الدراسة واسمه دار البعوث الإسلامية، استقبلنا بترحاب كبير من لدن المسؤولين هناك، وتوجهنا فورا إلى قاعة المحاضرات للاستماع إلى المحاضرة الأولى الملقاة من طرف الدكتور جعفر عبد السلام نائب رئيس جامعة الأزهر، وهذه المحاضرة تحمل عنوان "الاقتصاد الاسلامي"، ولا تندهش أخي إذا قلت لك إن هذا المحاضر كان يلقي محاضرته من غير استناد إلى كراسة يملي منها على الحاضرين، إنما كان يتكلم من تلقاء نفسه بطلاقة ومن غير تكلف، ولقد بلغ به الحال أن كان يقوم من مكانه بين الفينة والأخرى، إما محركا

يديه بإشارات، أو واضعهما على طاولة أمامه وهو يتحف الحاضرين بكلام وكأنه يحفظه عن ظهر قلب[1].

وعند انتهاء المحاضرة فتح باب المناقشة، فكان التدخل من مجموعة من الإخوة طلبة القرويين، وبالطبع بعد إلقاء كلمة السيد المدير والتي تتضمن الشكر والتقدير والاحترام، وإظهار فضل القرويين والأزهر: محمد الخطابي أولا - محمد الثقال ثانيا - عبد المجيد المرضي ثالثا - المرضي مصطفى رابعا - التهامي بن عزوز خامسا - عبد الكريم تارفي سادسا، وأستسمح إن لم أكن قد ذكرت لكل واحد تدخله خشية أن أطيل، وانتهت المحاضرة الأولى ثم أعقبتها الثانية، والتي كانت بعنوان "الحريات في نظام الحكم الإسلامي فقها وتطبيقا" للأستاذ الدكتور: عميد الحصري، وهو مثل الأول وأكثر! غير أنه أثناء محاضرته يعقب على السادة المالكية وينكت عليهم لكونه شافعيا نظرا لوجود الوفد المغربي وبعض الأفارقة بالقاعة وهم مالكيون، والذي يميز محاضرته أنه أثناء عرضه يطرح سؤالا مرة مرة، حتى إنه قال في لحظة من لحظاته: "كنت أنتظر منكم استفسارات في هذا الموضوع لكن وقع العكس، فأجبناه بأننا لا نقطع الكلام على المحاضر حتى يتم ما عنده، وبعد ذلك يفتح باب المناقشة لنناقشه في كل صغيرة وكبيرة"، وهذا فيه نوع من الاحترام، غير أننا حينما كنا نناقشه ونسائله بعد انتهاء المحاضرة، لاحظنا أنه كان يتحرج من السؤال. لكن لابد من القول: إن كل كلامه كان مفيدا للغاية، ولقد سجلت هنا بعض كلامه وذلك

---

[1] - أعجبت بطريقة هذا الأستاذ المحاضر لأنني كنت اتلقى العلوم من جامع القرويين من العلماء على طريقة الجلوس على الأرض والاعتماد على كراس يقرأ منه الطالب والأستاذ يشرح (التعليم العتيق) على خلاف التعليم الأكاديمي الجامعي وهذا ما جعلني أنبهر بهذه الطريقة التي وقفت عليها لأول مرة

حينما وصل لمحور: "نظام الحكم في المجتمع الإسلامي أو نظام الحكم الإسلامي في المجتمع" قائلا: "لا يمكن لأي دولة أن تنجح والشقاق فيما بين أفراد أمتها"، وقال: "الإسلام دين ودولة ونظام" وسرد علينا هذا الحديث: "خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، قلنا يا رسول الله: أفلا ننابذهم على ذلك؟ قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة"، (مسلم) وكذلك قولة عمر بعدما أصبح خليفة للمؤمنين حين قال: "أيها الناس إذا رأيتم فيَّ اعوجاجا فقوموني"، فقام رجل: فقال اتق الله يا عمر، فرد عليه أحد الجالسين: اسكت، أتقول هذا لأمير المؤمنين! فقال له عمر رضي الله عنه: "أتركه، فإنه لا خير فيكم إذا لم يكن فيكم من يقولها، ولا خير فينا إذا لم يكن فينا من يتقبلها". (وروي أيضا عن أبي بكر بألفاظ اخرى متقاربة وكذا عن عمر).

وصل وقت الظهر، وأخذنا في هذا الوقت نفسا بتناولنا لشيء من المشروبات، ثم بعد ذلك ذهبنا لنصلي في مسجد هناك في الملحق، حتى نتمكن من متابعة المحاضرة الثالثة والتي ألقاها الدكتور: البشاري جلال، والتي عنونها بـ: "المجتمعات والحضارة الإسلامية والخلفية الثقافية عند المسلمين" وهذا المحاضر يرتدي الزي المصري الخاص بعلماء الأزهر، عكس سابقيه، وتظهر عليه علامة الوقار، ما جعل محاضرته تنحى منحى الدرس الإرشادي أكثر منه محاضرة أكاديمية، وهكذا إلى أن انتهت المحاضرة، وكان الوقت ضيقا ما جعلنا نسرع بالعودة إلى الفندق لتناول وجبة الغداء، وبعدها على الفور نتجه إلى القلعة لرؤية بعض المساجد العريقة، وللإشارة فإن القلعة هذه من أعرق مدن القاهرة وهي أيضا موجودة في مصر القديمة.

في داخل قلعة محمد علي: دخلنا القاعة وكان أول مسجد دخلنا له هو: مسجد محمد علي باشا أو مسجد القلعة هذا المسجد أسس سنة 1830م، يمتاز بتوفره على (365 مصباحا) وقد جعلت هذه المصابيح على هذا العدد تمشيا مع عدد أيام السنة الميلادية وقد استغرقت مدة بناء هذا المسجد ثمان عشرة سنة (18 سنة) وله باب يفتح بالأرقام السرية، ومنبران عظيمان، لا يمكنني وصفهما نظرا لتشعب جمالهما ورونقهما أمام ناظري، فيكفيني كلمة عظيم للتعبير عن أبعاد هذه الكلمة المعبرة عن كل شيء، وللإشارة فإن هذه المساجد بالقلعة تتشابه فيما بينها، ويغلب عليها وعلى طابعها وجود التأثر بالعثمانيين، لا في زخرفتها ولا في هندستها ولا في كل شيء، وأغلب رخامه - أي المسجد - من الرخام الإيطالي، الذي يعتبر أفضل رخام في العالم، وقبل وفاة محمد علي باشا أوصى بأن يدفن داخل المسجد، حيث بنى قبره قبل موته وتوفي سنة 1949م.

وفي هذا المسجد يوجد بئر يوسف صلاح الدين الأيوبي، عكس ما يقال من أنه بئر يوسف عليه السلام المذكور في القرآن، وله صومعتان كما هو معروف عن المساجد الشرقية إما صومعتان أو ثلاث أو.... طول كل واحدة من هاتين الصومعتين سبعة وخمسون مترا (57 متر) وله صحن كبير وكبير جدا جميل وجميل جدا، وإذا خرجت من المسجد رأيت بجانبه قصر الجوهرة أو قصر محمد علي باشا[1].

وأبين هنا أنه في كل زيارة لمكان ما، يرافقنا مرشد لأجل أن يوضح لنا كل ما يتعلق بالمكان الذي هو مكلف به، فبعد ان بين لنا بعض ما يتعلق بهذا المسجد، ووصل به الكلام إلى محمد على باشا قال: ما دمنا في قصر الجوهرة أو قصر محمد

[1] - راجع ما تقدم في الجولة الرابعة.

علي باشا فإننا نعطي لمحة قصيرة عنه: فمحمد علي باشا ولد في مدينة قرب ألبانيا وقدم إلى مصر سنة 1897م مع الحركة التركية، وقد حكم مدة ثلاثة وأربعين عاما (43 عاما)، وهو قوي الشخصية، نافذ الكلمة معروف لدى الجميع.

أما قصر الجوهرة هذا فإن فيه قاعة كبيرة، ومدخلا، فأما القاعة فيوجد فيها مكان لأهل المظالم، تبث فيه الشكاوي إليه مباشرة، ولا تزال في هذه القاعة صورة كبيرة لمحمد علي باشا، وبهذا القصر ساعة هائلة مهداة من إحدى الملكات لمحمد علي، وكانت تمتاز بجرسها الذي يدق على رأس كل ربع ساعة، وكل جرس يخالف الآخر.

بعد زيارة القصر انتقلنا إلى مسجد الناصر محمد قلاوون، وهو أحد المماليك البحرية، والمسجد يحتوي على قبة خضراء منصوبة على أربعة أعمدة، وفي كل زاوية من زوايا المسجد يوجد عمود صغير مرفوع بـمتر واحد، وعلى شكل "طربوش" محمد علي باشا، وهو مسجد كبير للغاية ككل مساجد مصر العتيقة، وكان قبله في هذا المكان مسجد صغير قديم.

وبعده أخذنا المسير نحو مسجد أحمد الرفاعي مبلغ الطريق الرفاعية، وهو مثل المساجد السابقة، إلا أنه يضم قبر الخديوي إسماعيل، وقبر أمه، ثم قبر ثلاثة من أزواجه، وكذا قبر السلطان حسين كامل، ابن فؤاد السلطان، وبداخل هذا المسجد ما يسمى بالمبلغة أي مكان مغطى، وهو صغير، والذي يثير الانتباه هو أنه يشترط في المسمع عندهم ان يكون تحت قبة، وهذا على الشكل القديم، حينما كانت المساجد بدون مكبر الصوت، والسر في ذلك أنه حينما تكون القبة فإن الصوت يكون له صدى فيتردد في كل المسجد، كما توجد أيضا "الدجنة" وهي مصورة عند

المصريين في عشر جنيهات[1]، كما أن المسجد يحتوي على منبر، هذا المنبر مكون من ست وثلاثين ألف قطعة خشبية ملتصقة ببعضها، وما فيه مسار واحد، وقد استغرقت مدة بناء هذا المسجد ستا وثلاثين سنة من غير توقف، وكانت التي بنته السيدة خوشار هانم بنت محمد علي باشا، وأم الخديوي إسماعيل، والملاحظ في فرش هذا المسجد أن زرابيه منقوش عليها وردة مشابهة لأختها في السقف ويبلغ عمر هذا المسجد مائة وثلاثة وعشرين عاما.

وأحد هذه المنابر التي سبق ذكرها مكسو بخشب الصندل[2] الذي حينما يحك تخرج منه رائحة عطرة فسبحان الله، ومن مميزات هذا الخشب أنه لا يتسوس فيتفتت.

وهناك أمام المحراب قاعة كبيرة خاصة بعقد القران، كعادة كل مساجد مصر، وهناك وراء المصلين قبر فاروق الأول، المتوفى سنة 1965 م وبجانبه قبر فؤاد والد فاروق، وأيضا قبر الملكة فيريال أم فؤاد وأيضا قبر محمد رضى بهلوي هذا القبر المصنوع من رخام باكستاني يمتاز بنوع جميل أضفى عليه رونقا وجمالا، ومحمد هذا كانت وفاته سنة 1980، وهو المعروف بشاه إيران الذي طرده الخميني إلى مصر.

بعد زيارة هذا المسجد أخذنا الاتجاه إلى مسجد آخر، ألا وهو مسجد السلطان حسن ولشساعته وكبره يعده المصريون هرما رابعا من جملة الأهرام المصرية، وهو يحتوي على أربعة مدارس كل واحدة منها تدرس مذهبا من المذاهب الأربعة: "مذهب الإمام مالك والشافعي، وأبي حنيفة وابن حنبل" وتضم كل واحدة من هذه المدارس مائة وخمسين (150) طالبا، كما يوجد بداخل المسجد

---

[1] - تعريف موجز للفائدة.

[2] – عود الصندل هو المسمى عند المغاربة بعود القماري وهو أفضل ما يبخر به وله خصائص وقائية وعلاجية معروفة.

مستشفى لعلاج الدماغ، وهو أول مستشفى في هذا التخصص بمنطقة الشرق الأوسط، وهو أقدم من مسجد محمد علي بـخمسمائة سنة (500)، وبداخله مسجد يسمى الفوارة، مكتوب بداخله سورة الفاتحة بخط كوفي رائع، ويحتوي على منبر السلطان حسن، وهو على شكل قبة البيت المقدسي، لكن الملاحظ لابد أن يلفت نظره شيء غريب، هو أن كل المساجد مغطاة الصحن بخلاف مسجد السلطان حسن هذا، فهو وحده الذي سماء صحنه غير مغطاة.

ويوجد بالمسجد أيضا قبر الأخوين شهاب أحمد، وعماد إسماعيل، ابني السلطان حسن، وفوقهما قبة مكونة من حجر مقبوض بخشب في شكل هندسي فائق الجمال، كما ترى عند دخول المسجد بيتا يسمى بيت يوم المظالم، يجلس فيه السلطان حسن قصد الاستماع للدعاوي والشكاوي وبجانبه شكل هندسي على شكل تماثيل: الحاشية والخدم ووكيلان واقفان بجانب السلطان كل منهما يحمل بندقية في يده.

الخروج من القلعة: خرجنا من هذا المسجد، ونحن في طريقنا إلى مسجد السيدة زينب رضي الله عنها، وقفنا وقفة قصيرة بمسجد أحمد بن طولون، هذا المسجد المدهش بقببه العالية جدا، وصومعاته الطويلة البعيدة المدى، وبداخله ثريات ليست كالثريات، بل هي على شكل أنابيب دائرية دوائر صغيرة، مكتوب عليها: "الله نور السماوات والأرض"[1] وكانت تضيء أول الأمر بالزيت، ثم تحول الأمر إلى الشموع، وبعد التقدم والتطور إلى الكهرباء، وبالطبع هناك مكان لعقد القران، وللإشارة فإن كل المساجد التي تحتوي على قاعة للقران، تحتوي على قاعة العزاء، حيث يكون أهل الميت في الباب، ويأتي المعزون للسلام عليهم، ثم الدخول

---

(1) - سورة النور الآية 35.

إلى القاعة، وفي هذه اللحظة يقوم أحد العلماء ليلقي درسا بالمناسبة، ثم يفترق الجمع كل إلى حاله، وقد استطردت هذا الكلام لأنني نسيت أن أنبه عليه آنفا لكوني كنت منشغلا بكل هذه المآثر الباهرة، لأن الشيء إذا كان كثيرا يخيل وكأنه لم يكن، فلكثرة هذه المشاهد وروعتها وانغماسي في التمتع بها، لم يظهر لي شيء بعد ظهور كل شيء ومن شدة الظهور الخفاء كما قيل.

وآخر المعلومات عن هذا المسجد أنه في عهد جمال عبد الناصر وسع كثيرا وآخر من وسع وزاد فيه الرئيس الحالي حسني مبارك.

ثم كان الختم بالذهاب إلى مسجد السيدة زينب، بنت بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخت الحسنين رضي الله عنهم جميعا. هذا المسجد يوجد بحي السيدة زينب وله مكانة عظيمة في نفوس المصريين، وبه زخارف وزراب هائلة من الطراز الرفيع.

وكما هو المعتاد، جلسنا في قاعة المسجد الخاصة بالقران، وشربنا شايا بالقرفة، ولا يعطى شراب القرفة إلا في المساجد التي فيها صلاح وأولياء ذوو منزلة عالية جدا، ولا يقدم هذا الشاي إلا للوفود العزيزة والغالية.

ثم دخلنا إلى قبر السيدة الفاضلة زينب، فقرأت ما تيسر من القرآن إهداء لروحها الكريمة، ودعوت الله لها ولسائر المسلمين، حيهم وميتهم بالرحمة والمغفرة والنعيم المقيم خالدين فيها أبدا، إن الله عنده أجر عظيم.

إلى هنا انتهت هذه الزيارة المقررة هذا اليوم، فإلى غد جديد، ومع خبر سعيد بحول الله.

فإلى طنطا غدا بحول الله

الاثنين 31 مارس 1997

- يوم في طانطا -

كان الاستيقاظ مبكرا على الساعة السادسة والنصف صباحا، وذلك حتى يتسنى لنا الفطور مبكرا، والخروج في الساعة السابعة كما هو مقرر، قاصدين مدينة طانطا وكان الكل يرتدي الزي المغربي التقليدي: "الجلباب والطربوش الأحمر" حيث إن الكل في غاية سروره وابتهاجه، مما جعل أبا عمر القيم المرافق لنا من طرف وزارة الأوقاف المصرية يطلب منا أن نأخذ صورا تذكارية جماعية.

كان المسير نحو مدينة طانطيطا قديما، وطانطا حاليا، هذه المدينة التي توجد في المحافظة الغربية بشمال القاهرة، وفي الطريق لاحظت أن أغلب فتيات مصر يرتدين زيا محتشما! فحتى المتزينات منهن والمتبرجات كن يغطين رؤوسهن! ولاحظت أيضا وجود لوحات جنب كل طرق مصر وحيطان الأزقة مكتوب عليها: أختي المسلمة: "الحجاب فريضة فيه عفة وطهر لحياتك" وأخرى مكتوب فيها - "فلا ننس الله"[1] وغير ذلك...، استمر المسير مع ملاحظة وجود السيارات بكثرة في كل الشوارع مما يسبب عراقيل كثيرة في نظام السير، فهم لا ينتبهون للضوء الأحمر، وإنما يستمر الكل في سيره إلى أن يوقفهم الشرطي بعد مجهود كبير، مما يؤدي بالذي يريد أن يعبر إلى الرصيف الآخر الانتظار أكثر من 10 دقائق[2].

المسير مستمر على بركة الله، فمررنا بمدينة الجندل، والمنوفية، التي وجدنا على أحد حيطانها وبعض لافتاتها وحوانيتها: "الله" "في رعاية الله" "بسم الله توكلت على

---

(1) - شجع هذا الاتجاه في مصر والسعودية خاصة كل من الإخوان والسلفية في أواسط الفورة والصحوة، ثم آل الأمر إلى مبالغات ومحاسبات وإلزامات أخرجت اللافتات عن هدفها التوعوي العام.

(2) - تناقضات يعيشها المسلمون ما بين شعارات مثالية ووقائع تكذب هذه الشعارات عملا لا قولا.

الله"، "بسم الله ما شاء الله"، "عليك بتقوى الله"، وهكذا مررنا بمدينة قليوب، وقها، وقوسنا، وأخيرا كان الوصول في أمن وأمان إلى المحافظة الغربية إلى مدينة طانطا حيث استغرقت الرحلة مدة تزيد على ساعة وأربعين دقيقة، وكالعادة كانت الحيطان واللافتات لابد فيها من ذكر اسم الجلالة والتذكير بالله.

وكان أول ما زرناه في مدينة طانطا كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية التابعة للأزهر الشريف، فكان ترحاب الطلبة والمسؤولين بنا كبيرا، وكانت الحفاوة كل الحفاوة، والاستقبال الحار، وفي مرافقتنا ضباط وحراس ووكيل.

دخلنا الكلية واتجهنا مباشرة إلى قاعة المحاضرات، فكان استقبال الطلبة لنا استقبالا رائعا، صاحبه بعض الضوضاء، ورفع الأصوات، واستقبال برفع الأصوات، حتى دفع ذاك بالمسؤول أن عيّرهم بقوله "اسكتوا يا حمير"[1] ورغم هذا الشتم فإنهم لم يأبهوا أو يتأثروا ليردوا عليه، ولم يستطيعوا أن يخفوا فرحهم بنا!!!

قام المحاضر ورحب بالجميع، وأردف ترحابه بسؤال جميل، معللا أن هذا السؤال كثيرا ما يروج داخل الأوساط، وأنه لابد للدعاة أن يعرفوا الإجابة عنه، حتى لا يفاجأوا بمن يسألهم فيرتبكون، والسؤال كان كالتالي:

"نجد في القرآن الكريم اختلافا في عدد الآي بين جمهور كبير من المسلمين، فمنهم من يقول: هذه السورة مثلا تحتوي على مائتي آية (200) بينما يقول فريق آخر: لا، بل هذه السورة تحتوي على مائة وتسعة وتسعين آية فقط (199) فما سر هذا الخلاف؟ هل هو مؤثر أو غير مؤثر؟ خصوصا إذا طرح عليكم هذا السؤال من قبل أحد الملحدين، وقال: إن قرآنكم غير مضبوط تماما".

---

[1] – من الشتائم العادية بمصر، وذلك لبلادة حس بعض أهلها، ووخم تربتها، وخضوع المصريين عبر العصور لمعاملة المسؤولين لهم، وتمتعهم أحيانا بهذه الشتائم.

كانت هناك إجابات غير مقنعة من أحد إخواننا، لكنه أجاب هو قصد أن يستفيد الجميع فقال: إن علماء المسلمين اختلفوا في البسملة هل هي من القرآن أو ليست منه؟ فمن قال إن البسملة من القرآن، وبالتالي من السورة، يزيدون البسملة على مائة وتسعة وتسعين آية (199) فيكون مجموع آيات السورة مائتان (200) ومن قال إن البسملة ليست من القرآن لم يترتب على مجموع آيات السورة إلا مائة وتسعة وتسعون (199)، وهذا هو سبب الزيادة والنقصان، وسبب آخر يحتاج إلى إعمال فكر، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا علم عن جبريل عن رب العزة، أن سورة من السور قد اكتمل نزولها واستقر ترتيبها، ثم قرأها على أصحابه ملتزما بالوقف على رأس كل آية، ليعلم أصحابه ذلك، ويطلعوا على رؤوس الآي، فإذا ما قرأها (نفس السورة) مرة أخرى على أصحابه، والحال أنه قد يكون فيهم من حضر القراءة الأولى، ومن لم يحضرها، فيختلف وقوفه صلى الله عليه وسلم على رأس آية من الآي، فيوصلها بأختها فينجم عن ذلك ويتحصل عدم التزامه صلى الله عليه وسلم بالقراءة الأولى، فيظن من حضر القراءة الأولى ولم يحضر الثانية، أن الآية واحدة وليست آيتين.

ثم إن الصحابة خاصة في أخريات حياته صلى الله عليه وسلم تفرقوا في الأمصار، فكان كل صحابي يعلم أهل ذلك البلد الذي حل به، وهكذا، فينشأ بين من حضر القراءة الأولى ومن حضر القراءة الثانية خلاف[1].

وعلى كل، فإنه لا يضر سبب اختلاف آي القرآن ولا يؤثر فيه، وهذا الخلاف إنما هو في العدد فقط، ولا يضر إلا الخلاف في الزيادة والنقصان.

---

[1] – كتب علماء القرآن فصلا في "علم العد" لضبط هذا الاختلاف وذكر أسبابه.

محاضرة كلية أصول الدين بطنطا:

لما انتهى المحاضر من جوابه عن السؤال الذي ألقاه، انتقل إلى المحاضرة التي هي في علوم القرآن، وبالضبط في معرفة المكي والمدني، وحسبما جاء في كلامه أنه يبني محاضرته على سؤال وجواب، حتى لا ينام الطلبة، وحتى يتفاعلوا معه، لهذا نجده يلقي سؤاله الأول قائلا: ما دلالة عناية المسلمين بالمكي والمدني؟

فأجاب: نحن نعلم أن الكتب السماوية السابقة وكل الله تكليفها للبشر، ما عدا القرآن فقد تكفل الله به وبعنايته، ولهذا هيأ له الأسباب من البشر بأن يسر حفظه، وجعل غيرة المسلمين عليه لا تعادلها غيرة وهكذا، ثم سأل: ما الطريق أو السبيل لمعرفة المكي والمدني؟

فأجاب: هو النقل الصحيح عن الصحابة والتابعين، وهو أمر طبيعي، لأنهم هم الذين شاهدوا الوحي وعاصروا نزول القرآن الكريم، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يعرفون كل شيء عن القرآن، ولذلك حينما جاء يهودي إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال له: "لقد نزلت عليكم آية لو نزلت علينا معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدا، قال عمر: قد عرفتها، وهي قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم)[1] الآية، حيث نزلت يوم عرفة في كذا وكذا"، وهناك اصطلاحات كثيرة للقرآن الكريم في علم المكي والمدني:

الاصطلاح الأول: أن المكي ما نزل بمكة والمدني ما نزل بالمدينة، وهذا التعريف غير دقيق وغير جامع، لأن في القرآن ما نزل ببيت المقدس، كقوله تعالى

[1] - المائدة: 3.

(واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) [1] وصدر سورة الأنفال نزل بصحراء بدر على بعد **160** إلى **170** ميلا من المدينة، ومع ذلك أدمجت في المكي والمدني.

الاصطلاح الثاني: المكي هو ما صدر بـ: (يا أيها الناس) والمدني ما صدر بـ: (يا أيها الذين آمنوا) وذلك لأن الكفر كان متفشيا بين أهل مكة، فخوطبوا بلفظة الناس، وألحقوا به يا بني آدم، أما أهل المدينة فإنهم مؤمنون، ولذلك خوطبوا بيا أيها الذين آمنوا، وهذا غير صحيح أيضا لأنه غير مطرد، فهناك كثير من الآيات القرآنية مصدرة بيا أيها الذين آمنوا وهي مكية، وكم من آية مصدرة بيا أيها الناس وهي مدنية، وهذا غير جامع أيضا.

الاصطلاح الثالث: وهو الصحيح أن المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعد الهجرة ولو بجوف الكعبة، وهذا الكلام تذييل لقولهم: ان المكي يعالج العقيدة من توحيد لله وتنزيه لرسوله من النقائص التي شتمه بها الكفار والمشركون.

ثم ختم كلامه جزاه الله خيرا بقوله تعالى: (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده)[2] بعد أن أخذ سورة يس كمثال على السور التي تعالج العقيدة إلى أن أتى على ختمها بعد تحليل جميل وبعض الشرح.

ومباشرة بعد المحاضرة، اتجهنا إلى قاعة السيد العميد لتناول شيء من الحلوى وشيء من المشروبات، ولكن قبل ذلك لابد من التذكير بالحفاوة التي لقيناها هناك من قبل طلبة هذه الكلية، هؤلاء الطلبة الذين يمثلون الطالب المثالي في البلاد الإسلامية، نظرا لما يتميزون به من الطيبوبة والقلب السليم، والحب الصادق،

---

[1] - الزخرف : 45.

[2] - الروم : 27.

لدرجة أنهم ما أرادوا مفارقتنا ولا تركنا نخرج من قاعة المحاضرات إلا بجهد كبير، حيث لم يزلهم من طريقنا إلا المسئولون ورجال الأمن، فكان أن توجهنا لنستريح بعض الشيء، ونلتقي بالإخوة المسؤولين عن الكلية، وفي أثناء الجلسة تدخل السيد العميد ليقول كلمة قصيرة بالمناسبة، وبعده الأخ محمد الثقال ثم الأخ حمو أراموا حول كلية أصول الدين.

ودعنا الجميع بعناق حار ومؤثر للغاية، حتى إن ركوبنا للناقلة كان مكرها، فلقد ترك هؤلاء الطلبة وكل شعب مصر لدي شعورا بالحب والاحترام والتقدير، فشعب مصر شعب مندمج مع الجميع، ولا أدل على ذلك من الحفاوة التي رأيناها وشاهدناها منهم، وأظن أنه ليس هناك شعب يضاهي شعب مصر والمغرب في مثل هذه الحفاوة وهذا الترحاب.

كان خروجنا من الجامعة على هذه الحالة إلى المسجد الأحمدي الذي يرجع نسبه إلى السيد أحمد البدوي، المغربي ابن مدينة فاس وفي طريقنا مررنا على أحد أقدم ثانوية في القاهرة، هذه الثانوية التي يرجع تأسيسها إلى سنة 1911م، ووصلنا المسجد الأحمدي فدخلناه ورأينا قبر الولي الصالح: أحمد البدوي وكذا أثر قدمي النبي صلى الله عليه وسلم على حجرة في وعاء خاص. وما إن رأيت موضع قدمي المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى كادت روحي أن تنفصل عن جسدي من كثرة الفرح، لدرجة أنني ما صدقت نفسي أنني أمام هذا المشهد العظيم الرائع[1].

[1] – احتفظ المسلمون محبة للرسول ببقايا آثاره التي تذكر به في عشق كبير وبذل الأموال في الحصول عليها وجمعها في خزانات خاصة كما مر بنا عند الدخول إلى مسجد الحسين آنفا.

بعد هذه الزيارة الخفيفة لها المسجد، أخذنا المسير نحو إدارة المحافظة للقاء السيد محافظ طانطا الغربية، ولزيادة لفائدة، فإن مدينة طانطا تحتوي على ست وعشرين (26) محافظة، ومكانة المحافظ كمكانة الوزير، وكبير المحافظين هو الوزير، وقاعة المحافظ كقاعة الوزير، إلا أنها أصغر منها بعض الشيء، وطانطا هذه مدينة صناعية يوجد بها أكثر من ألف مصنع، وبها أكبر مصنع في الشرق الأوسط لصنع الغزل والنسيج بحيث يضم أكثر من ستين (60) ألف عامل لحلج القطن وإعداده صناعيا.

ونحن في انتظارنا للسيد المحافظ إذا بي أسمع الهزيج وبعض الطرب، فسألت: فقيل لي: إنه بمناسبة الاحتفال بالأم المثالية التي يكون زوجها متوفى عنها فتقوم هي برعاية أبنائها وتربيتهم تربية إسلامية، بحيث تحفظهم القرآن وتتعب في خدمتهم حتى تهيئهم تهييئا إسلاميا سليما لذا فإن السيد المحافظ يقوم بتوشيحها بالوسام الذي تستحقه، ويسلمها الهدايا تشجيعا لها ولجميع الأمهات على المضي قدما في هذا المنهج التربوي.

ولما انتهى من عمله ولحق بنا في القاعة، افتتحت الجلسة بآيات بينات من سورة الفتح: ما تيسر من قوله تعالى (محمد رسول الله)[1] إلى آخر الآية من طرف المقريء عبد الحميد الحميدي، ثم تناول الكلمة السيد المدير، وبعده الأخ محمد الخطابي الذي أكد ما قاله المدير مع بعض الزيادات، ثم تلاهما الأخ حمو أورامو الذي أتحفنا بأبيات شعرية جملية قال:

يا شـــيوخ الهـــدى أتينـــاكم مـــن   فـــاس تحـــذونا رغبـــة في الرشـــاد
حـــاملي البشـــرى والتحـــايا إلـــيكم   مـــن شـــيوخ حمـــاة فقـــه وضـــاد

---

[1] - الفتح: 29.

كرهـــوا الكفـــر والفســـوق إلينـــا وانشرـــوا فينـــا هـــدى خـــير العبـــاد
أبلغـوا الأزهـر الشـريف بأن الــ ــــــقرويين شمســــــه في اتقـــــاد
هيـــأ الله جهبــــذا مـــن بنيهـــا فـــــأنار الســـــبيل للوقـــــاد
لـيس يالـوا في خدمـة الـدين جهـدا همـــــه أن يفـــوز يـــوم المعـــاد
رافعــا رايــة اعتــدال أمــام النــ ـــــاس دون تطـــرف واشـــتداد
أبلغــــوه بأن الصـــرح متـــين فيــه عبــد الكبــير خــير العمــاد
يا شــيوخ الهــدى أتينــاكم مــن فــاس تحــذونا رغبــة في الرشــاد
أبلغـوا الأزهـر الشـريف بأن الــ ــــــقرويين شمســــــه في اتقـــــاد
عينــت فيـــه نخبـــة مـــن شـــيوخ نهضــــوا بالتعلـــيم والإرشــــاد
رسمـــوا الصـــورة الصـــحيحة للـــد دين أزالـــــوا الغمــــوض في كل ناد
أرشــــدونا لمــــا أراهم رشــــيد مــــا بــــه يهتــــدون نحــــو الســــداد
أرشــدونا لــكي نســير عــلى النهـــ ـــج الـــذي خطـــه أمـــير الـــبلاد

ثم تناول الكلمة السيد المحافظ، فرحب بالجميع عظيم الترحاب، وأعطانا شروحات عن هذه المحافظة وما تزخر به من صناعة وزراعة، بحيث نجد من بين منتوجاتها: الأرز والقطن والأثاث والحرير والثياب. وتصدر للغرب البطاطس، ولأمريكا الآلات الزراعية، "وفوق كل هذا فنحن نهتم بالثقافة" (كلام السيد المحافظ) ويوجد بالمحافظة أُقدم معهد في القاهرة هذا المعهد يسمى "معهد أحمد البدوي" الذي تخرج منه الشيخ محمد عبدو والإمام الشعراوي. وبالمناسبة فإن الشعراوي هو القائل: "لا آخذ القرار من رأسي، حتى آكل الخبز من فاسي"، وعلى ذكر السيد أحمد البدوي فإن نسبه ينتهي إلى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبالضبط

إلى الحسين بن علي، وقد أنشأ هذه المدرسة في التصوف إلى أن جاءت الحملة الفرنسية التي لم تجد مقاوما أكثر من أتباع هذا الولي الصالح الذين تمكنوا من أسر ملك الفرنسيين الذي فدته أروبا بعد.

وأضاف السيد المحافظ إنه زيادة على ترجمة الولي الصالح - رحل أبوه من أرض الحجاز إلى المغرب، وقطن بفاس بزقاق الحجر، وهنا ولد هذا الابن الصالح سنة خمسمائة وستة وستين (566م)، وحينما وصل سنه سبع سنوات عاد به أبوه مرة ثانية إلى أرض الحجاز، وأثناء مروره مكث في مصر حتى نهل من النيل مدة سنتين، ثم انتقل إلى الحجاز، فكان استغراق الرحلة أربع سنوات، وهناك حفظ القرآن وبعض العلوم، وتلقى المذهب الشافعي، فكانت علامة النجابة بارزة عليه، بالإضافة إلى نزعته الصوفية، وحينما بلغ سنه سبعة وعشرين عاما (27) طلب من أخيه الحسن الذهاب معه إلى زيارة بعض الأولياء الموجودين في العراق فأبى، لكنه بعد إلحاح كبير ذهب معه، غير أنه تركه هناك بعد أن أمضى معه بضعة أيام، ما جعله يلحق بأخيه ثانية بالحجاز، وذات يوم حسبما قال المرشد[1] حكاية عنه: "جاءه هاتف في منامه وقال له: عد إلى مصر وفيها ستموت ويكون لك قبر يزار"، وفعلا رجع إلى مصر ودخلها بأثوابه البدوية، وهذا سر تسميته بالبدوي، فنزل طانطانا، أي طانطا وكان يحب التدريس في السطح، بحيث قضى به مدة 40 سنة، ولهذا يطلق على أتباعه اسم (السطوحية)، وهو عالم كبير وجليل لدرجة أنه كان يمكث في تفسير آية واحدة ما بين الظهر والعصر فلا يتمها، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تبحره العلمي، والفتوحات الربانية التي أكرمه الله بها ، وقبل وفاته

---

[1] - أي الدال الذي يروي لنا سيرته خلال الرحلة.

رحمه الله أوصى أحد تلامذته بالقيام بشؤونه، وهو عبد العال. وعندما تأتي مناسبة ذكراه فإنه يجتمع في مدينة طانطا أكثر من مليونين من المسلمين. والملاحظ في مسجده أنه جد مملوء بالزوار والزائرات.

هذه نبذة قصيرة من حياة هذا الولي الصالح رحمه الله، وهذا هو السر في كلام المحافظ الذي جاء فيه: فبيننا وبينكم نسب وصلة قويتان، بالإضافة إلى صلة القرويين بالأزهر الشريف. كما أشار إلى أن المؤتمر المنعقد بالمغرب للجنة القدس جد هام ومشرف للغاية، ثم ختم الجلسة بان أعطى هديتين جميلتين لرئيسي الوفد السيد رشيد العراقي، والسيد عبد الله رضوان.

بعد ذلك خرجنا من المحافظة وكانت الساعة تشير إلى حوالي الثانية والنصف زوالا وكانت حرارة العناق تفوق حرارة شمس يوليوز وغشت، مما يجعلني أكن الحب والإحترام لكل مصري، فلطالما سمعت عنهم والآن قد شاهدت وليس الخبر كالعيان، ولنعد بعد الغذاء لإتمام الزيارة.

بعد أن أكلنا وشربنا في أحد الفنادق المسمى فندق "عرفة" الذي أهدانا بعض الهدايا، من ضمنها علبة فيها حلوى وهذه صورة للعلبة التي كانت تحتوي على الحلوى[1]، أخذنا الطريق ثانية لزيارة الجديد من مسجد السيد أحمد البدوي لنرى جلبابه ورداءه، والملاحظ هو غلبة اللون الأحمر على هذا اللباس، وتلك عادة المغاربة، ثم عقيق كبير على شكل سبحة مكون من ألف حبة، كل حبة لا تشبه الأخرى، سبحان الله! وكذلك عصيته الصغيرة، وهذا لا يكفي فيه الإخبار ولا

[1] – أنظر الصورة في الملحق الخاص بالصور آخر الكتاب.

السماع، وإنما لا بد من رؤية كل هذا، وأتمنى لكل من اطلع على هذه الوريقات أن يشده الحنين لزيارة ومشاهدة هذه المعالم التي لابد من رؤيتها.

الرجوع إلى القاهرة:

وأخيرا جلس الجميع في قاعة لأخذ قسط من الراحة، وشرب كوب من القرفة، هذا وكان الخروج من المسجد والركوب في الحافلة على الساعة الخامسة والنصف عشية، قاصدين القاهرة، وفي الطريق ومرورا على نهر النيل، توقفنا بضع دقائق، وأخذنا بعض الصور هناك، فسبحان الله! كم هو جميل موقع هذا النهر العجيب، فكلمة جميل لا تكفي لوصف جمال الطبيعة المحيطة بهذا النهر، ولا تكفي كلمة رائع لوصف روعة ما شاهدته، فمصر فاتنة وجذابة وذات مناظر خلابة تجعل العاقل يفرح دون تصنع ولا تكلف.

وكذلك مرورنا بشارع "طلعة حرب" رائد الاقتصاد المصري، ومنشئ أول بنك في القاهرة، ومررنا كذلك بالميدان وعربة "الكوتشي" التي يسمونها "حنطور".

وقد وصل الجميع بعد المغرب، فتناولنا العشاء، ونظرا للإرهاق الذي أصابنا من جراء هذا السفر الطويل الذي هو قطعة من العذاب سلمنا أنفسنا للراحة فإلى غد بحول الله تعالى وأتركك أخي القارئ في رعاية الله وحفظه.

****

الثلاثاء 1 أبريل 1997

في دار الإفتاء الكبرى بحضور مفتي الديار المصرية

نصر فريد محمد واصل

كان هذا اليوم هو أول يوم آخذ فيه راحتي التامة، فلقد نمت كثيرا لدرجة أنني ما تناولت هذا الصباح وجبة الفطور، بل انطلقنا بعد الاستيقاظ إلى الحافلة قاصدين دار الإفتاء للقاء السيد: نصر فريد محمد واصل مفتي الديار المصرية وكان وصولنا إلى دار الإفتاء في الساعة الحادية عشرة صباحا، حيث وجدنا في استقبالنا السيد المفتي ووكيل السيد الوزير.

وجلسنا جميعا فتناول الكلمة السيد المفتي؛ ومما جاء في كلامه بعد التحية والترحاب: "إن للمغرب فضلا كبيرا في نشر الإسلام بالشرق، كما أن للشرق فضلا على المغرب، فلا يحق لنا أن نترك الخلاف الشرعي وتوحيد كلمة المسلمين، وخصوصا مسألة الصيام، إذ كيف يتصور ان تكون العبادة سبب فرقة بين المسلمين؟ بل كيف يكون في بلد واحد مناهج عدة؟ واحد يصوم مع المشرق وآخر مع المغرب فلماذا لا نتوحد؟ وواصل كلامه قائلا: ثم إن سبب اختلاف المسلمين قديما كان في عدم المواصلات، أما الآن فقد أصبحت المواصلات والحمد لله في قمة القمم، وبواسطة الأقمار الاصطناعية يمكن أن يشاهد العالم الهلال في وقت واحد.

وبناء على هذا فإننا نرى أنه من الأفضل أن نوحد الصيام ونتحد جميعا، فلا تعارض بين العلم الحديث والرؤية الشرعية، وقد اقترحت أن تتكون لجنة لهذا الغرض، حتى تتمكن من توحيد الصيام، سيما والإمام الغزالي يقول: "العلماء بأقوالهم لا بأفئدتهم هم الذين فرقوا الشمل".[1]

---

[1] - هذا رأي واجتهاد اقتضته ضغوط الإعلام والرأي العام، وتخللته أخطاء ومبادرات صححت بالتدرج واستقر الأمر على الأصل وأن لكل بلد رؤيته بالعين المجردة.

وطريقة الرؤية عند المصريين تثبت برؤية عدلين من رجال الحكومة، وعدلين من رجال العلم، ثم باثنين من عامة الناس، وقد كانت الجلسة ماتعة مع السيد المفتي ونافعة، ثم أخذنا الطريق جهة وزارة الأوقاف المصرية للقاء مع السيد الوزير، وذلك حوالي الساعة الثانية عشرة زوالا.

وكان دخولنا إلى وزارة الأوقاف المصرية، ولا تسل عن الحفاوة والبشاشة التي استقبلنا بها موظفو الوزارة قبل دخولنا قاعة الاجتماع، ثم بعد دخولنا أخذنا المقاعد الخاصة بنا، وأخذ الكلمة السيد الوزير فرحب بنا، ثم أعطى الكلمة للسيد المستشار الذي بدوره رحب بنا، ثم أخذ يشرح لنا المنجزات التي قامت بها وزارة الأوقاف المصرية ومما جاء في حديثه: "إن في مصر خمسة وستين ألف مسجد (65 ألف مسجد) يعمل فيه إمام حاصل على الإجازة، ومقيم للشعائر، ومؤذن، وأربعة خدام، ثم إن الإمام هو المكلف بإعداد خطبة الجمعة لا الوزارة.

بعد ذلك أخذ الكلمة من جديد السيد الوزير فأتم ما بدأه مستشاره، حيث أشار إلى ما تقوم هذه الوزارة في نشر الدعوة الإسلامية في جميع أنحاء العالم، وقد استطاعت أن تترجم القرآن إلى اللغة الهندية والروسية، ثم ختم كلامه بتجديد الترحاب والتكريم بنا جزاه الله خيرا، وبهديته الجميلة التي هي عبارة عن تسجيل للقرآن كاملا برواية حفص عن عاصم بتلاوة الشيخ محمود خليل الحصري رحمه الله.

وانتهى الاجتماع بالعناق الحار كالعادة، ثم خرجنا لتناول الغداء في فندقنا وبعده نأخذ سيرنا نحو مسجد سيدنا الحسين ابن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأثناء مرورنا لاحظت مجموعة من الدور السكنية بالمقابر كما أن طريقة الدفن هناك مختلفة عنا، ذلك أن كل عائلة تدفن أمواتها في مكان خاص.

في مسجد الحسين:

كان وصولنا إلى المسجد على الساعة الرابعة وسبعة وعشرين دقيقة، فدخلناه في رهبة وخشوع، كعادة المقبل على ضيافة ربه، وكالعادة، فالترحاب والاستقبال الباهر كانا حاضرين، وكانت هدية هذا اليوم السعيد أيضا تلك الهدية التي استلمناها من إمام مسجد الحسين هي مصحف برواية حفص عن عاصم، ثم رافقنا جزاه الله خيرا قصد أن يبين لنا بعض الأمور، ويزودنا بمعلومات عن هذا المسجد فقال: "إن مسجد الحسين هذا تقام فيه ثلاث ذكريات في السنة:

الأولى يوم الخامس من شعبان بمناسبة مولده، والثانية يوم العاشر من محرم بمناسبة وفاته والثالثة تقام بمناسبة استقبال رأسه من الشام سنة 548 هـ في خلافة آخر خلفاء الدولة الفاطمية المسمى الفائز وكانت تسمية هذا المسجد قديما "الزمرد" باسم قصر الحاكم الذي كان فيه.

إلا أنه حينما دخل صلاح الدين الأيوبي، أقام بهذا المكان مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم، وأتى بهذه الرأس الشريفة وبنى عليها القبة وفي عهد الدولة الأيوبية بنى مسجدا بجوار القبة، ولا تزال مئذنة من مآذن هذا المسجد تسمى الأيوبية، وفي عهد الخديوي تم بناء جزء آخر منه، كما تم توسيعه في عهد جمال عبد الناصر، وهذا المسجد هو الأول في سائر تراب الجمهورية المصرية، وكل يوم يتكاثر الوفود وزوار هذا المسجد العظيم".

بعض الآثار النفيسة بمسجد الحسين:

وبعدما زرنا قبر السيد الحسين رضي الله عنه اتجهنا نحو الغرفة التي يوجد بها المصحف الذي خطه عثمان بن عفان بذلك الخط الكوفي الجميل وهو

يضم ألفا وثمانين (1080) صفحة، غير منقوط ولا مشكول، ثم رأينا حافظة من الفضة وفيها أربع شعيرات من شعر النبي صلى الله عليه وسلم ومكحلته ومروده ثم قطعة من عصا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تبقى من قميصه عليه الصلاة والسلام ثم سيفه الذي أهداه له الصحابي الجليل سعد بن عبادة، ويسمى العضب، أي القاطع من الجهتين معا، وبينما نحن نتمتع بهذه الآثار الرائعة، إذا بي أسمع أحد الجعافرة وهو ينشد أمام قبر الحسين رضي الله عنه، وبكلام مؤثر وصوت رنان، وعين باكية، وقلب منكسر حزين، يقول فيها:

أيهـــا الأحبـــاب زوروا	ســـلمو اعنـــد المقـــام
لم يزل يســـــــمع وير	د للأحبـــــاب الكـــــرام
لـــــيس إشراكا وكفـــرا	فـــاتركوا جهـــل العـــوام
أيهـــا الأحبـــاب عـــودوا	للـــــــــــــزيارة كل آن
يا رب فارزقنـــــا المحبـــــه	والـــزيارات عـــلى الـــدوام

وهذا بعض ما استطعت أن ألتقطه من فيه مباشرة من أمام قبر حفيد رسول الله صلى الله عليه وسلم.[1]

في خان الخليلي:

وبعد هذه الزيارة المباركة كان اتجاهنا نحو خان الخليلي لرؤية أحد الشوارع هناك، فاشترينا بعض ما نحتاجه وبعض الهدايا للأحباب، ثم أخذنا الاتجاه والسير نحو مسجد الشيخ كشك لأداء صلاة المغرب فيه ثم رؤية مرافقه، وهو الآن يسمى

(1) - نعم الأُذن والاستماع مع بعض التغيير الطفيف وبعد المراجعة أثبتنا المسموع من أفواه الشعب وفيه بعض التصرف في الوزن والكلمات.

مسجد عين الحياة، وهو الإسم الذي كان يطلق عليه قديما، قبل أن يطلق عليه اسم مسجد الشيخ كشك، هذا المسجد الذي يدرس فيه شيوخ أكفاء، وإطلاق اسم عين الحياة على هذا المسجد نسبة إلى مؤسسه، وذلك بعد إذن من الملك فاروق، وللإضافة فإن في هذا المسجد صندوقا يضم قبر الأمير أحمد باشا رفعت ابن المغفور له إبراهيم باشا والي مصر وبجواره يوجد مستشفى كبير، يحتوي على أحدث الأجهزة والآلات، وفيه جميع أنواع الجراحات، وهذا كله تحت سلطة وزارة الأوقاف، ولقد قمنا بزيارة مرافق هذا المستشفى المجهزة بأجهزة وتقنيات حديثة، ومع ذلك لم نتمكن من زيارة كل مرافق هذا المشفى الضخم، الذي أدهشني وانا أطوف بين قاعاته.

ورقة الوصفة الطبية: عندما تأخذ الورقة تجدها مكتوب فيها من الأعلى: بسم الله الرحمن الرحيم، وفي الأسفل: العلاج من الطبيب والشفاء من الله.[1]

وهذه نسخة أخذتها من هناك لأضعها هنا بين يدي القارئ حتى يكون على علم، وهذا يدل على عدم تأثر المصريين بالغزو الغربي، على خلاف ما نشاهده في وصفاتنا الطبية لا الخاصة ولا العامة.[2]

وبعد هذه الجولة الماتعة وسط المستشفى، جلسنا للاستراحة لنتناول المشروبات، وقد اخترت مشروب "الكوكا"، ثم انتقلنا للمكان الذي يحاضر فيه الشيخ عبد الحليم محمود وكان من أكابر شيوخ الأزهر، شاذلي الذوق والطريقة، وهو مكان أيضا لتدريس العلوم الدينية والعقيدة الإسلامية، ويشترط في الطالب الذي يريد الانضمام إلى هذا المعهد أن يكون حاصلا على الإجازة.

---

[1] – هذه بعض التحسينات التي أدخلها المصريون على أمورهم كلها تبركا واستدراكا أو تحركا نحو المزيد من الالتزام.

[2] – هذه بعض التحسينات التي أدخلها المصريون على أمورهم كلها تبركا واستدراكا أو تحركا نحو المزيد من الالتزام. تنظر في ملحق الصور.

أما الطلبة الذين ليسوا أزهريين ولهم رغبة في الانخراط مع الرجال الدعاة، فإنهم يختبرون في ثلاثة أجزاء من القرآن الكريم، وبعد عامين من التكوين يتخرجون إما في مساجد أحيائهم، أو غيرها، ويخيرون، فمن أراد الخطبة ودرسا واحدا عين فيهما، ومن أراد الخطبة ودرسين فإنه يعين فيهما.

وكذلك النساء، فإن في إحدى مدرسات النساء من يجتمع فيها أكثر من ألف (1000) امرأة...

هكذا مر هذا اليوم، وودعنا الجميع، بعد أن وزعت علينا مجلات ثقافية أخذت منها عددا كثيرا قصد توزيعه على بعض الأصدقاء في المغرب.

ومباشرة أخذنا المسير إلى مسجد النذير ومستشفاه المسمى مستشفى النذير التخصصي وهو موجود بحي الزاوية الحمراء، هذا الحي الذي يوجد به أكثر كثافة سكانية مسيحية في مصر، وهناك أيضا مستشفى آخر قام بإنشائه السيد محمد عبد العزيز الوزاني، وباشر عمله المهندس الدكتور محمد طلعت الفقي تبرعا منه. وهذا المستشفى الموجود بجانبه مثله مثل الأول مع بعض الفرق اليسير في الكبر وبعض الزيادات.

ثم بعدما خرجنا من المستشفى أخذنا طريقنا إلى الفندق لنأخذ راحتنا فمررنا بدار العزاء التي يقيم فيها أهل الموتى ذكرى موتاهم، وهي على شكل فندق، ونحن في الطريق حدثت لنا طرفة من الطرف؛ ذلك أن المرافق المصري لنا كان يقول للسائق: "مر من هنا، ثم يتراجع ليقول له: بل من هنا، وهكذا حتى قلق السائق،

وأبان عن قلقه. مما جعل السيد المدير[1] يقول له: (خليه ..... اتركه بينده)[2] ومعنى ينده عند أهل فاس سر أو امض فأدخل لجهة مصر على كلمة أهل فاس باللهجة المغربية فضحكنا جميعا! وهكذا استمر بنا المسير حتى وصلنا فندق أبي شقرة، الموجود بشارع قصر العيني، وكان الترحاب كالعادة وفي وجبة العشاء قدم إلينا طعام يسمى بابا غنوج ثم الأرز محشوا بأوراق العنب ومعه خبز مكون من ورقتين يسمى "ريفشامي" وبعد انتهائنا من العشاء اتجهنا مباشرة نحو دار المدرعات[3] لنسلم أنفسنا للراحة، فإلى مولود جديد ومع غد سعيد.

---

[1] - وكان فاسيا.

[2] - أي اتركه يمر، وهذه الكلمة غالبا ما يقولها أهل فاس للذين يحملون الأمتعة على الدواب حتى يفسحوا لهم الطريق.

[3] - دار المدرعات هو الفندق الذي كان مقامنا فيه طيلة هذه المدة.

الأربعاء 2 أبريل 1997

يوم الفسحة خارج القاهرة القديمة عند الأهرام والوصول قبل الموعد

استيقظنا هذا الصباح وتناولنا الفطور، ثم اتجهنا إلى إدارة جامعة الأزهر الشريف للقاء السيد طنطاوي شيخ الأزهر، ورغم أننا وصلنا قبل الوقت، فإننا استطعنا أن نملأ فراغنا ببعض المناقشات اللطيفة، فكان أن تقدم الأستاذ الجليل السيد عبد الحميد بلحاج السلمي بنكتة لطيفة قال فيها: يحكى أن رجلا فقيرا جاءه ضيفان فقدم لهم وجبة طعام عنده، وهي الطعام الوحيد الذي في بيته، وقد قال في نفسه: إن ما سيبقى عليهم أطعم به أبنائي، غير أن أحد الضيفين لما ابتدأ أكله قال: أنا سآكل حتى النهاية لحديث (رحم الله من أكل ولعق الإناء)[1] أما الآخر فقال: أما أنا فسأستفضل بعض الطعام لحديث (رحم الله من أكل واستفضل)[2] عندئذ ما وسع رب البيت إلا أن يقول: ذهب عشاؤكم يا أبنائي بين حديثين. فضحك الجميع مع أخذ العبرة والاستفادة من هذه القصة.

وبينما نحن هكذا إذا بشيخ الأزهر يقدم ويرحب بالجميع، فتناول الكلمة وقدم لنا مرافقه السيد سعود وكيل شيخ الأزهر، وتحدث عن الأخوة الإسلامية وعمر الأزهر الشريف وصلته بالمعاهد الإسلامية، مضيفا أننا تجمعنا كلمة لا إله إلا الله، ثم ختم كلامه بقوله: "نزلتم أهلا وحللتم سهلا" فتكلم السيد المدير، وأوضح أن صلة الأزهر بالقرويين صلة وثيقة متماسكة، كما بين الدروس القيمة التي كان يلقيها السيد

---

[1] - هذا الحديث في الأطعمة من قبيل الضعيف المستشهد به في فضائل الأعمال وروي بألفاظ متعددة

[2] - هذا الحديث في آداب الطعام من المستشهد به غير الثابت وإن كان معناه يدعو إلى مراعاة الغير.

طنطاوي في سلسلة الدروس الحسنية الرمضانية، وأشار إلى الأخوة التي تجمع الوزيرين في الأوقاف وحاكمي البلاد ثم ختم كلمته بالشكر الجزيل، وتبليغ السلام من كل قلب مغربي، إلى كل قلب مصري.

وفي الأخير تناول الشيخ الطنطاوي الكلمة ثانية رد فيها التحية والشكر وقال: "إن الجميع ينهل من منبع واحد، ألا وهو كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ونحن نتفق أن شريعتنا تمتاز بالوسطية والاعتدال وننبذ التقليد الأعمى والتعصب الذميم، وإننا نتعاون بتعليم بعضنا بعضا ما دامت القلوب صادقة، والألسنة سليمة، ثم انتهى المجلس بتبادل بعض الهدايا بين المسؤولين وتفضله حفظه الله علينا بكتابه: (جوامع الدعاء من الكتاب والسنة) [1].

إلى الأهرام:

ودعنا الشيخ، وكانت الساعة إذ ذاك تشير إلى الحادية عشرة وخمس دقائق، فخرجنا قاصدين الأهرام، مرورا بحديقة الحيوانات وشارع الهرم، المشهور بكثرة الملاهي الليلية والسياحة، ومررنا أيضا بشارع الفنانة فاطمة رشدي الذي يسكنه السيد أبو عمر المرافق لنا من طرف وزارة الأوقاف المصرية، ثم مررنا أيضا بمسرح عادل إمام[2]، كل هذا طبعا في محافظة الجيزة.

ثم بعد ذلك نحونا نحو الأهرام، فرافقنا دليلان: رجل وامرأة لإمدادنا بالمعلومات وبعض الشروحات عن هذه الأهرام العظيمة، وقفنا أمام الهرم الكبير

---

[1] - طبع باسم جوامع الدعاء من القرآن والسنة ونشرته دار نهضة مصر سنة 2001/1422 في طبعته الرابعة.

[2] - يسمى مسرح الفنانين المتحدين زرته خلال تسعينات القرن الماضي (محمد البايك).

المسمى "هرم خوفو" وحينما أراد المرافق التحدث عن هذا الهرم بدأ بقوله: "يبدأ تاريخ مصر القديمة منذ ثلاثة آلاف ومائتين قبل الميلاد (3200)، بداية من الملك مينا، وتاريخ مصر ينقسم إلى ثلاثين (30) أسرة، كل واحدة كونت دولة وسطى في العهد الحادي عشر... وهذه المنطقة التي نوجد بها كائنة غرب النيل، لأن الأوائل كانوا يعتقدون أن الغرب مكان الموت. وهذا الهرم بناه الملك خوفو لأجل أن يحمي جثته من حرارة الشمس، وهو مبني بالحجارة الضخمة، ومطلي بالجير من وجهته، حتى إذا ضربت فيه أشعة الشمس كان هناك نوع من الإنارة والرونق، وفوقه هُرَيْم أخذ منه، ويصل عمر هذا الهرم حوالي أربعة آلاف وخمسمائة سنة (4500 سنة) وهو مبني على مساحة تساوي ثلاثة عشر (13) فدانا، وله أربعة أضلاع طول الضلع قديما (232 متر) وحاليا (228 مترا) وهو من العجائب القديمة والحديثة.

وقد حدث في عهد المامون أن قال له أحد أعوانه: إن في هذا الهرم من المال والكنوز ما يغنيك ويوصلك إلى مال قارون، وهذا الكلام أخذ مأخذه فاضطر إلى أن يأمر بحفره، ولما لم يجد فيه شيئا قتل المخبر، وهذا الهرم مؤلف من حجر يصل إلى مليونين وثلاثمائة ألف كتلة حجرية، وهذه الأحجار - على حد قول المرشد - لو وضعت وتسطرت على سطح الكرة الأرضية، فإنها ستكون دائرة، ولو وضعت حجرة حجرة وأديرت وجعلت على أرض فرنسا، فإنها ستكون حائطا علوه 3 أمتار، أما ارتفاع هذا الهرم قديما فكان مائة وستة وخمسين قدما، أما الآن فقد أصبح مائة وستة وأربعين، والعرض أيضا مائة وثمانية وثلاثون قدما، أما الآن فقد أصبح مائة وثمانية وعشرين قدما، وزاويته تساوي اثنين وخمسين درجة (52°).

وأثناء بنائه لم تستخدم أية آلة للبناء وقد استغرق العمل في هذا الهرم بعد 20 سنة من الهندسة و10 سنوات من البناء، مع العلم أن البناء لا يستغرق السنة كلها، بل إنه لا يكون البناء إلا كل ثلاثة أشهر من فصل الشتاء لأن الوقت آنذاك وقت فيضان، مما يضطر بالمزارعين للاختفاء في هذا المكان الجبلي المرتفع، فيقضون هذا الوقت فراغا. الشيء الذي جعل الملك خوفو يستغلهم لبناء هذا الهرم.

وكيفية البناء كانت على الشكل التالي: يقيمون الصف الأول من الحجر ثم يغطونه بالرمل، ثم يقيمون الصف الثاني ويغطونه أيضا بالرمل، وهكذا... حتى وصوا آخر الهرم، ثم عند التمام، كلما نزلوا من طابق عروه من الرمل، وهكذا حتى ظهر الهرم كله وبدا واضحا، وشاء الله أن دخلنا هذا الهرم العجيب من المكان الذي تم حفره بحثا عن الكنز، وحينما وصلنا نصف الهرم، رجع الأغلبية من الطلبة نظرا لضيق التنفس الذي حصل لهم، وضيق النفق الذي دخلنا منه، وهكذا حتى كنت أمام قبر خوفو، فأخذت هناك صورة أو صورتين مع بعض السياح الأجانب، وبعده نزلت لأكون مع أصدقائي في الهرم الثاني، هرم الملك منكورع هذا الهرم الذي يتوسط بين هرم خوفو وخفرع، وهو صغير، يحتل المرتبة الثالثة بعد خوفو وخفرع، هذا الأخير الذي يوجد على يساره بقايا من معبدة الكنائسي.

وهذه الأهرام بناها هؤلاء الملوك من الحجر، لأن الحجر عندهم تعبير عن الخلود، فإذا وضعت أجسادهم داخل الهرم المصنوع من الحجر كانت خالدة، كما أنه يوجد بجانب هرم منكورع ثلاثة أهرام صغرى لملكات، فإذا وقفت عزيزي بعيدا في القمة لترى الأهرام الثلاثة ترى أن أكبرها هو هرم خفرع، بينما يأتي هو في المرتبة الثالثة، والسر في ذلك أنه إنما كان كذلك لكونه جاء في مكان عال، والهرم الكبير

جاء في مكان منخفض، وللإشارة فإن بمصر من الآثار ما يمثل (45%) من مجموع مآثر العالم، لدرجة أن مدينة الأقصر تمثل ثلث آثار العالم على حد تعبير المرشد المصري والمرافق له[1].

انتهت زيارة الأهرام، فودعنا المرشدَيْن، وأخذنا سيرنا نحو الفندق لنتناول الغداء بسرعة، وذلك حتى نتمكن من الحضور للمحاضرة التي ستلقى في الساعة الثالثة بمركب البعوث الإسلامية، وفعلا حضرنا لكن بعد الوقت ببضع دقائق، مما جعل المسؤولين هناك يلغون المحاضرة، ولهذا خرجنا إلى إحدى الشوارع بسرعة لأختطف منه صورة الأهرام الثلاثة ثم العودة إلى الفندق.

وللإشارة فإن الفندق اسمه فندق دار المدرعات وهو خاص بالحرس الجمهوري، وبجانبه دار المدرعات، المكان الذي لا يزال فيه بعض مخلفات الحرب التي جرت بين العرب وإسرائيل، وبمناسبة هذه الحرب فإننا حضرنا في بانوراما التي تحيي فيها مصر الذكرى كل يوم سادس أكتوبر لمشاهدة الحرب التي كانت بين العرب وإسرائيل، وإذ رأيت أخي هذه الحرب التي تشاهدها على الشكل السينمائي يخيل إليك أنك تشارك فيها بنفسك، وقاعة دار المدرعات هي على شكل دائرة تدور بشكل كهربائي، حتى يرى المشاهد كل هذه الحرب من جميع النواحي، هذه الحرب التي يتحدث عنها المصريون كثيرا، وقعت سنة ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين 1973، وكان أن شاهدنا في هذه الدار حطام طائرة مقاتلة من نوع سكاي هوك، ودبابة من نوع سانتوريان، ومدفع عيار 105، ودبابة، ومدفع، وطائرة مقاتلة قاذفة وطائرات أخرى، وغيرها من المدافع والدبابات.

---

[1] - زرت خلال العشرية الأولى لهذا القرن معظم هذه الآثار بحمد الله ابتداء من الإسكندرية وانتهاء بأسوان وكوم امبو وأبو سميل ومعبد الملكة حتشبسوت ومقابر الملوك (محمد البايك).

ومعنى كلمة بانوراما عند الإيطاليين: "منظر طبيعي مجسم" وكان القادة المشاركون في هذه الحرب هم السادة: أنوار السادات القائد الأعلى للقوات المسلحة، وحسني مبارك، وأحمد إسماعيل علي سعد الدين، وفؤاد أبو زكي ومحمد علي، الأمين العام للوزارة الحربية.

بعد اطلاعنا على هذه المشاهد العجيبة صعدنا إلى القاعة لرؤية هذه الحرب، فبعدما جلسنا كان الظلام مخيما على الأجواء، وما إن أوقدت الأنوار حتى ظهر العجب: أصوات القاذفات والجند والطائرات، والألغام، والجنود العرب يعبرون قناة السويس، حتى خيل لي أنني في ساحة حرب حقيقية لا في مشاهدة شيء مضى ورأيت نفسي أمام نفسي وسألتها: هل أنا في حلم أم في يقظة؟ الجنود كأنهم أحياء، والدبابات كأنها تتحرك، فعلا يصعب تصوير هذا الذي شاهدته بعيني !! [1] وأخيرا انطفأت الأنوار والكل فاتح عينيه، شاغرا فاه، عاضا على شفتيه، وقمنا وما أردنا القيام، وسرنا وما مللنا المقام: سرنا إلى بيوتنا لنسلم أنفسنا للراحة، حتى نكون على استعداد تام يوم غد للسفر إلى مدينة الإسكندرية.

---

[1] - مثل هذا المشهد يراه الآن من دخل متحف مراكش الخاص بالماء حيث الأمطار وصوت الرعد والبرق...

إلى الإسكندرية أو مدينة الإسكندر الأكبر

مدينة شاطئية بمصر ومصطاف أهل القاهرة

وفيها الصالحون المزورون ومعظمهم من أصول مغربية

الخميس 3 **أبريل** 1997

- يوم في الإسكندرية -

استيقظ الجميع قبل الشروق، فتناولنا الفطور، وأخذنا الطريق إلى الإسكندرية، على بركة الله، ونظرا لطول المسافة والتي تقدر بمائتين وخمسين كيلومترا (250 كلم) فإنني استسلمت لسنة من النوم، لهذا قد تلاحظ عليّ عزيزي القارئ عدم كتابة ما شاهدته في الطريق، عدا محافظة دمنهور المشهورة بالزرابي، أما سكان البوادي فإنه يغلب عليهم تربية الجواميس ويسمون بنت الجاموس بالشابة، ودورهم تشبه دور المدن، مع الفرق الذي يوجد في الأراضي الزراعية، والتي تسقى حديثا بالطائرات والهيلوكوبتير، والغريب أنه رغم طول المسافة، فإن أعمدة الكهرباء موجودة على طول هذه المسافة، فلا مكان للظلام في الطريق.

وها قد بدأت معالم الإسكندرية تلوح، فابتهج الجميع خصوصا عندما مررنا بشاطئ البحر الأبيض المتوسط على الساعة الحادية عشرة وعشرين دقيقة. وكان أول شيء وطئته قدمنا وقت دخولنا الإسكندرية هو مسجد أبي العباس المرسي وكان في استقبالنا وكيل الوزارة الذي وجدناه أمام المسجد، حيث صاحبنا إلى قاعة جميلة لأخذ قسط من الراحة وتناول مبرد من المشروبات، هذا المسجد أعاد تجديده الملك فؤاد سنة 1927م مع الإشارة إلى أن أول تأسيسه كان سنة 709هـ.

وعند زيارتنا لقبر الولي الصالح، نزلنا إلى مقامه في أسفل المسجد، وبالطبع بعد رؤية قبري ابنيه محمد وأحمد لاحظت على هذين القبرين لائحة فيها قصيدة شعرية للرسالة التي وردت من أبي العباس المرسي جاء فيها:

يا كعبـــة منـــاي أجج وأعتمـــر | بـــدءا بطـــه النـــبي لمـــا أشر
هـالة مـن الأنـوار تقـدم روضـنا | والـمجمع عنـدي قـائمين مـن السـحر
يتلـو بريـق الأفـق في عليائـه | فجـر الشـروق وناظـرا جمـع السـفر

إلى أن قال:

طنطـا تـلألأ ضـوؤها مـن نـوركم | ود سـوق حـازت مثلهـا مـد النظـر
نادية مـن خلـف البحـار توابعـا | هبـوا قيامـا قـالوا جميعـا مـا الخـبر
ركـب الحسـين قـادم بحبيـبهم | وأبـو العبـاس في حـبكم ناجى القمـر[1]

بعد هذه الزيارة المباركة لهذا الولي الصالح صلينا الظهر، ثم سرنا نحو قبر ولي صالح آخر مشهور عند المغاربة وهو الإمام محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري (608هـ- 696هـ) صاحب البردة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والغريب في الأمر أن قبته كلها مكتوبة بأبيات همزيته.

ودعناه رحمه الله لنتجه إلى قبر ناصر الدين محمد رئيس الطريقة الشاذلية، وقبره رحمة الله عليه متواضع جدا مكتوب عليه أسماء الله الحسنى محاطة باسم الجلالة، ثم دخلنا مسجده الأنيق من طراز آخر على شكل بناء مساجد الأندلسيين، لأن أغلب مساجد مصر يغلب عليها الطابع التركي أو الشرقي، وهذا المسجد يوجد في ساحة المساجد بحي البحر، وللإضافة فهذا الحي يضم أعرق المساجد المصرية.

[1] - الأبيات من الشعر الملحون المغنى لا يلتزم فيه الشاعر الشعبي بالأوزان تماما، بل يتخفف في الإعراب والوزن.

وبعد زيارة قبر ناصر الدين محمد، ذهبنا إلى مسجد ياقوت العرش تلميذ أبي العباس وزوج ابنته السيدة بهيجة، وهذا على غرار شيخه وجدت قبره أيضا مكتوب عليه أبيات شعرية، ومما جاء فيها:

يا أستاذي يا عرشي ... بحق السيد المرسي
سل المولى يفرجها ... فإن النفس في يأس
وها قد جئت ملهوفا ... فأذهب ما جلا من بؤسي
فإن الفضل مشهور ... وهذا الأمر كالشمس

ثم رأينا قبر مكين الدين الأسمر، تلميذ أبي العباس، أما أخوه عبد السلام الأسمر فهو موجود بليبيا، وبعد قبر مكين الدين، سرنا إلى مسجد الأربعة عشر المحمدين، وقد كانوا من خدام المشاييخ، فلما توفوا ألحقوا بهم، ودفنوا في مكان خاص أمام مسجد الياقوت وهم: سيدي يوسف الجعراني، وسيدي محمد أبو وردة، ومحمد الشريف المغربي، ومحمد الغريب، ومحمد بن وكيع، ومحمد إمام الحرمين، ومحمد بركة، ومحمد غريب اليمني، ومحمد الشريف الحسيني، ومحمد إجابة، ومحمد الحلواني، ومحمد الطرودي، ومحمد مسعود، ومحمد القعنبي.

بعد الدعاء لهؤلاء جميعا اتجهنا نحو القلعة[1] مع الانتباه إلى الأمن الذي كان يرافقنا. وفي طريقنا إلى القلعة، مررنا بقبر الإمام الطرطوشي المغربي (451 - 520هـ) وبالمناسبة فقد تسلم السيد المدير في هذا المكان المبارك كتابا اسمه: "سراج الملوك: تحقيق شوقي ضيف وهو للطرطوشي أبي بكر رحمه الله"[2].

[1] - وتسمى قلعة الأمير قايتباي من المماليك.

[2] - هو لأبي بكر الطرطوشي وطبع مرات منها طبعة 1872/1289 في جزء واحد..

واستأنفنا المسير إلى أن وصلنا إلى قلعة "قايتباي" التي أنشأها السلطان قايتباي سنة (882هـ/ 1477م) ومساحة القلعة 4 فدادين، وسماء صحنها مكشوف، وبه سور داخلي به أربعة وثلاثون حجرة (34 حجرة) تعرف بالحواصل، مخصصة لسكنى الجنود، فيها خطان دفاعيان، وبرجها الرئيسي به ثلاثة طوابق مربع الشكل، طول الضلع 34 مترا على شكل نصف دائرة، ومساحته يشغلها المسجد الأصلي للقلعة، هذا المسجد الذي يحتوي على أربع إيوانات لدراسة المذاهب الأربعة، أرضيته مكسوة بالرخام الملون الدقيق الصنع بتلوينات بديعة، ثم ضريح الجندي المجهول ولائحة مكتوب عليها: معركة أبوقير البحرية 1798 يوم 2 يوليو. ومجموعة من الخرائط الحربية التي استخدمها الحاكم نابليون الأول - عندما كان أسيرا - في تسجيل ملاحظاته عن استكشاف الحملة في مصر، وهي مهداة منه إلى مصر بمناسبة إقامة هذا المتحف، والذي يحتوي على مجموعة من الأسلحة يرجع وقتها لعهد محمد علي باشا، وقطع نقدية يرجع وقتها إلى لويس الرابع عشر، وكارلوس الثالث، وبعض القطع النحاسية المصنوعة لربط أجزاء السفينة، ومجموعة من القنابل والبنادق، وصورة من خطاب وزير الحربية، وشمعة من النحاس، وقميص مصنوع من حلقات الحديد، ثم صورة القلعة فيها تاريخ القلعة وما يتعلق بها.

وبعد رؤيتنا لهذه التحف الرائعة قصدنا مطعم أبي شقرة لتناول الغداء، ولا غرابة إذا كان الكل يتبعنا بأنظاره، لكوننا نرتدي الزي المغربي التقليدي المتميز، ثم بعد أن تناولنا الغداء، اتجهنا صوب مسجد ابراهيم[1] لأداء صلاة العصر، وإبراهيم هذا ابن زوجة محمد علي باشا أسس هذا المسجد سنة 1923م. وهو على الطراز العثماني.

[1] – يسمى مسجد القائد إبراهيم وصليت فيه العصر أوائل هذا القرن بحمد الله (محمد البايك).

بعدما انتهينا من هذه الزيارات خرجنا للتجول في بعض شوارع الإسكندرية، وشراء بعض ما اشتهته أنفسنا مع بعض الهدايا، ثم الرجوع إلى القاهرة، وهنا أسوق نكتة لطيفة وهي: أن الأستاذ ابن معجوز وعبد الحميد بلحاج، لما ذهبا لشراء بعض الحاجيات تأخرا عن الوقت كثيرا، ونحن نريد الرجوع إلى القاهرة، مما دفع بنقيب الشرطة إلى أن يبحث عنهما مع رجاله، وبعد قليل حضرت سيارة الأمن، وإذا بالأستاذين يخرجان منها، وما إن رآهما أصدقائي حتى سقطوا إلى الأرض من كثرة الضحك!!! وأهل فاس مغرمون بالهدايا وشراء كل ما هو جديد وطريف!

ركب الجميع ولم يتخلف أحد، فأخذنا الطريق، وكانت عقارب الساعة تشير إلى الساعة السادسة وخمس عشرة دقيقة وفي مرافقتنا سيارة الأمن بأضوائها الخضراء، وصوتها الرنان، وهكذا على بركة الله حتى وصلنا إلى المحافظة القريبة من الإسكندرية، حيث يأخذنا أمن تلك المحافظة إلى أن نصل إلى محافظة أخرى، وكلما وصلنا محافظة، وجدنا الأمن ينتظرنا، وهكذا إلى أن كنا في القاهرة والساعة آنذاك التاسعة وخمس وثلاثون دقيقة. ونظرا للاكتظاظ الذي تشهده شوارع القاهرة ليل نهار، فإننا لم ندخل الفندق حتى كانت الساعة تشير إلى العاشرة وعشر دقائق، هكذا انتهت زيارة الإسكندرية، لكن يومنا لم ينته بعد، فبعد أن أكلنا وجبة العشاء، أخذت مع بعض الأصدقاء سيارة الأجرة قاصدين خان الخليلي لاقتناص ما نهديه لعائلاتنا بالمغرب، ولم أعد حتى أصبحت جيوبي فارغة، ما عدا قروشا قليلة تركتها لتبقى كتذكار آخذه معي إلى المغرب لكوننا غدا سوف نودع مصر البوار ونحل إلى المغرب بكامل الافتخار وكلنا نغم من غير أوتار.

الجمعة 4 أبريل 1997

- يوم العودة من الإسكندرية إلى القاهرة -

كان هذا اليوم يوم العودة، يوم الأسى والأسف، يوم الوداع والفراق، يوم الحرارة والاشتياق، بعد استيقاظ الجميع، وبعد الفطور، أخذنا وجهتنا إلى جامع الأزهر الشريف لرؤية بعض مرافقه، ثم التجول في شارع خان الخليلي، وبعده الرجوع إلى الفندق لجمع الأمتعة والخروج للسفر. وبعد ملاقاة السيد الوزير حمدي زقزوق، الذي أبى إلا أن يودعنا ويشنف آذاننا بكلماته التي جاء فيها: "إننا آسفون لكون زيارتكم لم تطل عندنا، فكم حاولنا أن نرجيء سفركم هذا إلى وقت آخر، لكننا لم نجد طائرة تحملكم بعد هذه، وذلك لأنه ليس في المطار طائرة خاصة من القاهرة إلى الرباط أو البيضاء، هذا السبب هو الذي جعلنا نخضع مرغمين، ونظرا لاقتراب موعدكم مع وقت الطائرة، فإنني أودعكم مكرها. ثم تدخل السيد المدير الذي قال: شكرا لكم معالي الوزير، وشكرا لضيافتكم واستقبالكم الحار لهذا الوفد، ووجودكم جنبه في كل المرافق، فقد كانت هذه الرحلة ناجحة من كل الجوانب، سواء من الناحية الثقافية أو الاجتماعية أو العلمية، فهي رحلة مفيدة لا يمكن أن تنسى".

وختمنا هذه الجلسة المباركة، جلسة الوداع بقراءة الفاتحة، وتوديع السيد الوزير بعناق حار ودموع قلبية أشد حرارة من اللهب، ثم اتجهنا إلى المطعم لنتناول وجبة الغذاء، وبعده نأخذ الطريق إلى المطار، وذلك على الساعة الثانية وخمس عشرة دقيقة. زوالا وأثناء السير أخذ الإخوة في الذكر جهرا بصوت جماعي:

إلى اللقـــا أحبـــتي إلى اللقـــا　　　إلى اللقـــا يا إخـــوتي إلى اللقـــا
ســـلام علـــيكم ســـلام ســـلام　　　ضـــيوفا حللنـــا فطـــاب المقـــام

سـلام علـيكم سـلام سـلام ..... سـلام علـيكم يا أهـل السـلام
قلـوب تآخـت لحـق اللقـاء ..... سـلام علـيكم سـلام سـلام

ثم تلا الأخ عبد الحميد الحميدي آيات بينات من الذكر الحكيم، بدءا من قوله تعالى (آمن الرسول إلى آخر الآيات)[1] وهكذا دخلنا إلى المطار، فتسلمنا أوراق الطائرة، وأخذنا أمكنتنا في القاعة، حتى يصل وقت الركوب، فوداعا يا مصر، وداعا يا ينبوع الثقافة، وداعا يا أرض المحبة والأخوة والسلام، وداعا يا أرض العلم والحلم يا وطني الثاني، يا حبي إليك أحن، لا أقول وداعا إنما أقول إلى اللقاء.

ركبنا الطائرة والساعة آنذاك حوالي السادسة والنصف عشية بالتوقيت المصري، أي الرابعة والنصف بالتوقيت المغربي، وبعد عشر دقائق حلقت بنا الطائرة على علو قدره خمسة وثلاثون ألف قدم (35 ألف قدم) وكان من المقرر أن تستغرق الرحلة خمس ساعات وعشر دقائق إلا أنها زادت (عشر دقائق) على موعدها المحدد. المهم أننا وصلنا على بركة الله في أمن وأمان، وراحة واطمئنان، والساعة آنذاك تشير إلى الثامنة ليلا، ولم تقف الطائرة إلا بعد خمس دقائق، وبعد أن خرجنا من المطار وجدنا الحافلة الآتية من طرف وزارتنا مشكورة في انتظارنا، قصد أن تأخذنا إلى الرباط في الساعة التاسعة وعشرين دقيقة ليلا، وفعلا تم وصولنا والساعة تشير إلى الحادية عشرة ليلا.

وبعد ان وصلنا إلى العاصمة في هذا الوقت من الليل لم أجد جنبي إلا الأخ الجيلالي العكاري فأتممت معه الليل حيث ذهبنا إلى سلا عند أخيه لننام هناك حتى الصباح، ثم أتابع رحلتي إلى مراكش.

---

[1] - أواخر سورة البقرة. الآيات: 285 – 286.

جزى الله الجميع خير جزاء وبارك الله في الكل، وخصوصا وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الساهرة على مصالحنا دوما واستمرارا برعاية صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله وأدام ملكه وأتم عليه نعمة الصحة والعافية، وجزى الله كل الأطر التي ساعدت على إنجاح هذه الرحلة، وأخص السيد المدير رشيد العراقي، الذي قدم لنا كل ما بوسعه وكل ما في جهده، حتى كنا على أحسن ما يرام، فقد كانت رحلة مفيدة ومفيدة للغاية، أرجو من الله أن يهيء لي مثلها وأفضل منها، وكذا إخوتي الطلبة، وأن لا يحرمنا من رحلات أخرى إنه سميع مجيب.

وأجدد شكري ثانية لكل من كان سببا في تهييء الظروف لنا، سواء من داخل المغرب أو من جمهورية مصر الشقيقة.

والله من وراء القصد وهو يهدي إلى صراطه المستقيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبد الكريم يوم 24 أكتوبر 1997

تمت رحلة عبد الكريم تارفي

الجولة السابعة بالقاهرة:

ومن الوفد المغربي في ضيافة مصر والأزهر إلى وكالة الغوري قريبا من الأزهر وبها أشهر التجار المغاربة المستقرين بمصر إلى اليوم وعجائب شارع المعز وتفرعاته وأبواب القاهرة الفاطمية

شهرة عائلة الشرايبي المغربية بالغورية:

ولا يغادر السائح ساحة الأزهر والحسين دون أن يلفت نظره وكالة الغوري التجارية الكبرى والتي كان المغاربة وخاصة تجارهم متعلقين بها أشد التعلق في تجارتهم الخارجية وخاصة تجارة البن والتوابل والسلع ذات الطابع المغربي الخالص والمسماة بالنعال المغربية أو "البلغ المغربية" (تاريخ العلاقات 187)، وهكذا وبقطع النظر عن الحجاج فقد برز المغاربة في حرف الحياكة كـ "لاشين مصطفى الخياط" وبحرفة الدلالة "كالحاج عبد القادر الدلال" والحرارة والطرز مثل "الحاج أحمد الحريري" كما عمل بعضهم قبانا وصاحب ميزان، وعملوا في الطبخ وإعداد المأكولات والحلويات ذات النكهة المغربية أيضا، وفي حرفة السمسرة وكراء البيوت للوفود حتى برز من بينهم خلال القرنين الثاني والثالث عشر أسرة الحاج "الخواجا محمد الكبير الشرايبي" ووصف بيتهم بالمجد والسيادة والإمارة والتجارة، والتجأت إليهم السلطات عند الازمات المالية، واشتهرت الأسرة بالامتياز في شراء وإعداد وتربية المماليك لاستخدامهم في الإدارة المصرية حتى أصبح ماليكهم من أعيان مصر الجربجية[1] والأمراء، وقد اشتهرت دار آل الشرايبي بالأزبكية (العتبة حاليا) قرب الغورية جنوبا، واقتنت معها الأسرة السفن والدور والحمامات، وساهمت في شراء وكراء "الالتزام" الضريبي على الأراضي الفلاحية استخلاصا وإسقاطا على القرى والكفور[2]، مع جهاز إداري ضخم يسير الأعمال ويتقاضى الأجور والمراتب والكسوة رجالا ونساء صيفا وشتاء، كما حافظوا على عاداتهم المغربية وعلى طريقة الزواج

---

[1] - الجربجية: أو جوربجية رتبة من رتب المماليك.

[2] - جمع كفر وهو القرية من كفر العبرانية ومنه قول معاوية في بعض الجمعات: أهل الكفور هم وأهل القبور (محيط المحيط).

ورعوا العلم والطلاب بالأوقاف وخزائن الكتب في مؤسساتهم يعيرونها لمن رغب وقد يهبون منها أو يدعون! (تاريخ العلاقات 188 - 200) إضافة إلى أسر أخرى مراكشية وشرقية وفيلالية وسوسية لا تزال إلى الآن تذكر في بطون التاريخ وعلى أفواه أهل القاهرة وعائلاتها الأصيلة، بعد أن ضيق محمد علي ومن بعده على التجارة الحرة في مصر وأمم كثيرا منها! ولا يزال أفراد من مصر يذكرون بافتخار أحد أجدادهم من المغرب أصولا بعد أن استقر زمنا بمصر أو القاهرة، أو يبحثون عند زيارة المغرب عن هذه الأصول! وهكذا قامت وكالة الغوري منذ سنة 910 هـ ذات الخمسة طوابق بتجارة الجملة أو التقسيط، بما توفر لها من مرافق وبيوت وحمامات وخزانات ودكاكين بوظائفها كاملة عبر تاريخها الطويل، ولا تزال تعتبر أكمل وكالة احتفظت إلى اليوم بالكثير من معالمها وتفاصيلها[1].

مركب تجاري وثقافي وخيري من إنشاء السلطان الغوري:

ويلتصق بها مقعد وقبة وخانقاه ومدفن الغوري نفسه على رأس تقاطع شارع الغورية بشارع الأزهر بواجهتين غربية على شارع الغورية، وشمالية على شارع الأزهر، وتمتاز من الداخل بقبة ذات محراب مجوف جميل وعلى يمينه باب يؤدي إلى مقعد الغوري، في أشكال محكمة من الأبواب والغرف والسلاليم الحجرية والعقود والقباب والسبيل المائي المموهة سقوفه بالذهب وكذلك كتاب لفقراء الصبيان، وبإزاء الجميع في شارع المعز بالغورية أيضا مدرسته وهي ذات مئذنة مربعة وردهات[2] وواجهة ذات مدخل ومحراب مجوف من الرخام الرفيع ومنبر خشبي مطعم بالعاج والذهب والصدف (الدليل الموجز 180 - 184).

---

[1]- عليها اليوم آثار إعادة الإصلاح والتجديد عند زيارة للقاهرة شهر يونيه 2007. (محمد البايك).

[2] - الردهة: البيت الذي لا أعظم منه (محيط المحيط).

جامع محمد بك أبو الذهب الأصل للأزهر والخادم له:

ولا يخرج الزائر من ميدان الأزهر دون ان يلتفت إلى جامع محمد بك أبو الذهب الذي أنشئ ليكون مساعدا للأزهر في وظيفته العلمية والدينية منذ القرن 16هـ من الطراز العثماني وهو الرابع من نوعه ويشابه مسجد "سنان باشا بالقلعة"، وسمي صاحبه بأبي الذهب لتوزيعه الذهب عند تعيينه حاكما بالقلعة على الفقراء، ومسجده من المساجد المعلقة وبأسفله مجموعة حوانيت، ويمتاز بمئذنة مصرية الطراز قريبة من مئذنة الغوري، وهو ذو محراب ومنبر راق ومزولتين للتوقيت النهاري.

ويجد النازل من شارع المعز إلى باب "زويلة" على يساره جامع الفاكهاني[1] ويسمى بالجامع الأفخر في حي العقادين على رأس حارة خشقدم، بني منذ العصر الفاطمي ثم جدد، ومئذنته على هيئة قلم الرصاص عثمانية الطراز و عند الوصول إلى باب زويلة جنوبا جامع "المؤيد شيخ" الملاصق للسور والباب بجي "السكرية"[2] وهو فخر المساجد المملوكية الجراكسية، وكان من قبل سجنا سمي "خزانة شمائل" سجن فيه "المؤيد شيخ" وقت ان كان أميرا فقرر إن نجاه الله أن يبني مكانه مسجدا وبر بوعده واشترى أملاكا مجاورة، ويصفه المقريزي بفخامة الأركان وضخامة البنيان، وهو ذو أربعة واجهات، ويمتاز بمئذنتين على برجي باب زويلة مباشرة، ويعتبر برجا الباب قاعدتين لهما[3].

---

[1] - دخلنا إليه وصلينا به العصر وتوضأنا بمرافقه، وهو ذو قباب أربعة متواجهة تشير إلى المذاهب الأربعة وإلى التفتح الديني في عصره وعند الخروج اشترينا بإزائه بعض التحف النحاسية. (محمد البايك).

[2] – وباسم السكرية سمى نجيب محفوظ إحدى رواياته الثلاثية المكونة من أماكن في هذا الشارع: قصر الشوق وبين القصرين والسكرية لأنها موطنه الأول ومكان طفولته وتقدمت الإشارة إلى "قصر الشوق" و"بين القصرين" آنفا (محمد البايك).

[3] - وجدنا هذه البقعة مشغولة بإعادة الترميم والتجديد لما نالها من عوامل التآكل والتلوث البيئي والمروري وسوء الاستعمال عبر العصور. (محمد البايك).

أما باب زويلة المسمى ببوابة المتولي حاليا، وقد نقله بدر الجمالي من حارة الروم بالعقادين قريبا إلى مكانه الحالي، فهو أحد الأبواب الثلاثة الباقية من أبواب القاهرة الكثيرة، والمشار إليها آنفا، ويشبه أخاه الواقع بعيدا عند نهاية شارع المعز شمالا والمسمى باب الفتوح ببوابتيهما الضخمتين وبرجيهما العظيمين المقوسين عند القاعدة، كما يشابه في بعض ملامحه الباب الثالث المتبقي وهو باب النصر وإن كان باب النصر ذا طابع مربع الشكل في بناياته مختلفا عن أخيه المجاور له باب الفتوح.

خرائط القاهرة الكبرى

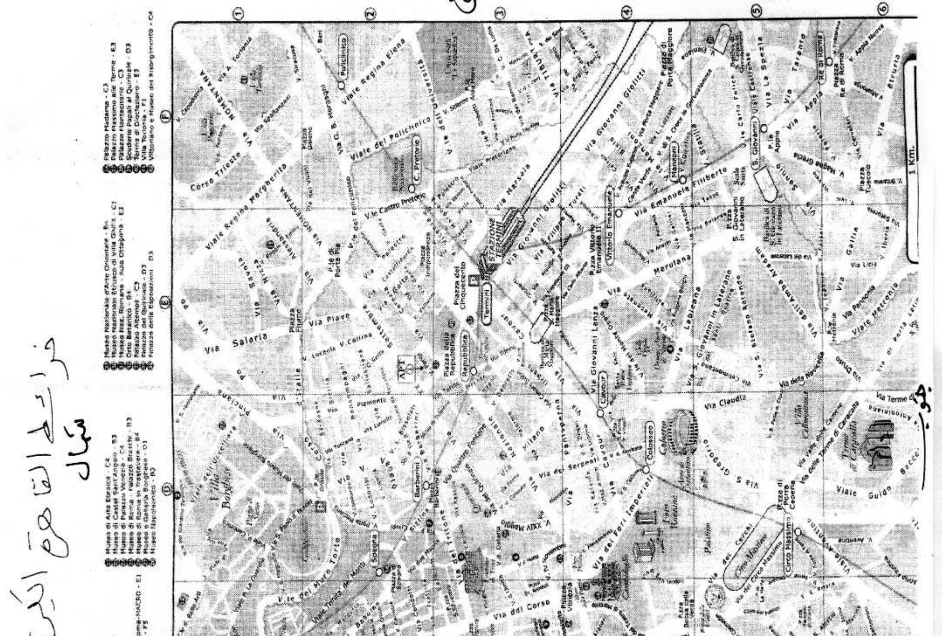

هذا ويحار الزائر الخارج من باب المسجد الحسيني في أمره؟! هل يتجه من نفس الشارع شمالا إلى باب النصر وجامع الحاكم ليلتف منه إلى باب الفتوح لزيارة بقية الآثار الضخمة المتلاصقة تقريبا عبر شارع المعز الشمالي فيكون بذلك قد مر على مجموعة من المرافق العامة الاجتماعية والخيرية والتجارية بدأً "بالمسافر خانه" على اليمين وجامع جمال الدين الأستادار على اليسار ثم سبيل أوده باشي العثماني صعودا فمدرسة "قراسنقر" ثم يصعد ليجد على اليمين "خانقاه بيبرس الجاشنيكي" وعندما يتوغل شمالا يمر على سبيل وكتاب أوده باشي يمينا وعلى "وكالة قوصون الثانية" شماله ليتوغل مقتربا من السور وباب النصر مارا على وكالة أخرى "القايتباي" ومعها "جامع الحاكم" من الخلف و "باب النصر" فيكون قد استكمل جولة ثانوية موازية لجولة أخرى سيقوم بها بدءا من باب الفتوح ونزولا من شارع المعز عبر أسواق وحرف قديمة لا تزال بعض آثارها ومنتوجاتها بادية للعيان وسرعان، ما يصل إلى جامع "سليمان آغا السلحدار" من عهد محمد علي 1255 هـ يسارا وعلى يمينه وهو في هذا الدرب الجانبي زقاق يؤدي إلى "بيت السحيمي التاريخي" ليرجع منه إلى "المعز" فيمر على "جامع الأقمر الفاطمي" ثم على "قصر بشتاك" بدرب قرمز من القرن (8 هـ) المبني على جزء من القصر الشرقي فيما بين القصرين وكان يعرف بباب البحر، وقد ناله الإهمال قبل أن تبدأ مصلحة الآثار خلال أوائل هذا القرن بإعادة إصلاحه وبإزائه بشارع المعز "المدرسة الكاملية" وبجنوبيها "مدرسة برقوق الظاهر الجركسي" فمدرسة الناصر محمد بن قلاوون من المماليك البحرية سنة 788هـ والتي نقل إليها المدخل القوطي الطراز الرخامي من كنيسة "سان جان" بعكا، وتباشر مصلحة الآثار إعادة الروح إليها بعد الإهمال والاستغلال الحرفي

المفرط فمدرسة وضريح وبيمارستان المنصور قلاوون الشهير في عصره بأعجب ألوان العناية والرعاية والكسوة والأكل والدواء، وقد زرت في آخر زيارة لي 2007 معظم هذه المؤسسات قصدا في نظرة سريعة وبدون دليل ولا يزال في بعضها شيء من الأشغال التكميلية وهي مفتوحة للجميع دون وجود دليل يوضح حالة المؤسسة أو في غيابه ربما ليتناول شيئا من أطعمة و أشربة شارع المعز!؟؟

خطوط أنفاق القاهرة الكبرى حديثا

مناطق القاهرة

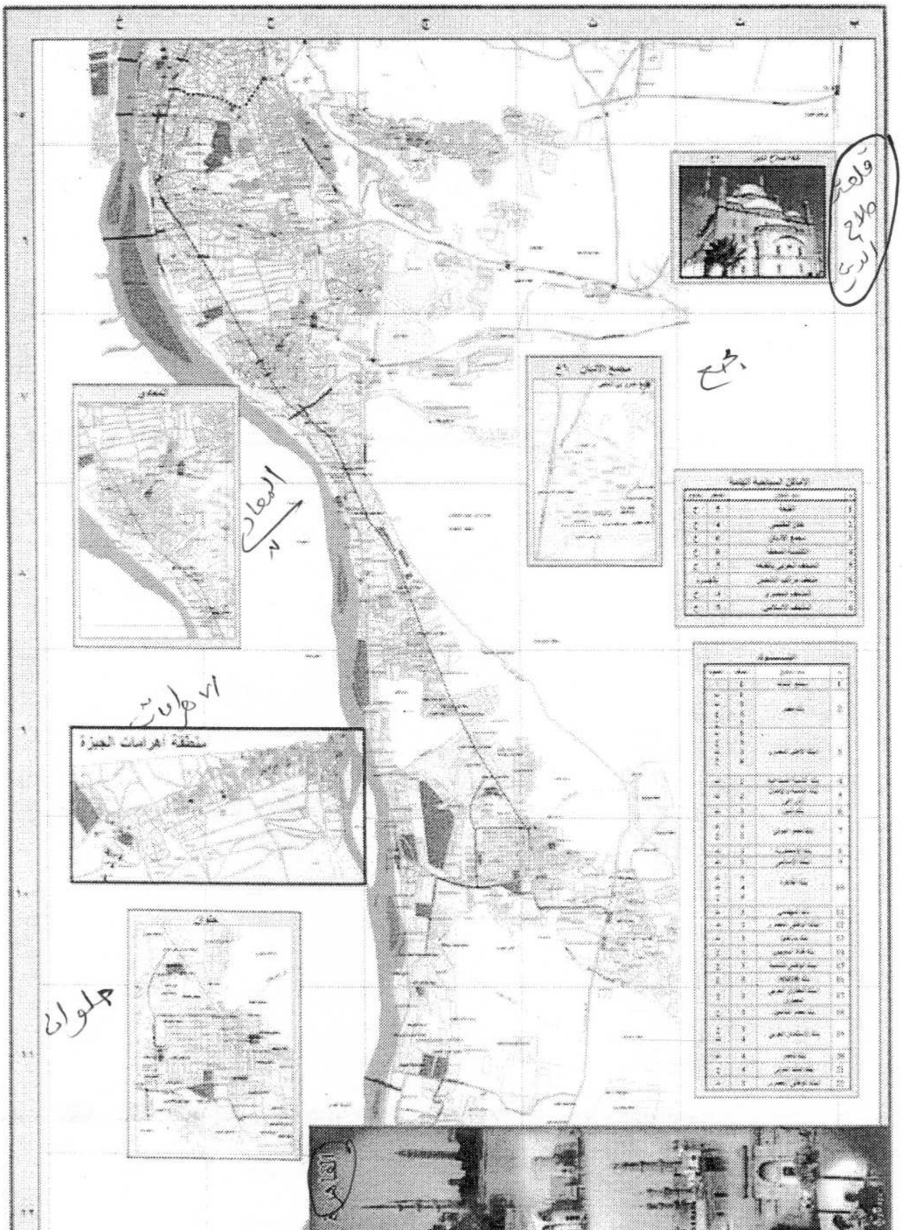

القاهرة والجيزة وما حولهما

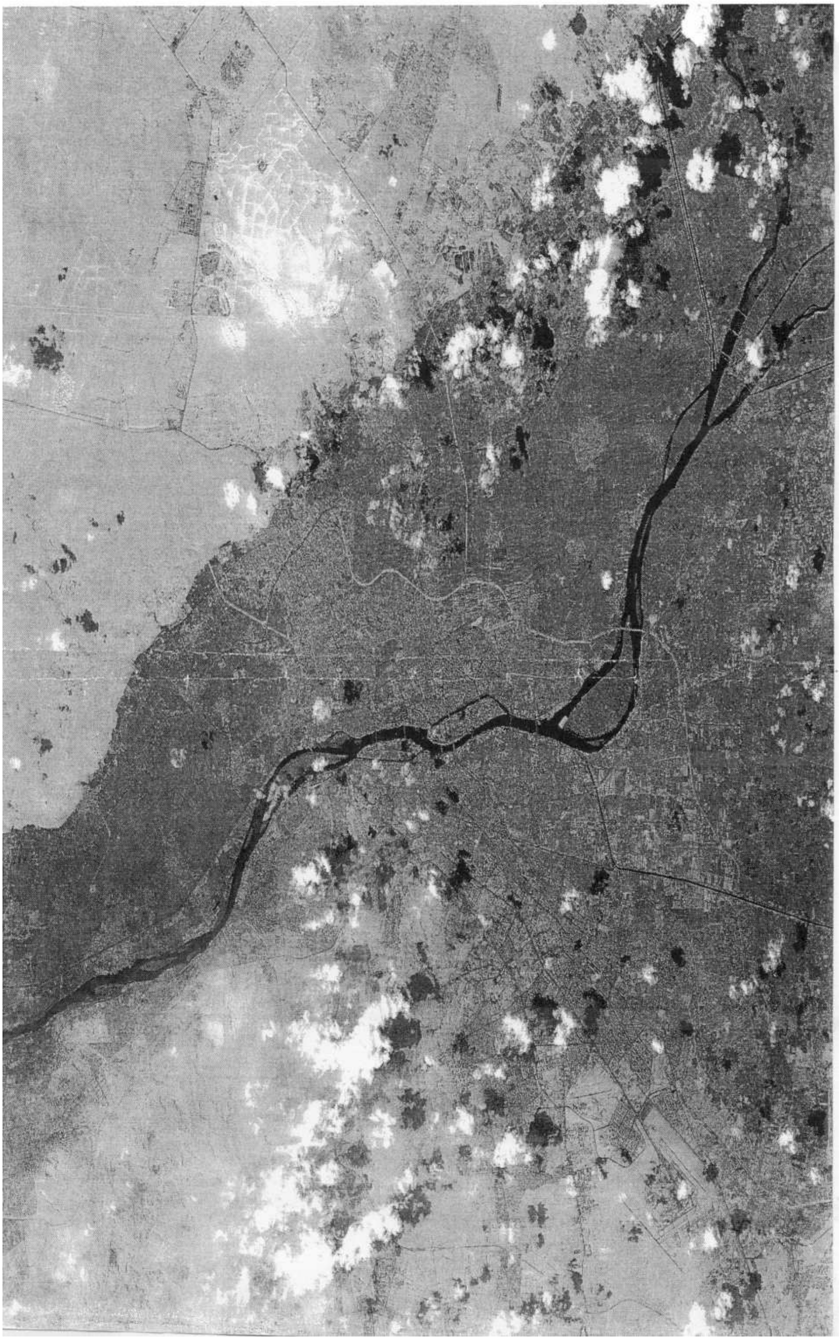

المستطيل الذهبي للآثار الإسلامية بالقاهرة خلال ألف عام

شكل يوضح أهم الآثار الواقعة فى منطقتى الجولتين السادسة والسابعة.

ابن جبير يعجب بيمارستان شارع المعز ورقي خدماته الطبية والإدارية:

ولم يخل الرحالة آنذاك رحلاتهم من الوقوف عند هذا البيمارستان ووصفه مثل ما فعل ابن جبير مثلا خلال القرن السابع ناسبا إنشاءه إلى الناصر صلاح الدين الذي قد يكون من جملة من اعتنى بتطوريه قبل عهد السلطان ابن قلاوون وهو عنده «قصر من القصور الرائقة حسنا واتساعا،.... عين له قيما من أهل المعرفة، ووضع لديه خزائن العقاقير، ومكنه من استعمال الأشربة وإقامتها على اختلاف أنواعه، ووضعت .... أسرة يتخذها المرضى مضاجع كاملة الكسى، وبين يدي ذلك القيم خدمة يتكلفون بتفقد احوال المرضى بكرة وعشية ... وبإزاء هذا الموضع موضع مقتطع للنساء ... ويتصل بذلك الموضع موضع آخر متسع الفناء، فيه مقاصير عليها شبابيك الحديد، اتخذت محابس للمجانين، ولهم أيضا من يتفقد في كل يوم أحوالهم ... والسلطان يستطلع هذه الأحوال كلها بالبحث والسؤال! ويؤكد في الاعتناء بها والمثابرة عليها غاية التأكيد» (رحلة ابن جبير 52).

عيسى البلوي يعجب بخدمات البيمارستان أيضا:

ويؤكد الرحالة البلوي من القرن الثامن على هذا العمل العجيب مضيفا بعض الأرقام بعدد المرضى والزوار تتجاوز الألف عدا، وعلى كثرة الأدوية والطعام والخدم والأطباء والممرضين مع تعدد صنوف الأطعمة وانواع اللحوم، مما يدل على استمرار الاعتناء به من قبل الأيوبيين إلى القرن الثامن.

الحسن الوزان يتنبه إلى كثرة مداخله المضمونة التمويل ذاتيا:

أما الوزان من اهل القرن العاشر فيشير إليه أيضا وإلى استمرار القيام بوظائفه ودخله البالغ مائتي ألف دينار أشرفي مع الإشارة إلى تولي المستشفى أحوال المتوفين به بعد وفاتهم مع الإنفاق على مرافقه باعتباره إرثا عاما للمصلحة العامة.

ويظهر أن بقايا هذا البيمارستان من اختصاص وزارة الأوقاف مع المجموعة الناصرية التي شرعت مصلحة الآثار بإعادة البهجة والمنظر إليها فيما تبقى من أنقاضها المهملة بسبب الساكنة والهجرة وكثرة آثار مصر الفرعونية والإسلامية، والأمة إذا تخلفت أهملت آثارها واعتبرتها مجرد أنقاض وخراب تتضايق من كثرتها ولا تعرف لها قيمة إلا عندما يأتي من ينبهها أو يساعدها على إعادة الروح لهذه المؤسسات التي تمثل روح التجديد والإبداع الإسلامية وروح الخير والصدقات والأوقاف واللمسة الإنسانية ذات الرحمة المهداة من نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم[1] (الدليل الموجز 206).

وعلى يسار النازل من الشارع المدرسة الصالحية المشيدة قديما منذ سنة 641هـ.

درب المغاربة عند بوابة باب الفتوح لان القاهرة مغربية النشأة والتطور أيوبية الاستكمال والتنظيم:

والحقيقة أن تاريخ مصر كله يمكن أن يختصر في نماذج من هذا الشارع الذي يضم مدخل باب الفتوح إليه دربا يسمى "بدرب المغاربة" والشارع يمتد طولا

[1] - عرف شارع المعز خلال هذه السنوات الثلاث الأخيرة تجديدا كاملا لمؤسساته النادرة المثال وقد تركنا فيه بقية الإصلاحات وبواجهات دكاكينه وبترصيفه بحيث لا تمر منه المركبات ذات المحركات الشخصية حفاظا على لونه التاريخي. (محمد البايك).

مسافة 4800 متر، وهو أكبر وأشهر شارع في مصر الفاطمية يحمل عبق التاريخ وروائح العصور وملامح القرون إلى اليوم، تنافس الحكام والمحسنون وذوو الأريحية في إقامة المنشآت الدينية والاجتماعية والصحية والاقتصادية به ليضم أعظم القصور والمستشفيات والمساجد والخانقاهات والأسواق والوكالات والأسبلة المائية والكتاتيب! يجد فيه التاجر ضالته والمتعبد رباطه وخلوته، والطفل كتابه ومدرسته، والعطشان سبيله وشرابه، والجائع أطعمته وفواكهه، والمتبطل مقهاه ومزاجه، وقد اشتهرت مقهى الفيشاوي إلى اليوم وسطه، والبحث عن التحف والنوادر من الآثار والمقتنيات ضالته، والطالب دروسه وسكناه، والطالب للوظيفة "بنيقته"[1] ومكتبه، والباحث عن السكنى الضيف خانه ووكالته، والمرتبط دابته فندقه ومرعاه، والفقير المسكين ملجأه ومستراحه ومتبركه وحضنه، والباحث عن الكتب خلف الحسين مبتغاه ومخطوطاته وأوراقه، وهكذا ... في عمر امتد أكثر من ألف عام صمد فيها أمام الأحداث والتغيرات والحرائق والزلازل والغزوات والإهمال، كل هذا في مدينة مسورة سماها العامة تحريفا (ما بين الصورين) في امتداد إلى الجنوب من باب زويلة (بوابة المتولي) إلى السيدة نفيسة إلى الفسطاط ليصبح طوله 4800 متر، فمن باب الفتوح تخرج الجيوش ومن باب النصر تدخل تفاؤلا بالتسميتين، ورغم أن العصر الأيوبي لم يتجاوز 80 عاما إذا قورن بعصر الفاطميين ذي القرنين من الزمان فقد ترك الأيوبيون بصماتهم بقوة في قاهرة المعز، وخاصة بصمة المدارس والمنائر والقباب الحجرية وغيرها مع خط النسخ الأيوبي.

---

[1] - البنيقة: مكتب ضيق يقوم بمهمة إدارية تابعة للدولة في المركز أو الجهات وسميت بذلك لأنها تتولى تحرير الرسائل والكتب بطريقة دقيقة لا تحتمل التزوير (راجع بنق في المعجم).

من شارع الأزهر إلى باب زويلة بشارع المعز

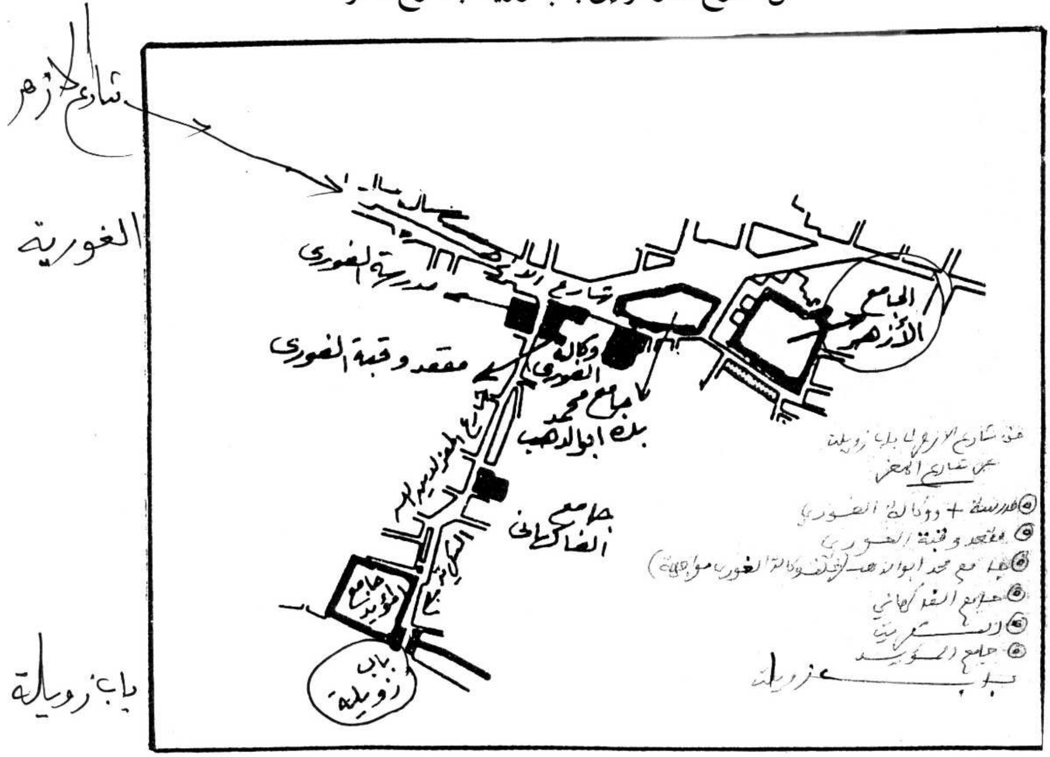

شكل يوضح أهم الآثار الواقعة فى المنطقة التى تضمها الجولة الخامسة.

عجائب الآثار بشارع المعز
مدارس وجوامع ومجامع وخانقاهات وتكايا وسبل
عبر المسيرة التاريخية لشارع المعز لدين الله

* المدرسة الكاملية (العصر الأيوبي).

* قبة الصالح نجم الدين أيوب.

* مجموعة الناصر بن قلاوون (المدرسة والمسجد والخانقاه) والبيمارستان (الممالك البحرية).

* مدرسة الظاهر (المماليك البحرية).

* مدرسة ومسجد وخانقاه السلطان الظاهر برقوق 1384-1386 ام (البرجية)/ق 8هـ.

* جامع السلطان المؤيد (المماليك البحرية) = 1415 - 1420 /ق 9هـ.

* مسجد السلطان الغوري (المماليك البحرية) 1503 - 1504/ ق 9هـ.

* تكية سليمان باشا في السروجية (الأتراك).

* مسجد وخانقاه البندقداري (1284 م) (ق 8هـ).

* خانقاه بيرس الجاشنكير 1306 م (ق 8هـ).

* خانقاه قبة الأمير شيخو 1355 م (ق 8هـ).

* مسجد خانقاه نظام الدين 1356 م (ق 8هـ).

* خانقاه الناصر بن برقوق 1400 م (ق 8هـ).

* خانقاه سعد الدين غراب 1400 م (ق 8 هـ).

* خانقاه ومسجد السلطان برسباي م 1432 م (ق 9 هـ).

* خانقاه وقبة ومئذنة السلطان الأشرف إينال 1451 (ق 9 هـ).

* التكية السليمانية 1543 (ق 10 هـ).

* تكية السلطان محمود 1750 (ق 10 هـ).

* تكية الرفاعية 1774 (ق 12 هـ).

* سبيل السلطان بن قلاوون 1326 م (ق 12 هـ).

* سبيل الوفائية 1446 م (ق 9 هـ).

* سبيل وكتاب خسرو باشا 1535م (ق 10 هـ).

جزء من منزل السحيمي بشارع المعز من الداخل

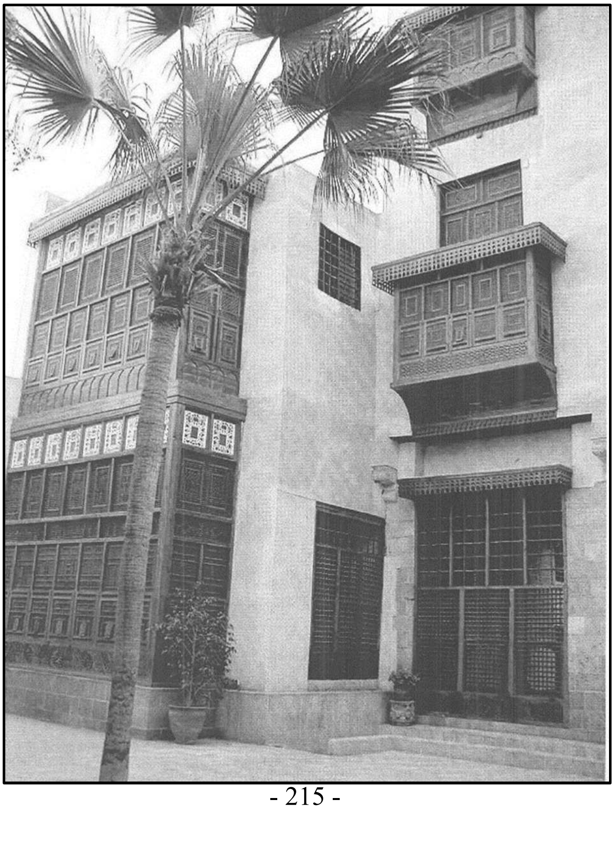

باب الفتوح وباب النصر مخرج الجيوش ومدخلها بعد النصر

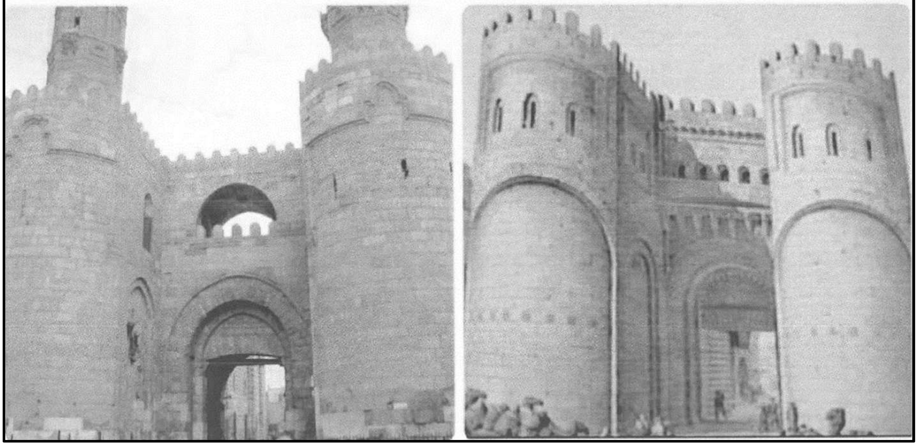

سوق الموسكي المزدحم بأنواع الملبوسات وغيرها

المماليك البحرية يسهمون بعبقريتهم في تجميل وتنمية القاهرة:

أما المماليك البحرية التي امتد حكمهم أكثر من 132 عاما فقد أضافوا إلى ذلك المجموعات المتكاملة لمجموعة "الناصر بن قلاوون" منشئ أول وزارة للأشغال بمصر، وتمخضت فيه صناعة البناء في خصوصية أعمال الخشب وتكوين الجبص المنقوش والتغطية بالزجاج الرقيق مع تأثيرات أندلسية وفارسية في القباب والمنازل وكتابة الأرقام الخاصة بالتواريخ.

الجراكسة يتولون الصقل والصيانة والإضافات:

أما العصر الماسي للقاهرة فهو عصر المماليك الجراكسة البرجية وقد حكموا حوالي 134 سنة فازدانت العمارة وتزخرفت وأخذت المنابر رشاقتها وجمالها وأخذت المدارس تصميم المساجد وحليت القباب من الخارج بالنقوش وارتقت صناعة النجارة في الأسقف وتطورت المقرنصات واستخدمت الزخارف على أبواب المدارس والمساجد، فاشتهرت مؤسسات الظاهر برقوق والمؤيد شيخ والغوري آخر سلطان الجراكسة البرجية قبل أن تدخل مصر عالم النسيان في العصر العثماني الذي دام أربعة قرون ليطبعوا ما أسسوه بطابعهم الأوروبي البيزنطي الكنسي في نحو مسجد سنان باشا القلعة وبولاق وتكية سليمان باشا بالسروجية عند شارع المعز.

العثمانيون والأسبلة والكتاتيب والصوامع الرشيقة القلمية والحمامات:

أما الإبداع الخيري لمصر العثمانية فيتجلى في نظام الأسبلة المائية العذبة في استمرار لما سبق من تقاليد مملوكية ومعها أحيانا الكتاتيب اعلاها، ومنها سبيل وكتاب خسرو باشا العثماني وسبيل وكتاب أوده باشي آنف الذكر ومثله لعبد

الرحمان كتخدا ومثله لأغا السلحدار في شارع المعز أيضا؛ مع إضافة نوع من الأسبلة يشترك فيها الحيوان والإنسان، كسبيل وحوض محمد أبو الذهب آنف الذكر وحوض السلطان قايتباي.

وبجانب الأسبلة الحمامات العامة، وقد بهرت الأجانب مظهرا حضاريا راقيا أفضل مما عرفته أوروبا آنذاك، بعضها للرجال وأخرى للنساء أو مشتركة بحسب التوقيت، ومنها بشارع المعز حمام السلطان المملوكي إينال وحمام الملايطي وحمام السكرية وحمام الطمبلي وحمام العدوي وحمام الأمير بشتاك وحمام السلطان المؤيد قرب مسجده (شوارع لها تاريخ، عباس الطرابيلي ص 19 - 29 الدار اللبنانية ت المصرية / القاهرة 1997).

شارع المعز والنصيب الأوفر من الوكالات التجارية:

أما الوكالات التجارية ذات الأحواش الكبيرة تحيط بها المحال التجارية والمساكن فقد أخذ شارع المعز منها النصيب الأوفر بحسب المواقع الكبرى والأسواق، بدءا بوكالة وسبيل عباس أغا جنوبا ومعها وكالة وسبيل وقف "النقاري" فوكالة "السلحدار" ووكالة "بدوية بنت شاهين" ووكالة "الذهبي" في مجموعة متكاملة ثم وكالة وسبيل "الكرداني" ووكالة "وقف الحرمين"، وبين المعز والجمالية عند شارع الصليبية وكالة قوصون (شوارع لها تاريخ 29-31)

بقية الأسبلة والحمامات بالقاهرة المعزية

- **أسبلة:**

- سبيل وكتاب أمين افندي 1646 (ق 11 هـ).

- سبيل وكتاب وقف اود باشي 1673 (ق 11 هـ).
- سبيل وكتاب الأمير محمد كتخذا 1744 (ق 12 هـ).
- سبيل وكتاب الشيخ مظهر 1744 (ق 12 هـ).
- سبيل وكتاب سليمان اغا السلحدار 1744 (ق 12 هـ).
- سبيل وحوض محمد ابو الذهب (إنسان وحيوان) 1774 (ق 12 هـ)

◄ **حمامات** :

- حمام السلطان المملوكي اينال 1454 (ق 9 هـ).
- حمام الملاطيلي 1780 (ق 12).
- حمام السكرية ق 18 (ق 12).
- حمام الطمبلي ق 18 (ق 12).
- حمام العدوي ق 19 (ق 8 هـ).
- حمام الأمير بشتاك ق 19 (ق 8 هـ).
- حمام السلطان المؤيد (غرب مسجده).

مؤسسات متعددة الوظائف جامعة بين الجد والترفيه:

لم يخل شارع المعز من سقائف ومنظرات (المندرة)[1] يطل منها السلطان أو الأمير على الشارع للفرجة أو لاستعراض الجيوش المنطلقة للفتح أو العائدة عند باب النصر، وهكذا ضم شارع المعز منزل ومقعد وقبة وسبل وكتاب قانصوه

[1] - اشتقت من النظر والبصر على وزن مفعلة.

الغوري - آنف الذكر - وكذلك "سقيفة وسبيل مصطفى جوربجي مستحفظان" و"مقعد رضوان بك" و "قاعة ومقعد أحمد كتحدا الرزاز" و "قاعة الدردير" شرق شارع المعز (شوارع لها تاريخ 31).

منازل النخبة الشبيهة بالقصور الأميرية:

أما البيوت والقصور الدالة على عمارة هذا الشارع بسكانه فقد ترك لنا الزمان منها: "بيت القاضي من القرن 13هـ" و "قصر الأمير بشتاك المملوكي" من القرن 8هـ صاحب حمام سوق السلاح والمسافر خانة من القرن 12هـ و "منزل السحيمي" شمال جامع الأقمر من القرن 11هـ ومنزل "الألايلي" و "القاياتي" خلال القرن 12هـ و "منزل "جمال الدين الذهبي" من القرن 11هـ و "واجهة منازل وقف رضوان بك" بشارع الخيامية من القرن 11هـ.

القاهرة المعزية وأسواق الحرف والصنائع المتكاملة الجامعة بين حاجيات أهل الريف وأهل القرى والكفور والمدن:

أما الحرف والصنائع فقد طبعت شارع المعز بطابعها اللامع من "سوق السيوفية" جنوبا مع المدرسة السيوفية الصالحية الموقوفة على الأحناف بزاوية الشيخ مطهر، و "سوق السروحية واللبد" و "سوق السلاح" لبيع القسي والنشاب والزرديات و "سوق المهامزيين" ومعه "سوق اللجميين" وبالقرب منها سوق "الحوائصيين" للسيور التي تشد بها السروج المصنوعة من الصقلي والذهب المرصع بالجواهر والمحبسة من قبل السلطان على المجيدين المتفوقين من فرسانه و "سوق الخيامية والسرادقات للأفراح" ثم "سوق الكفتيين" في منطقة الفحامين لتطعيم أواني الناس بالذهب أو الفضة وكذلك الأبواب و سوق "الصنادقية" وكذلك المصاحف

المطعمة بسن الفيل والعاج، فأسواق "الفحامين" و "النحاسين" و "الوراقين" و "العطارين" و "المناخلية" و "السكرية" و "الموازين" و "المغربلين" و "العقادين" و "القربية" قبل أن تنقل المدابغ إلى سور القلعة" وقد انقرض معظم هذه الحرف اليوم وبقيت أسماؤها راسخة على لوحات الشوارع والحواري والأزقة التي تصب إلى الشارع الرئيس شارع المعز، فانتهى عصر "السيوفية" و "سوق السلاح" و "الصنادقية" و "المغربلين" بانتهاء عصر السلاطين ليحل محله عصر الشيشة[1] الرديء كما يقول المهتمون بالعمارة بمصر.

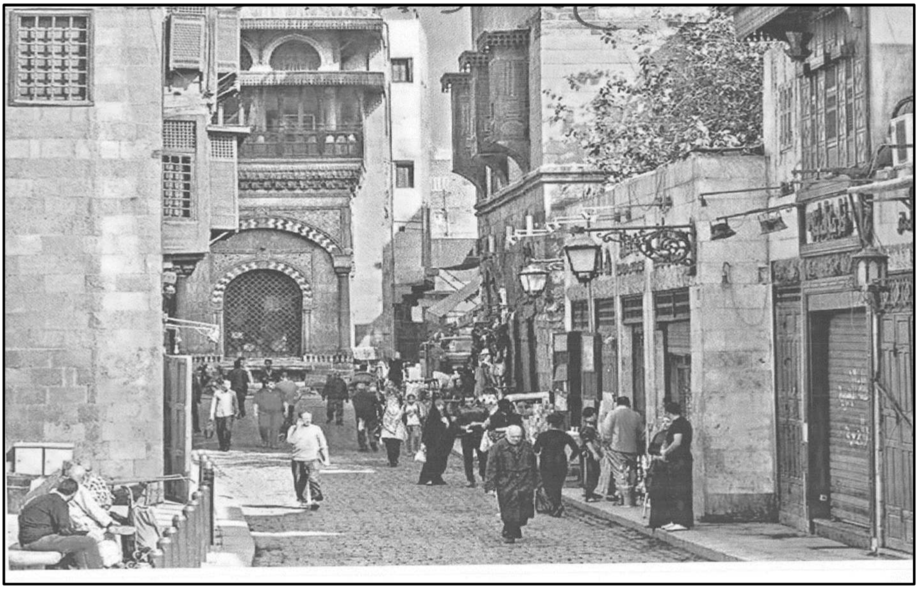

شارع المعز والسبيل والكتاب وسطه تماما

[1] - الشيشة مجموعة من الأدوات اللازمة لتدخين التبغ وغيره كالحشيش قديما تساعد المدخن على الاستنشاق عبر الهواء والدخان المبرد المار من قنينة مبردة عرفت في المشرق خاصة.

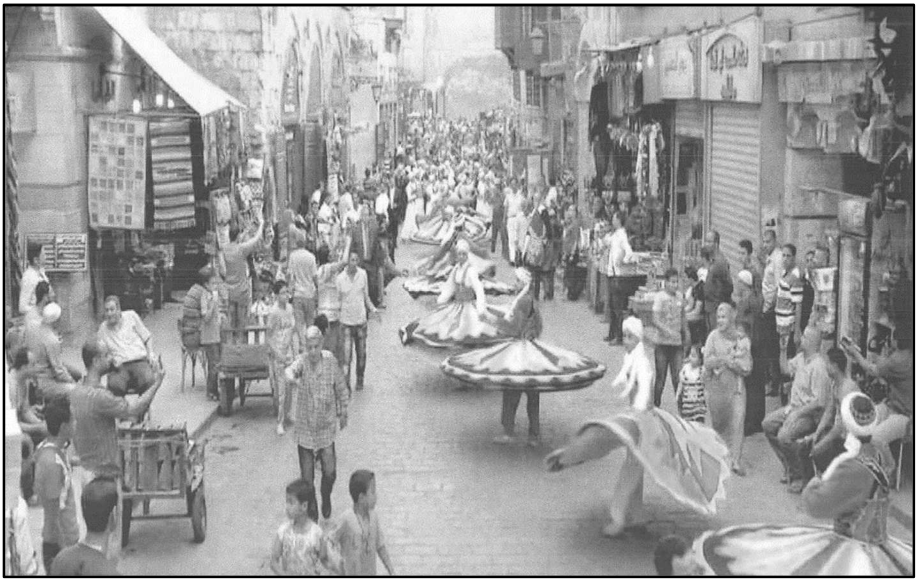

شارع المعز في حلته واحتفال بالأراجوز بعد إصلاحه

حرف ومهن في شوارع مدينة القاهرة المحروسة 400 سنة من الاستقرار في شارع المعز الترابي وسيتحول إلى بلاط للمشاة فقط حوالي 40 محلا أشبه بالوكالات ذات الطوابق المسكونة.

- الخيامية أو صناعة الخيام قديمة منذ عهد الفراعنة إلى العهد القبطي بالفسطاط (عند باب الخرنفش قرب باب زويلة) وخيمية وشمسية عصر المعز أو القبة المسطحة فالمستديرة في العصر الأيوبي وخيام كأنها قصور في العصر الفاطمي ولها علاقة بكسوة الكعبة وموكبها ويبتدئ نسجها من ربيع الثاني من كل سنة في ستة أشهر وكذلك سرادقات العزاء والأفراح والمناسبات.

- سوق الخلعيين (الخشابين).

- حارة الباطنية[1].
- حوانيت القصابين.
- تجار الحبوب والخضر.
- سوق المرحلين "ترحيل الجمالة وأردية الإبل خاصة زمن الحج".
- سوق الشماعين. قرب المسجد الأقمر.
- سوق البزازين: (النساجين والحلاجين والصباغين والرفائيين والخياطين والكوائين والرسامين وصانعوا الضبب أو الأقفال الخشبية الضخمة) اتجاه باب النصر.
- وسوق الدجاجين والإوز والعصافير والقماري والهزارات والشحارير والببغاء والسمان (خلف المسجد الأقمر).
- الصيارفة ومصاطب الصنادقية والحلي والأساور والخلاخل/ ثم الأمشاط / الوراقين / الكعكيين مع الفستق واللوز والزبيب/ جوارهم المهمازون من حديد أو ذهب/ السروجيون: اللجام والسرج والسيوف (شارع بين القصرين).
- وكان سوق الفرائين (جوار الجامع الأزهر).
- وسوق الكفتيين (النحاس المكفت بالفضة والذهب) (خلف مباني السلطان الغوري).
- وكان سوق الحلويين (حلوى ملونة ودمى بالسكر وعروس المولد) (على مقربة من الغوري) أو في صورة حصان.
- موضع وتعليق جثث المجرمين وأسرى الحرب والسياسيين الثوار (رجوع إلى باب زويلة).

---

[1] - أصل التسمية من الباطلية لأن جماعة من العسكر استولت عليه بالباطل.

ضريح حسن الذوق المغربي الأصل يحمي القاهرة من تطور "الخناقات" إلى معارك ويضرب باسمه المثل فتهدأ النفوس وترتخي القبضات:

وهكذا وبعد الإهمال الطويل استيقظت وزارة الأوقاف ووزارة الآثار وبمساعدات عربية إسلامية وألمانية وغيرها لتعيد الروح إلى هذه المؤسسات العظمى بعد ان احتلها الحرفيون وعاثوا فيها وفي جنباتها؛ فبدأ إصلاح آثار "نجم الدين أيوب" و "مجموعة السلطان قلاوون" و "مجموعة السلطان برقوق" و"جامع الأقمر" ويلتصق بجامع الحاكم ضريح صغير "لسيدي حسن الذوق" الذي أزعجته خناقات "الفتوات"[1] أمام باب الفتوح وعجزت عن فض المنازعات فقرر الهجرة ولكنه خر ميتا عند الخروج فدفن حيث مات ملاصقا لباب الفتوح من الداخل وصار اسمه يضرب مثلا عند وقوع الخناقات فيقول الناصح: "يا جماعة حرام! لِسّهْ حسن الذوق ما خرجشي من مصر" فتهدأ العواصف!

وهكذا أيضا وبعد عصر الفتوح والاستعراضات والأبهة أصبح باب الفتوح سوقا لتجارة البصل والثوم شتاء والزيتون والليمون صيفا كما شاهدنا بقايا منه خلال زيارة سنة 2003.

أما باب النصر فأصبح ميدانا لباعة "المزاج" من مستلزمات الشيشة من أحجار ولي ومباسم حتى قصب البوص المستخدمة في الشيشة "الجوزة"[2].

(1) - الفتوات جمع فتوة والفتوة في الأصل نظام صوفي راق تحول أحيانا إلى فتوة القوة والمصارعة وتحكم الفتوات في حارات القاهرة في العصور المتأخرة.

(2) - انتبهت البلدية إلى هذا اخيرا فحاولت تنظيم هذه الامور بحيث تبدو في صورة أحسن وأقرب إلى الذوق السليم.

أما التعليمات الصارمة لنظافة شارع المعز ورشه وإضاءته وإغلاقه ليلا عند السلسلة بين القصرين ومنع الدواب من بعض جنباته فقد غابت أيضا أمام زحمة المارة وجلجلة مطارق الحرفيين وجرجرة المواد اللازمة! (شوارع لها تاريخ 45 – 46).[1]

جزء من القاهرة الفاطمية + غرب القاهرة الفاطمية جهة الأزبكية

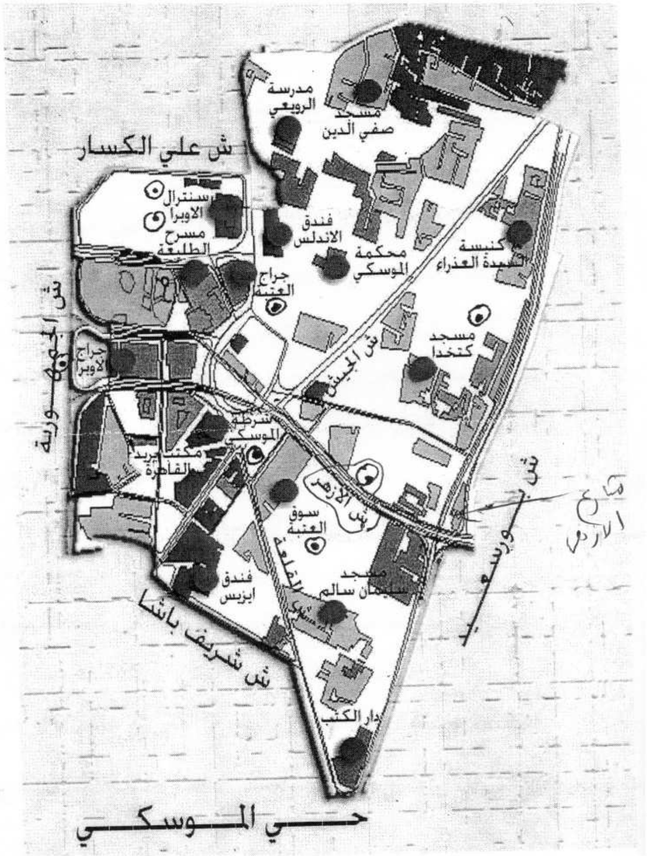

[1] - في آخر زيارة لي هذا العام لاحظت بداية تحول الشارع إلى متاجر لبيع التحف بدل المعامل الصغيرة التي كانت ورشا لإعداد هذه التحف، وبما أن المنظر لم يكتمل بعد بسبب وضع الأحجار في الشارع لترصيفه للمشاة فإن الزائر لا يأخذ نظرة متكاملة لهذا الشارع يمكن ان تعطي انطباعا باستعادة بهائه القديم، وربما يمر وقت على ذلك قبل أن تألف العين هذا التجديد !! (محمد البايك صيف 2007).

غلبة روح التفاؤل على أسماء المؤسسات الدينية وروح اللطف والذوق الراقي عند المبدع المصري:

وبقيت أسماء التفاؤل في مساجد المعز كالأزهر والأنور والأقمر والأفخر في أبوابه كباب النصر وباب الفتوح شمالا وباب الفرج غربا وباب التوفيق، وقد اعتقد الناس قديما أن مؤسس القاهرة جوهرا الصقيلي مدفون بالأزهر حتى أوضح أحمد زكي باشا أن جوهرا هذا غير القائد الفاطمي بل هو طواشي حبشي من أعيان القرن 9هـ (نفسه).

شارع الموسكي والتجارات المشكلة والزحمة المستمرة:

ولا نغادر القاهرة الفاطمية دون أن نمد الرجل ونحن في شارع المعز وعلى يسارنا الأزهر إلى شارع تجاري أعاد تجديده خمسة حكام من أسرة محمد علي لتوفير منطقة تجارية في قلب قاهرة المعز، من العتبة الخضراء إلى قنطرة غربيه تسمى باسمه عند (القره قول) أو قسم الشرطة ونسب إلى الأمير موسك أحد أقرباء السلطان صلاح الدين الأيوبي المحب للخير والعلم، وهو أول شارع بالعرض في القاهرة القديمة كلها لأن شوارع مصر على امتداد نهر النيل بالطول كلها، ويمتلئ هذا الحي بمختلف أنواع الدكاكين المتنوعة العروض والملابس والعطور والمواد الغذائية في زحام شديد ما يعطي صورة عن جاذبيته الشعبية سواء بالنسبة إلى سكان القاهرة ذات الملايين التي تجاوزت عشرة أو بالنسبة لزائري القاهرة من الوجهين البحري والقبلي على مدار العام وخلال المواسم والأعياد والعطل أو السياح، هذا وعندما نغادر القاهرة المعزية في اتجاه الجنوب عبر شارع المعز نصل بعد جهد إلى سور القاهرة الجنوبي الأيوبي حيث قلعة صلاح الدين الذي جمع العواصم الأربع: الفسطاط والعسكر والقطائع والقاهرة المعزية عام 572 هـ في سور عظيم إلى قلعته عند جبل المقطم، فلنسر راجعين إلى هناك في جولتنا السابقة.

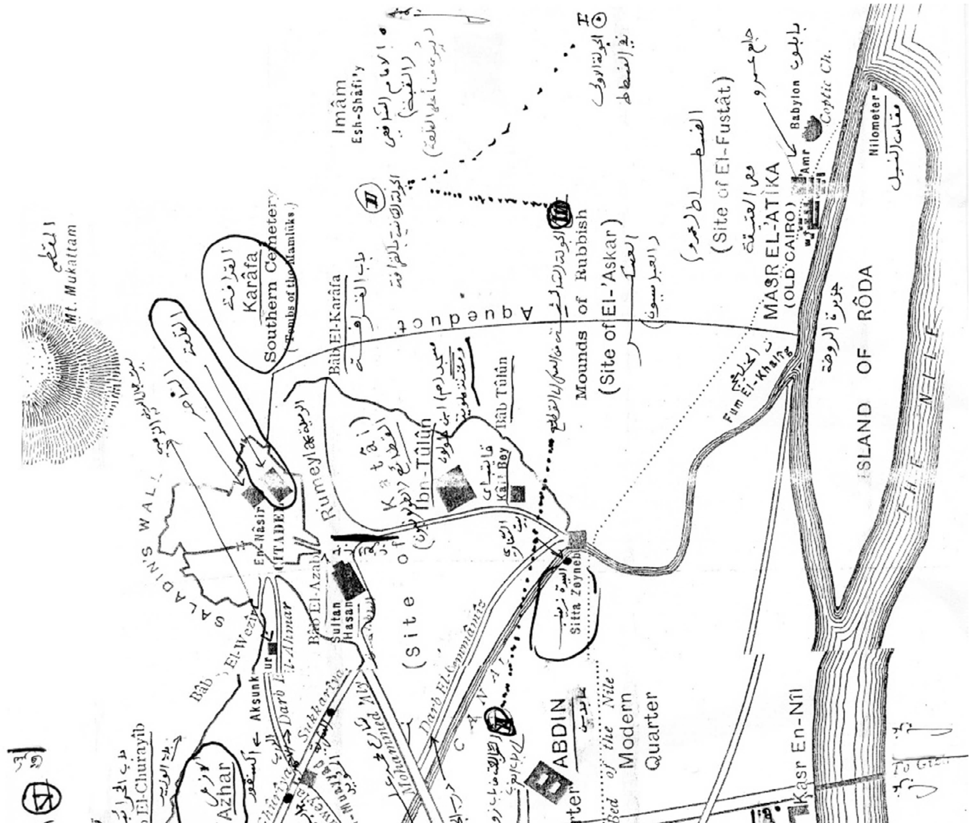

خريطة الضفة اليمنى للنيل في رسم توضيحي

الجولة الثامنة بالقاهرة:

ربض باب اللوق (الأزبكية وعابدين)

وما سمي بـ (وسط البلد)

الوزان يصف باب اللوق وحديقة الازبكية متنفسا أسبوعيا لأهل القاهرة:

كان باب اللوق قديما كما شهده الوزان خلال القرن 10 هـ ربضا كبيرا على بعد نحو ميل من السور، وكان به ثلاثة آلاف كانون: ومعظم سكانه صناع وتجار من كل صنف، وبه ساحة كبيرة بها قصر ومدرسة، سميت هذه المساحة باسم بانيها المملوك "يزبك" المستشار السلطاني، فغدت تحمل اسمه وسميت بالإزبكية، وكانت عادة ساكنة القاهرة أن يتخذوها ميدانا لأهل المدينة المسورة يجدون فيه بعد الصلاة من أنواع المسليات والألعاب البهلوانية وحلقات أصحاب القردة والحمير والإبل والكلاب وما يمتع الشاهد، ويحول عشية هذه الجهة إلى عطلة سعيدة خارج ضغوط أسوار ونظام المدينة المعزية (وصف إفريقيا 208 بتصرف).

تطور الأزبكية عبر العصور ميدانا وبركة وحدائق ومنشآت:

وهكذا عرفت هذه الناحية من ربض باب اللوق تغيرات وتقلصات وامتدادات أحيانا، بحسب مجرى النيل الذي كان يغير مجراه عبر التاريخ عند الأزبكية وما قبلها وما بعدها على فترات متباعدة شيئا، فلما قرر محمد علي النزول بمقر الحكم من القلعة إلى هذه الناحية المطلة على النيل والجيزة غربا وعلى المدينة المحروسة شرقا وجاء ابنه الباني الخديوي إسماعيل ليقوم بأكبر وأوسع وأقوى نهضة عمرانية للقاهرة وأرباضها جميعا فأمر سنة 1867 بردم بركة الأزبكية المائية ذات المراكب والقوارب والمنتزهات حواليها وكذلك مجموعة من البرك والمستنقعات المؤذية، مع تحويل جزء منها كحديقة عامة على النمط الغربي المنظم تحت إشراف المهندس الفرنساوي باريل بك، فغرس فيها الأشجار النادرة المجلوبة من أقطار العالم في مساحة 20 فدانا لتصبح رئة تنفس لسكان القاهرة المكتظة، حيث أقيم ميدان

"التياترو" المسمى بميدان الأوبراه، ثم خططت شوارعها وميادينها فنظم ميدان العتبة الخضراء وأقيم به تمثال إبراهيم باشا بن محمد علي الفاتح بعد أن كانت مجرد مقابر "تربة المناصرة" وبها بعض المرافق ومسجد السلطان أزبك حيث أزيل الجامع والترب[1]، وشقت الشوارع الرئيسية كشارع "محمد علي" وشارع "شارع الموسكي" لتخترق في امتدادها الأحياء القديمة بالقاهرة المعزية وتصلها بالقاهرة الحديثة (وسط البلد) وامتدادا بها إلى القلعة وميدان المحطة عن طريق شارع ""كلوت بلا" وشارع "ابراهيم باشا" وصولا إلى الحي الإداري وقصر عابدين[2] بإنشاء شارع عبد العزيز وشارع عابدين (القاهرة عمرها ألف ص 65 – 66، سيد كريم/ الهيئة العامة، القاهرة 1999).

بجنوبي الأزبكية برك مائية تحولت عبر العصور إلى مدينة حديثة وسط البلد:

وبجنوبي الأزبكية كانت قد تكونت عبر تاريخ مصر الإسلامي وتطور حركة مجرى النيل ووجود سيالة ضيقة منه غربي باب اللوق ينقل منها السقاؤون المياه إلى القاهرة وكانت سببا في كثير من الأمراض والحميات بسبب البرك المترتبة عنها راكدة كبركة الفراعين مكان سراي قصر عابدين الرئاسي الحالي من إنشاء محمد علي وبركة "السقائين" وبركة "الفوالة" وبركة "الناصرية" وغيرها تتخللها سلسلة من الهضبات وكثبان الرمال وبعض القلاع الفرنسية تمتد من منطقة السيدة زينب الحالية إلى نهاية شارع المبتديان (محمد عز العرب حاليا).

---

[1] - جمع تربة للمقبرة مشتقة من التراب.

[2] - زرناه هذه السنة ودخلنا إلى متاحفه العديدة وصلينا بمسجد أحد صلحاء هذه المنطقة داخل قصر الحكم والإدارة صلاة الظهر كما زرنا الأزبكية قبل ذلك ونزلنا إلى مدخل الميترو بها والمؤدي إلى شارع الأزهر (م ب / 2007).

لمسات الخديوي اسماعيل الشجاعة لتحويل الفوضى إلى نظام يشبه مدينة السين نهرا ومؤسسات وشوارع:

قام الخديوي اسماعيل بتسوية المنطقة كلها وخططها تخطيطا إداريا وسياحيا جديدا وفق نظريته الباريسية التي تأثرت بمباني العاصمة التاريخية وبنهر "السين" الذي يشقها وبجزيرة السين أيضا، مما أشبه فيه وضعها القديم السابق نسبيا وضع القاهرة الجديدة، كما تخيل ذلك إسماعيل الخديوي وأصدقاؤه الفرنسيون المهندسون وطلابهم المصريون المبعوثون.

زيارة لمنطقة عابدين وقصرها ومتاحفها ومسجدها وضريحها:

فغدت بذلك منطقة عابدين من أجمل أخطاط القاهرة الحديثة، خاصة وقد نقل إليها مركز الحكم من القلعة المسمى بقصر الجوهرة، وذلك بإنشاء "سراي عابدين"[1] محله سنة 1874، وذلك على أطلال قصر قديم لعابدين بك، أحد المماليك، أما بحيرة الفراعين التاريخية والتي كان يطل عليها هذا القصر فتحولت إلى ميدان عابدين الحالي والذي حللنا به ذات يوم من أيام يونيه 2007 صحبة أحد الزملاء المتقاعدين من الأستاذة، وهو قصر شاسع مسور بجانبه قشلات الحرس يفصلها زقاق ومنه ولجنا إلى مجموعة متاحف عابدين من خلف القصر، وهي قاعات متصلة متداخلة تضم متاحف للسلاح عبر العصور وأخرى للتحف والهدايا النادرة والنياشين واللوحات التذكارية وشهادات التقدير وأنواعا من الفضيات والذهبيات والخزفيات المخصوصة المهداة إلى حكام القاهرة منذ عهد الأسرة العلوية إلى اليوم، حيث ضم إليها ما أهدي للرئيس حسني مبارك، مع دليل بالألوان يشرح بالعربية، ومنه نسخة بالإنجليزية، هذه المقتنيات النفيسة.

---

[1] - السراي كلمة تركية بمعنى القصر والسراي الحكومي في اسطمبول يسمى (غلاطة سراي).

وبالقصر أيضا ضريح الشيخ ريحان المتبرك به في هذه المنطقة بسبب ما ينسب إليه بعد توبته من ممارسة بعض أعمال قطع الطريق بهذه الناحية، كما زرت المسجد الملحق بالقصر والمفتوح وصليت به الظهر، واستغللت فرصة ارتياح الزميل لآخذ نفسا مع كأس "كركدي[1] بارد" في مقهى مطل على ساحة الميدان الهادئة نسبيا من الحركة الكثيفة بسبب الموقع.

وقد قام الخديوي إسماعيل بالإضافة إلى هذا القصر بتخطيط المنطقة كلها رابطا بين باب اللوق التاريخي (ميدان شارع الفلكي حاليا) وما بين النيل في شارع منظمة ومتقاطعة، مررنا ببعضها راجلين او راكبين في زيارات أربع للقاهرة آخرها زيارة يونيه 2007.

شوارع بأسماء أعلام ومشاهير:

ومن أشهر هذه الشوارع شمالي عابدين:

* شارع شامبلون: مكتشف حجر رشيد مفتاح الكتابة الهرغليفية.

* شارع 26 يوليوز: من العتبة في اتجاه النيل، ويذكر بثورة الضباط الأحرار.

* شارع محمد شريف: من الجنوب إلى الشمال في موازاة النهر، وهو بطل الدستور، شركسي الأصول، مصري الهوى، وهو جد فاروق لأمه وصديق العرابيين.

[1] - الكركدي أوراق أرجوانية تستورد من السودان وتطبخ شرابا ساخنا أو باردا في المقاهي والمرافق المختلفة والدور والقصور ورأيتها تباع بسوق الموسكي عند العطارين وكانت تقدم إلينا كؤوس منه عند زيارة بعض محلات صياغة الذهب للإغراء بالشراء !!! ثم وصل الكركردي على المغرب وتناولت منه بمراكش من إعداد ربة المنزل كؤوسا وكؤوسا ساخنة وقت البرد مع رفع الضغط إذا شرب ساخنا !!! (محمد البايك).

* شارع رمسيس: الموصل إلى كوبري 6 أكتوبر على جزيرة الروضة إلى الجيزة، إحياء لذكري هذا الحاكم الباني الفاتح الفرعوني الأصيل.

* شارع كلوت باي: الفرنسي الذي أنشأ كلية طب قصر العيني، وكان أصل اسم هذا القصر منسوبا إلى شهاب الدين بن بدر الدين العيني من عينتاب جهة حلب، وكان بطلا عسكريا ولقب بعزيز مصر فلما تولى السلطان قايتباي أخذه وضربه بيده ونهب العامة قصره هذا.

* شارع سليمان الحلبي: البطل الذي تولى اغتيال "كليبر" القائد العسكري لنابليون.

* شارع طلعت حرب: العصامي منشئ بنك مصر ومطابعها ومؤسساتها الصناعية الكبرى (وهو شارع سليمان باشا) سابقا، فرنسي مؤسس الجيش المصري أسلم وهزم العثمانيين بالشام واحتفلت به فرنسا ودفن بالفسطاط تحت قبة خشبية ومسجد متهدم.

* شارع عرابي: صاحب الثروة المصرية الشهير ونموذج الوطنيين الثائرين على الإنجليز وعلى القصر وذلك سنة 1919هـ.

* شارع يوسف الجندي: صاحب جمهورية "زفتي" المستقلة الرافضة للاحتلال الأنجليزي أثناء ثورة 1919 في الوجه البحري.

* شارع عماد الدين: سمي باسم صاحب الضريح الدفين جهة اتجاه الشارع، وشهر بالفنون الجميلة والمقاهي المشهورة، فامتلأ بالمسارح والسينمات، وألف عنه أحد كتاب المسرح "كتيبا" طبيعته دار الهلال، وهو من مقتنياتي[1].

---

[1] - الإصدار الثاني: 2005، العدد 655.

* شارع رشدي باشا: كان ساحة للحمير في عهد علي مبارك صاحب الخطط التوفيقية، ثم أصبح من أهم الشوارع التجارية، وتقلب رشدي باشا في عدة مناصب وزارية، وله مواقف وطنية عظيمة!

شوارع أخرى مشهورة جنوبي عابدين وقصة المثل الشعبي "إيش تاخذ من تفليسي يا برديسي":

* شارع البستان: سمي بقصر البستان الذي سكنه الأمير فؤاد، ثم أصبح فيما بعد مقرا للجامعة العربية قبل نقلها، ثم هدم وتحول إلى مستودع متعدد الأدوار.

* شارع سعد زغلول: بطل الاستقلال والتحرير والوطنية العالية داخل مصر وخارجها.

* شارع نوبار باشا: الأرمني الذي كان أول رئيس وزراء، وكاتب مذكرات منذ 1894 وكان يعتقد أن محمد علي أعظم عبقرية مصرية حديثة، وشارع نوبار هو شارع الوزارات المصرية الحديثة، الداخلية والمالية والعدل (شارع الدواوين).

* شارع محمد عز العرب: اشتهر بتحفيز الشعب على رفض الضرائب تحت شعار "ايش تاخذ من تفليسي يا برديسي" واشتهر بصراعه مع الشيخ علي يوسف حول المصاهرة مع أسرة الشيخ السادات من "صفية السادات" وكان يسمى بشارع "المبتديان" باسم أول مدرسة للبنات بمصر في قصر البرديسي هذا، وبهذا الشارع كانت كلية دار العلوم ودار الهلال بعد نقلها من السيدة زينب.

قائمة بتطور العمران بمدينة القاهرة عبر العصور (إلى عصر اسماعيل)

* حرى عحا (ميدان الحرب) 6225 ق م = مدينة عسكرية تحيط بها أسوار من الطوب.

* بابليون 1300 قم = حصن أقامه رمسيس الثاني، اسمها من أسماء أسرى البابليين الثائرين عليهم.

* الفسطاط 64م = عمرو بن العاص شمال حصن بابليون اسمها من خيمة عمرو.

* العسكر 751م = عاصمة العباسيين عند جبل المقطم مع مسجد جامع ودار للإمارة وثكنات الجند.

* القطائع 780م = أحمد بن طولون نقلا عن مدينة سامراء في حارات متقاطعة.

* قاهرة الفاطميين 969م = مسورة بشكلة مربع ذات أبواب شمالية (الفتوح والحاكم) وجنوبية (زويلة والفرج) وشرقية (البرقية والخراطين) وغربية (القنطرة والسعادة) مع تأسيس الازهر شرقا وبه قاضي القضاة والمحتسب والشورى.

* قاهرة صلاح الدين 1176م = مع سور آخر مربوط بقلعة صلاح الدين الذي ضم بئر النبي يوسف[1] جنوب الفسطاط والأسوار القديمة والقلعة دار للملك إلى عصر اسماعيل الذي نقل الحكم إلى قصر عابدين.

---

(1) – تقدم أن هذه التسمية فيها إيهام وأنه من عمل أحد الأيوبيين واسمه يوسف.

* قاهرة محمد علي 1805م = عصر النهضة فوق المقطم وهي قلعة محمد علي مع مصانع ومسجد على غرار السلطان أحمد بالاستانة مع قصور عديدة بالقاهرة شيدها مهندسون من فرنسا وإيطاليا وتركيا مع صناع مصريين متدربين (قصر الجوهرة/ قصر القبة/ قصر الحرم بالقلعة/ قصر المغارة بالروضة/ القصر العالي / قصر الخرنفش/ قصر الازبكية/ قصر شبرا/ قصر النيل/ وقصور أخرى/...)

* قاهرة اسماعيل (أربعة أمثال مساحة القاهرة) 1862م - 1945م = معجزة في التخطيط والتعمير الشامل بعد انحلال عمراني متقادم ونادى بشعار (القاهرة قطعة من أوروبا) وكان الكتاب الفرنسيون يقولون: "خير لك أن تسمع عن القاهرة من أن تراها" أو "عاصمة البعوض والناموسية[1] الواقية" و "من يشرب من ماء النيل يعود إلى بلده ليعالج الأمراض المحمولة" مع انتشار الملاريا وانتشار مياه المجاري في الشوارع فيضع الناس قوالب الطوب للمرور عليها.

ثم أصبحت باريس الشرق/ ووضع لها المهندس الفرنسي هاوسمان تخطيط باريس التي درس اسماعيل بها ونقل هذا المهندس النمساوي ذلك إلى القاهرة في خطوات حاسمة.

1- نقل مجرى النيل بعيدا مع ردم المحيط القديم.

2- ردم البرك والمستنقعات وتخطيط الشوارع والميادين: العتبة/ الأوبرا/ باب الحديد/ سليمان باشا/ الاسماعيلية/ الانتخانة/ عابدين/ القصر العيني.

---

[1] - نسيج رقيق يحيط بفراش النوم ليمنع دخول البعوض والناموس وغيره ويحمي من الأمراض المعدية، واشتقت من الناموس.

3- شارع الهرم: وهو المدخل الغربي إلى الأهرام مع ربطها بالطريق الموصل مع ردمه بارتفاع أربعة أمتار ورصفه وزراعة الأشجار على جانبيه في ستة أشهر.

4- تشجيع الأعيان على بناء مساحات المداخل بتوزيع الأرض مجانا والبناء خلال سنتين.

5- ربط شاطئي النيل بأول كبريين (كوبري قصر النيل / كوبري الإنجليز).

6- أول مشروع للمجاري وأول شبكة للإنارة بالغاز وأول شبكة للمياه مع ترصيف الشوارع بالأحجار وأفاريز[1] للمشاة).

7- غرس الأشجار والغابات والحدائق العامة (من الهند وإفريقيا والسودان والصين): حدائق الأرومان / والحيوانات / والأزيكية / الجزيرة / مع توزيع الأشجار على جانبي الشوارع.

8- المباني العامة ودور الخدمات: دار الآثار الفرعونية / دار الآثار العربية / دار الكتب/ دار المعارف/ دار الرصد بالعباسية / دار الإحصاء / دار الجغرافيا / دار العلوم / دار القضاء العالي / مدرسة المهندس خانة / حديقة الحيوان / مدرسة الصناعات والحرف / ثكنات الجيش / المدرسة الحربية بالعباسية / مدرسة الأركان بقصر النيل / دار الأوبرا / مدرسة الكوميديا / نقلا عن باريس.

9- نقل الحكم من القلعة إلى قصر عابدين مع ردم البركة أمامه وتسوية ميدان القصر للاستعراض مع الاحتفاظ باسمه القديم.

10- بناء المساجد والأضرحة الشريفة: سيدنا الحسين / السيدة زينب / مسجد بولاق / نقل العظام من قرافة العتبة الخضراء والأزبكية.

---

[1] - جمع إفريز ما أشرف من الحائط خارجا عن البناء للاستظلال وغيره من الأمطار والبرد.

* أول مئذنة من ابتكار مصر (مئذنة جامع عمرو)، وأول منبر نقل عن منارة الاسكندرية.

* القاهرة تصبح مدينة الألف مئذنة: ذات طابع متنوع بحسب العصور.

* مدينة الأذان والقباب من أثر قديم فرعوني في قرى الصعيد بقايا منه.

أهم المنشآت السياسية للدولة الحديثة بالقاهرة:

مجلس الشعب (الأمة سابقا) // قصر الدوبارة (المقر الرسمي للمندوب السامي، وتحول إلى فندق شبرد الجديد) // وقصر عابدين آنف الذكر // والمتحف المصري عند ميدان التحرير للفرعونيات أنشأه "كاستون فليت" من الرخام في طابقين يضم أولهما المنحوتات والثاني المومياوات[1] ووزارة الخارجية (قصر الأمير كمال الدين حسين سابقا) وهو الآن مدرسة لتخريج الأطر الديبلوماسية عند زيارتي الأخيرة.

مؤسسات فندقية عالمية ومستشفى العيني:

* وتطل مؤسسات فندقية على شارع كورنيش النيل:

كالهيلتون / وهيلتون النيل عند التحرير / وشبرد / والميرديان / وقصر العيني القديم آنف الذكر وقد استعمله بونابرت لعلاج جنوده ثم أنشأ به محمد علي مدرسة حربية ثم تحول إلى مستشفى "إدارة كلوت باشا" آنف الذكر ثم ضم إلى كلية الطب 1908 قبل نقلها إلى جزيرة الروضة ثم هدم وحول إلى قصر العيني الجديد، وقد مررت به هذه السنة 2007 حيث أصبح يضم جناحين أحدهما عمومي شعبي والثاني للخواص وذوي الجدة والمال.

---

[1] - زرته مرات وعندي اليوم دليل مفصل عن محتوياته طبع بمطابع المجلس الأعلى للآثار ط ثانية 1997.

ميادين ملتقيات الشوارع الكبرى:

كما تضم القاهرة الحديثة ميادين تلتقي عندها الشوارع الكبرى وتضم مرافق عمومية كالمقاهي والمساجد والمتاجر الكبرى وأشهرها:

* ميدان سليمان الحلبي: البطل آنف الذكر/ ميدان باب اللوق: التاريخي/ ميدان الشيخ يوسف: قرب التحرير، صاحب الشيخ صالح أبو حديد المكونين لعصابة لصوص في درب السعادة قبل توبتهما / ميدان القصر العيني: آنف الذكر/ ميدان باب الحديد: المشهور به أحد الأفلام الشهيرة بمصر / ميدان الانتخانة[1]: التحرير لاحقا وبه دار الآثار أو المتحف المصري آنف الذكر.

* ميدان عابدين آنف الذكر / ميدان الاسماعيلية: نسبة إلى الخديوي اسماعيل مؤسس القاهرة الحديثة (وسط البلد) / ميدان حي الأزبكية وزرته مرتين واشتهر قديما بالبركة المائية والمراكب ثم تحول إلى حديقة للنزهة ويطل عليه سابقا قصر الأوبرا قبل احتراقه ثم أقيم مكانه مسرح العرايس، ولا تزال بالميدان في الخلف بقايا أكشاك الكتب كما اكتشفت ذلك في هذه الزيارة سنة 2007. وإن كانت مجرد بسطيات في الطوار تجمع ليلا ثم تنشر صباحا.

* ميدان العتبة الخضراء: القريب من شارع الأزهر.

---

[1] - الانتخانة بالتركية ما يقابله بالعربية دار الآثار أو المتحف.

القهوة والمقاهي بالقاهرة ومنها إلى العالم

(بقلم عبد الستار الشهاوي) [1]

« بداية القول أن كلمة مقهى هي الصواب اللغوي والجمع مقاه إشارة إلى بيوت القهوة التي غدت تسمى باسم - القهوة- دلالة على المحل الذي تشرب فيه القهوة، لأن الكلمة عامية وإن كان البعض يرى أنها فصيحة للمكان ولا غبار عليها من باب حذف المضاف وإبقاء المضاف إليه.

ولأن الشيء بالشيء يذكر فيجب ونحن في معرض الحديث عن القهوة أن نذكر أصل الكلمة لغويا، فلقد جاء في القواميس والمعاجم العربية أن القهوة سميت بهذا الإسم لأنها تقهي شاربها عن الطعام، أي تقلل شهيته للطعام، وقبل اكتشاف البن -شراب البن- كان العرب قديما يطلقون على الخمرة اسم -القهوة- لأنها تقهي شاربها عن الطعام، وبما أن شراب البن هو أيضا يقهي شاربه عن الطعام لذلك أطلق العرب على شراب البن اسم (القهوة).

أول ظهور لبيوت القهوة كان بمصر في حارة الجامع الأزهر في العشر الأوائل من القرن العاشر الهجري وكانت تشرب في نفس الجامع

ويقول العلامة الفخر أبو بكر بن أبي يزيد في كتابه (النخوة في حل القهوة) في اشتقاق القهوة ما نصه: (إن القهوة من الإقهاء وهو الاحتواء أي الكراهة أو من (الإقهاء) بمعنى الإقعاد، من أقهى الرجل عن الشيء أي قعد عنه، ومنه سميت الخمرة (قهوة) لأنها تقهي أي تكره الطعام وتقعد عنه، حسبما نقل عمن يعرف أحوالها).

[1] - عبد الفتاح شهيد؛ (عدد خاص بالحرمين) المجلة العربية. المملكة العربية السعودية. الرياض. الموقع عبر الأنترنت (www.arabicmagazine.com).

ومن طريف ما روي في هذا الخصوص أن بعض الفقهاء الذين أحبوا هذا المشروب قالوا: (إن منقوع (البن) هو القهوة بكسر القاف وليس (القهوة) المفتوحة القاف) التي هي الخمرة!!

أما البن (بضم الباء) فقد جاء في تاج العروس أم (البن) بضم الباء كلمة مولدة استعملها أصحاب العقاقير وقد وردت في كلام داود الحكيم قال: هو ثمر شجر باليمن يغرس حبه في آذار وينمو ويقطف في آب.

متى ظهرت القهوة؟

يحدثنا التاريخ الذي عني بهذا الحب وشرابه بأن الأحباش كانوا يأكلون حب البن نيئا غير مطبوخ في الوقت الذي لم يكن أهل عدن واليمن يعرفون غير منقوع (الكفتة) أي منقوع (ورق القات)، ولقد تطور الأمر عند الأحباش فباتوا يشربون منقوع (حب البن) وقشره دون أن يصل ذلك إلى أهل (عدن واليمن) وظل الأمر كذلك حتى أواسط القرن التاسع للهجرة إذ ظهر شرب المنقوع وشاع في اليمن على يد الشيخ الإمام (جمال الدين أبي عبد الله بن سعيد البيحاني) المتوفى سنة 875هـ أما كيف حدث ذلك فيرويه الشيخ (محمد عبد القادر الجزيري الحنبلي)في كتابه (عمدة الصفوة في حل القهوة) حيث قال: (إنه لما تولى وظيفة تصحيح الفتاوى في عدن عرض له أمر اقتضى خروجه من عدن إلى بر عجم (بر أفريقية) فأقام به مدة، فوجد أهله يستعملون القهوة ولم يعلم بخاصيتها، ثم عرض له لما رجع إلى عدن مرض، فذكرها فشربها فنفعته، فوجد فيها من الخواص أنها تذهب النعاس والكسل وتورث البدن خفة ونشاطا. فلما سلك الشيخ البيحاني طريق التصوف صار هو وغيره من الصوفية يستعينون بشربها على السهر، ثم تتابع الناس والفقهاء هناك على شربها.

متى ظهر المقهى؟

لما شاع شرب (منقوع البن) أي (القهوة) وولع الناس بها ولعا كبيرا زاد الطلب عليها وأصبحت الحاجة ملحة لوجود مكان يخصص لها لكي يستطيع عامة الناس شربها فيه، ولذلك رأى بعض الأفراد إشباع هذه الحاجة عن طريق فتح محل خاص بإعدادها وبيعها للناس شرابا منعشا، فكانت هذه المحلات التي أطلقوا عليها اسم (بيوت القهوة). وهكذا بتوالي الأيام أخذ عدد هذه البيوت يتزايد واتجه الناس إليها (لاسيما في القاهرة ومكة والمدينة) اتجاها عاما.

أول ظهور لبيوت القهوة بالقاهرة:

أما متى ظهر أول مقهى في العالم فهذا ما يذكره لنا الفقيه اليمني (عبد القادر بن محمد الانصاري الحنبلي) صاحب كتاب (عمدة الصفوة في حل القهوة) حيث يقول: « إن أول ظهور لبيوت القهوة كان بمصر في حارة الجامع الأزهر بالقاهرة،، في العشر الأوائل من القرن العاشر الهجري وكانت تشرب في نفس الجامع (برواق اليمن) كل ليلة اثنين وجمعة يضعونها في ماجور[1] كبير من الفخار الأحمر، ويأخذ منها النقيب بسكرجة (إناء صغير) ويسقيهم الأيمن فالأيمن».

وقد لاقت القهوة على مر الأيام رواجا كبيرا فأصبحت من السلع التجارية المهمة، وبات اسمها يعرف بـ Coffee أو Caffee وهو اسمها العربي طبعا.

وصف المقهى بمصر:

في كتابهم (وصف مصر) يذكر علماء الحملة الفرنسية عام 1789م المقاهي في

[1] - إناء خزفي على هيئة نصف كرة يطبخ فيه عامية مصرية في الصعيد.

القاهرة بقولهم: تضم مدينة القاهرة حوالي 1200 مقهى بخلاف مقاهي مصر القديمة وبولاق، حيث تشمل مصر القديمة 50 مقهى، أما بولاق فيبلغ تعداد مقاهيها المائة، وليست لهذه المباني أية علاقة بالمباني التي تحمل نفس الاسم في فرنسا إلا من حيث استهلاك البن على الرغم من ان هذا المشروب يعد ويشرب بطريقة مختلفة.

ولا تشرب القهوة ملتهبة لكنهم يرشفونها وتلك عادة شائعة في الشرق تتطلب نوعا من التعود، وليس في هذه المباني أثاث على الإطلاق، وليس ثمة مرايا أو ديكورات داخلية أو خارجية، فقط ثمة منصات (دكك) خشبية تشكل نوعا من المقاعد الدائرية يطول جدران المبنى وكذلك بعض الحصر من سعف النخيل أو بسطة خشنة الذوق في المقاهي الأكثر فخامة بالإضافة إلى بنك[1] خشبي عادي بالغ البساطة.

وتخضع مقاهي القاهرة للإشراف المباشر لرئيس يشتري لنفسه حق التزامها وتدفع له كل المقاهي رسما صغيرا من بداية السنة التركية (الهجرية) (أول محرم)، ويبلغ هذا الرسم 10-40 مدينيا، وتعفى من دفعه المقاهي الفقيرة، ويستطيع كل من يريد أن يبني مقهى أن يفعل ذلك بمطلق حريته لكنه لا يستطيع مباشرة العمل فيها قبل الحصول على تفويض من المشرف على الحرفة، إذ هو على نحو ما مكلف عادة بالإدارة الداخلية والإشراف على هذه المنشآت، كما أنه ملزم بتقديم مرتكبي المخالفات من أبناء هذه الحرفة إلى العدالة، وتوكل مهمة الإشراف هذه عادة إلى آغا الإنكشارية (الكخيا المتولي) الذي يدفع حق هذا الالتزام إلى السلطة.

---

[1] - طرف من الخشب المسوى (عامية مصرية)

تكاثر المقاهي بمصر الحديثة:

وعن شكل المقهى المصري في القرن التاسع عشر يحدثنا المستشرق الإنجليزي (إدوارد وليم لين) الذي زار القاهرة وعاش فيها مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، في كتابه (المصريون المحدثون) فيقول: (إن القاهرة بها أكثر من ألف مقهى، والمقهى غرفة صغيرة ذات واجهة خشبية على شكل عقود، ويقوم على طول الواجهة ما عدا المدخل مصطبة من الحجر أو الآجر تفرش بالحصر، ويبلغ ارتفاعها، قدمين او ثلاثة وعرضها كذلك تقريبا، وفي داخل المقهى مقاعد متشابهة على جانبين أو ثلاثة ويرتاد المقهى أفراد الطبقة السفلى والتجار، وتزدحم بهم عصرا ومساء وهم يفضلون الجلوس على المصطبة الخارجية ويحمل كل منهم شبكه[1] الخاص وتبغه، ويقدم القهوجي القهوة بخمس فضة للفنجان الواحد، أو عشر فضة للبكرج[2] الصغير الذي يسع ثلاثة فناجين او أربعة. ويحتفظ القهوجي أيضا بعدد من آلات التدخين من نرجيلة وشيشة وجوزة، وتستعمل هذه الأخيرة في تدخين التمباك، ويتردد الموسيقيون والمحدثون على بعض المقاهي في الأعياد الدينية الخاصة).

ويمكن القول: إن العصر الذهبي لمقاهي القاهرة كان في النصف الأول من القرن العشرين خاصة في العشرينيات والثلاثينيات، فقد كانت القاهرة الجميلة الهادئة وقتذاك تزخر بالعديد من المقاهي الجميلة والرائعة.

أدوات المقهى المصرية:

في أي مقهى يطالعنا رف عريض فوق (النصبة) أي المكان الذي يتم فيه

---

[1] - الشبك او النرجيلة مركب من لفاف وقنينة زجاج ومباسم والتي يوضع فيها التبغ.

[2] - البكرج كلمة تركية للإناء النحاسي للقهوة.

إعداد المشروبات، هذا الرف يحمل عددا من النرجيلات وهي آلة التدخين وشكل النرجيلة لم يتغير كثيرا عما كان عليه منذ مائتي عام، في بداية القرن التاسع عشر الميلادي كانت النرجيلة تتكون من عدة أجزاء اولها الجوزة الهندي (وقد حل مكانها الآن البرطمان الزجاجي) ويوضع فيه الماء ثم القلب النحاسي الذي يحمل الحجر المصنوع من الفخار ويوضع فوقه الدخان وفوقه جمرات الفحم، وتتصل أنبوبة التدخين بقلب النرجيلة (ويسمى الأنبوب حاليا - اللي) ويوضع في مقدمته فم من الكهرمان.

وفي بداية القرن التاسع عشر كانت تقدم القهوة في (بكرج) موضوع على جمر في وعاء من الفضة او النحاس يسمى (عازقي) ويعلق هذا الوعاء في ثلاث سلاسل ويقدم الخادم القهوة ممسكا أسفل الطرف بين الإبهام والسبابة وعندما يتناول الفنجان والطرف يستعمل كلتا يديه واضعا شماله تحت يمينه، وتستعمل مجمرة تسمى (موقدا) من النحاس المبيض بالقصدير ويحرق فيها البخور أحيانا، وكانت القهوة يضاف إليها أحيانا الحبهان (الهيل) أو المصطكا، أما الأغنياء فكانوا يضيفون إليها العنبر، أما الآن فالقهوة تقدم في (كنكة) من نحاس ثم تصب في فناجين خزفية صغيرة وفي معظم المقاهي تقدم مجردة بدون إضافة أي شيء إليها.

أما أنواع القهوة المشروبة فهي:

- السادة: أي بدون سكر.

- مضبوطة: أي متوسط المذاق.

- زيادة: أي السكر أكثر قليلا.

والمقهى مكان اجتماعي أدى عددا من الأدوار على مر تاريخه، فقد كان المقهى قديما مكانا للانتظار، ومع مضي السنين أصبح للبعض بمثابة محطة تتوسط المرحلة بين البيت ومقر العمل، يحضر إليه العامل أو الموظف أو الحرفي أو التاجر لعمل (اصطباحة) وهو مصطلح مشتق من كلمة الصبح، أي يشرب كوبا من الشاي أو يرشف فنجان قهوة وربما يتناول إفطاره.

وبعض المقاهي ارتبط واشتهر بنوع معين من الرواد من أصحاب الحرف المعينة، كالطباخين والسقائين والبوابين والخبازين والعمال العاديين والكتاب العموميين (الذين يكتبون الرسائل والشكاوى بأجر)، وأصبح أرباب العمل يقصدونها لانطلاق وإدارة أعمالهم من فوق مقاعدها.

المقهى في رمضان بالقاهرة وأبطالها المرحون:

كانت المقاهي في رمضان الزمن الجميل، أشبه بلجان للاستماع والمشاهدة (قبل عصر التلفزيون والفضائيات) وعلى المغمورين من المشايخ والمطربين والفنانين تقديم أوراق اعتمادهم مباشرة إلى الجمهور، الذي يأتي من كل صوب وحدب، ليسمع ويستمتع ويرى ويحكم، وكان الجمهور نفسه مادة خصبة للأدباء والفنانين والمنتجين، من مكتشفي المواهب، يلتقطون منه نماذجهم البشرية وأبطال أعمالهم الفنية الجديدة، في المسرح والسينما.

وعلى سبيل المثال فإن شخصية (كشكش بيه) عمدة كفر البلاص، التي اشتهر بها ملك الكوميديا نجيب الريحاني، و (بربري مصر الوحيد) للعبقري علي الكسار، و (كبير الراحمية قبلي) للعمدة الجيزاوي، شخصيات حقيقية من دم ولحم، عرفتها المقاهي في ميدان سيدنا الحسين، كانت تأتي بانتظام في شهر رمضان

من كل عام، وذاعت شهرتها بين الرواد، ورسمت ملامحها الأزياء الشعبية المميزة، غير المألوفة لسكان قاهرة المعز.

وحتى الأراجوز وطرطوره الأحمر للمنولوجست الكبير محمود شكوكو، كانت شخصية حقيقية عرفت بـ (عفريت المحمل) منذ عهد المماليك، وكان يقوم بالرقص والشقلبة والتهريج أمام المحمل أثناء طوافه في شوارع القاهرة حاملا كسوة الكعبة.

ثم ظهرت شخصية (عفريت الليل) بعد إدخال مصابيح الغاز في عهد الخديوي إسماعيل، وكان يرتدي أفرولا أزرق وبيده عصا طويلة جدا في نهايتها شعلة يضيء بها القناديل في الشوارع الرئيسية، قبل أذان المغرب ثم يطفئها بعد أذان الفجر.

ومن الشخصيات الفنية المشهورة في رمضان (النقرزان)، وكان يرتدي سروالا واسعا منفوخا وصديريا صغيرا تظهر منه أكمام قميصه، وهو من اللون الأسود والأحمر المطرز بالذهب، وكان يضع على رأسه طاقية صغيرة ويمشي حافيا وبيده عصا طويلة يقذفها في الهواء ثم يتلقاها في منتصف جبهته، وعلى أرنبة أنفه ببراعة، وسط تصفيق وتهليل المارة لينال المقسوم من النقود.

أما الدراويش بجلاليبهم (الألاجة) وطواقيهم الخضراء وسبحهم الزرقاء ومباخرهم النحاسية، فهم ضيوف دائمون على المقاهي في الشهر الكريم، وفي الموالد وحلقات الذكر، لكن أعجب هذه الشخصيات جميعا، هو (المارشال)[1]، فقد اعتاد رواد قهوة الفيشاوي رؤيته جالسا على باب القهوة طيلة شهر رمضان، بزيه المملوكي وهو عبارة عن سروال واسع وبزة عسكرية بيضاء مرصعة بالنجوم على الأكتاف

[1] - وعندنا في المغرب نماذج من هؤلاء تارة باسم المارشال كما في مراكش أو باسم سلطان باليما إلى غير ذلك وقد توفي الرجلان منذ سنوات.

والنياشين على الصدر، وسيف كبير على جنبه وخنجر في وسطه، وكان من عادته أن يحصل آخر الليل على قطعة معدنية من النقود، من صاحب القهوة شخصيا، معتبرا إياها حصيلة إيراد اليوم معتقدا أنه الصاحب الفعلي للقهوة، وأن الحاج فهمي الفيشاوي كبير صبيانه، ولأن (المارشال) صار أحد معالم القهوة حتى أوائل السبعينيات من القرن الماضي، أضحى يبيت في المقهى بعد أن تهدمت الحجرة التي كان يسكنها فوق سطوح أحد البيوت المتهالكة في حي خان الخليلي.

لكن يبدو أن المارشال لم يكن درويشا تماما، ولم يذهب عقله بالكامل، فـ (خان الخليلي) يستمد اسمه من (سيف الدين جركس الخليلي)، أحد أمراء المماليك في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، وكان الخان في الأصل أشبه ما يكون بـ «مولات اليوم»[1]، مع فارق أنه يتسع لدواب المسافرين وغالبيتهم من التجار، وما يحملونه من بضائع، ففي صحنه المكشوف كانت تربط الدواب، وفي غرفه المطلة على الصحن كانت تعرض البضائع للبيع والمبادلة، أما الغرف العلوية فقد أعدت لنزول التجار وغيرهم من المسافرين، وهدم السلطان الغوري هذا الخان، وأنشأ مكانه حواصل وحوانيت ودكاكين، وجعل له ثلاثة أبواب لا تزال تحمل اسمه إلى اليوم.

مقهى الخان قرب الحسين:

لا ينسى الشيوخ والمخضرمون من رواد مقاهي سيدنا الحسين، تلك الليلة من رمضان، قبل أكثر من قرن من الزمان، عين اعتلى (عبده الحامولي) (ألمع مطربي ذلك العصر) مئذنة مسجد سيدنا الحسين، لينقذ بصوته الرخيم حي الجمالية من كارثة محققة.

---

[1] - المول: كلمة دخيلة بمعنى القصر التجاري الكبير الشامل لأصناف من المناشط الاجتماعية.

كان الحامولي جالسا على مقهى (الخان)، يدندن لمجموعة من أصدقائه في ضيافة الخواجة إسكندر عبد الله، أشهر تاجر جملة (مني فاتورة) بالمغربلين، وما أن علم رواد المقهى المجاورة بوجوده حتى تدافعوا داخل المقهى وخارجه، ومن شدة الزحام والاختتناق وخشية نشوب معركة كبيرة بين أصحاب المقاهي والرواد والفتوات في هذا الشهر الكريم، نصح أحد المقربين للحامولي بحل يدرأ الفتنة ويرضي كل الأطراف، خصوصا جمهوره، الذي لا يملك المال لسماع صوته في الحفلات، وتمثل هذا الحل في اعتلائه مئذنة المسجد لينشد بعض التسابيح.

جلاس المقهى يتجاوبون مع تسابيح الصوامع في رمضان:

وجرت العادة على أن تنشد التسابيح عقب آذان العشاء من أعلى المنابر في أواخر رمضان وتسمى (التواشيح)، ومعناها توديع الشهر الكريم، وبث ما لفراقه من الوحشة في النفوس، وما إن بدأ الحامولي إنشاده بصوته الجميل المنحدر إلى المسامع، حتى اكتظت ساحة الميدان وأسطح المنازل بالناس، وإثر كل وقفة من وقفاته كان الجو يمتلئ تهليلا وكبيرا:

يا من تحل بذكره

عقد النوائب والشدائد

يا من لديه الملتقى

وإليه أمر الخلق عائد

وترتفع الآهات من الصدور كدوي البحر الزاخر .... الله، وبقي الحامولي ينشد تواشيحه ثلاث ساعات دون انقطاع.

كان لرمضان في ذلك الزمان الجميل من البهجة والوقار ما لا وجود له اليوم، وعلى الرغم من أن الشهر الكريم بقي على عهده كل عام فإن الناس والأحوال تغيرت، إذ كانت الزينات في الساحات على شحوبها وقلتها، إذ قيست كرنفلات اليوم، أروع في العيون وأوقع في القلوب، لأنها كانت أعلق بالمعاني منها بالمباني[1].»

من أشهر دور العلم والتاريخ بالقاهرة الحديثة:

دار الآثار العربية، دار الآثار المصرية آنفة الذكر/ دار المعارف المشهورة[2] بمطبوعاتها الحية والجادة والرصينة/ دار الرصد (رصد خانة) وكان بها محمود باشا الفلكي المسمى أحد الشوارع هنا باسمه / دار الجغرافيا: أو الجمعية الجغرافية المصرية؛ وقد مررت راجلا بجانبها في الرحلة الأخيرة / دار القضاء العالي.

ومن المدارس:

مدرسة المهندس خانه: النواة الأولى لكلية الهندسة بالجيزة / مدرسة الصنائع / مدرسة الأركان: بقصر النيل / إلخ إلخ إلخ.

ومن القصور:

* قصر عابدين: آنف الذكر/ * قصر القبة: مقر سكنى الرئاسة الرسمي؛ وهو الآن مجرد قصر الرئاسة / * قصر الدوبارة: (فندق شبرد الجديد) وكان قصر الدوبارة بجاردن سيتي وبه السفارة البريطانية آنذاك وقد بنى قصر الدوبارة إبراهيم باشا واتخذته ابنته أمينة زوجة الخديوي توفيق سكنا وكنا قد زرناه بحثا عن صرف النقود في زيارتنا الثانية أواخر تسعينات القرن الماضي.

---

[1] - بقلم أحد أبناء القاهرة يونس الشهاوي، في المجلة العربية؛ عدد خاص.

[2] - تسمى بدار الكتب المصرية، وأخرجت عددا من كتب التراث الشهيرة كالأغاني والخصائص إلخ وغيرها.

عناوين دالة على فعاليات ومؤسسات وأعلام وامكنة للذكرى:

سعد زغلول/ الحكومة والنقراش والنماس وعلى ماهر وأحمد ماهر إلخ / الرئاسة ودور الملوك ورؤساء الجمهوريات / الكتاب والنوادي والمقاهي ودور الصحافة/ الأهرام وأخبار اليوم والهلال ورسالة الزيات/ الصحافة والأهرام خاصة والمجلات الثقافية كالرسالة والثقافة/ السينما المبكرة بمصر/ المسرح ويوسف وهبي / الكتاب المسرحيون والسينمائيون بدءا بالحكيم وانتهاء بنجيب محفوظ / أكشاك الكتب بالأزبكية / دور النشر ودار المعارف بمصر والخانجي والمنيرية والفجالة ودار الكتب / التراجمة: أحمد أمين ومن بعده زكي نجيب محمود / والمعارك الأدبية: العقاد وشكري و زكي مبارك والمازني و طه حسين / القصاصون الرواد: زينب وشجرة اللبلاب ويوسف السباعي وأرض النفاق وشجرة البؤس ويوميات نائب الأرياف والتيموريان وقنديل أم هاشم وزقاق المدق إلخ إلخ / الطلاب الوافدون النبغاء: طلاب أمين الخولي وطه حسين وشوقي ضيف وأحمد شاكر/ الفنانون الوافدون والفنانات / البعثات العلمية إلى أوروبا بدءا بالطهطاوي وانتهاء بلويس عوض / الجماعات الضاغطة إسلاميا واشتراكيا وشيوعيا/ تقاليد أدبية: يوبيلات فضية وذهبية وتتويج أمراء وجوائز تشجيعية للنخب الفكرية والعلمية / أطباء ومحامون أدباء وشعراء وقصاصون واعلام الفن الغنائي من قراء ومطربين ومطربات/ أعلام التمثيل الدرامي من سيد درويش إلى عبد المنعم مدبولي/ وأحمد غيث/ شعر الملاحم التاريخية الإسلامية والمصرية والعالمية/ دور الأوبرا والمسارح/ المكتبات العالمية كدار الكتب ومكتبة جامعة القاهرة ومكتبة الإسكندرية ومكتبات وزارة الثقافة المستقرة عبر القرى/ المسرح المحلي والمتنقل

السفير/ الكتب الشعبية التشجيعية على القراءة/ القراءة للجميع والثمن التشجيعي / الترفيه عبر النيل والإسكندرية وأسوان والأقصر/ العبارات والعبارات السياحية والشالهات على النيل/ المقاهي والنوادي المطلة على النيل / القرية الفرعونية والمتاحف الخاصة والعامة/ الحدائق الكبرى في الجيزة/ المزارات الإسلامية: الحسين والأزهر والسيدة زينب والسيدة نفيسة والإمام الشافعي والقرافة/ المزارات السياحية كالقلعة والأهرام والبرج/ المدن السينمائية: استوديو مصر وماسبرو والمدينة السينمائية/ دور الفنانين: كرمة ابن هانئ ومتحف طه حسين والعقاد وعبد الناصر والسادات ومتاحف عابدين/ المعاهد الاجتماعية والإنسانية والمتاحف الملحقة بها وقاعاتها الثقافية / الإذاعة والتلفزيون والبرامج العديدة عبر نايل سات وبرج التلفزيون / السلاسل الثقافية الأسبوعية والشهرية وكتب الجيب / الحمامات التقليدية والحمامات العلاجية العصرية / الاستحمام في حلوان وشرم الشيخ والغردقة وعلى السفن العابرة للنيل جنوبا وشتاء وربيعا وصيفا إلخ / الشقق المفروشة والفنادق وانفتاح على الخارج.

من حدائق القاهرة الجديدة على قلتها نسبيا من حيث المسافة المخصصة:

حديقة الأزبكية آنفة الذكر / حدائق الميادين المشار إليها آنفا / حدائق عند مداخل الفنادق وبعض المؤسسات العامة/ حدائق قصر النيل/ حديقة الأورمان / حديقة الحيوان.

أطول شوارع القاهرة الخديوية الرابطة بين جهات القاهرة كلها:

إذا كانت القاهرة التاريخية لا تملك من الشوارع الطويلة إلا شارع بورسعيد المنطلق من عند السيدة جنوبا إلى الزاوية الحمراء شمالا فإن بها شوارع تصل إلى كلمترات رابطة بينها وبين القاهرة الحديثة وغيرها، منها:

* **شارع رمسيس**: يبدأ من كورنيش النيل عند ميدان عبد المنعم رياض عابرا مناطق: غمرة والوايلي الصغير وميدان العباسية إلى مدينة نصر ممثلا محورا رابطا بين القاهرة الحديثة وضاحية مصر الجديدة.

* **شارع كورنيش النيل**: الذي يبدأ جنوبا من مصر العتيقة من أمام جزيرة الروضة، ويسير بحذاء النهر حتى يصل شمالا إلى "روض الفرج" عند محطة الكهرباء الجديدة في شبرا الخيمة، تحمل بعض أجزائه اسم "ماسبرو" أبو الصناعة السينمائية الحديثة بمصر، كما يمر من الجنوب إلى الشمال بالقصر العيني وجاردن سيتي وثكنات قصر النيل وأحياء بولاق محاذيا النيل في كل ذلك.

* شارع صلاح سالم: يربط بين مصر القديمة شرقا من أمام كوبري الملك الصالح جنوبا مارا عبر أبو السعود وعين الصيرة، والخليفة، والمنشية، والإمام الشافعي، والقلعة، والدراسة ... إلى مدينة نصر إلى مطار القاهرة بعد عبوره تحت نفق العروبة.

* شارع محمد علي: يربط بين شبرا مارا عبر مناطق الأزبكية متقاطعا إلى الجنوب الشرقي مع شارع الأزهر وقناة بور سعيد والمغربلين وينتهي إلى الصليبة وميدان صلاح الدين ليصبح أطول شوارع القاهرة الشرقية، ممثلا أهم الشوارع المارة بوسط البلد والقاهرة الفاطمية والقاهرة العتيقة جنوبا، وهو من تخطيط اسماعيل مدخلا رئيسا إلى القاهرة شرقي النيل اقتداء بمدخل مدينة باريس.

الجولة التاسعة بالقاهرة:

الرحالة المغاربة

على شط النيل بالقاهرة

المخيال المغربي عن نهر النيل وقصص الأنبياء حوله:

لفت هذا النهر العظيم أسماع المغاربة إليه وهم يقرؤون في قصة موسى متعجبين ، من مثل قوله تعالى (فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا)[1]، فيعجبون من هذا الأمر الإلهي الدال في ظاهره على احتمال إغراق موسى وهو في سفط[2] من ورق البردي يتماوج به اليم وبين اعتبار هذه المغامرة تكريما إلهيا لموسى وأمه إبعادا للشبهة وإلقاء بالطفل إلى المجهول حرصا عليه من جواسيس وجاسوسات القوابل من الفرعونيات ذوات الحس المرهف والبصر الحاد، ثم يسمعون من الحديث الصحيح عن الأنهار النابعة من الجنة وعلى رأسها النيل[3] فيزداد عجبهم ويشتد ظمؤهم إلى شربة من هذا النهر الشبيه بالبحر في عظم مائه مع الحلاوة الشديدة، ثم يكتب الله لبعضهم الرحلة إلى الحجاز فيمرون بالنيل عابرين أو محاذين او مقتحمين وهم بالإسكندرية ورشيد ودمياط ومنها إلى القاهرة في رحلة عبر الدلتا يسحرون فيها بخيرات الأرض المسقية بترع النيل وقد يركبون متنه في نقط بعينها أو ينزلون مساحلين إلى أن يوفوا القاهرة حيث يبدأ النيل في التوسع وقد اجتمع في صورة نهر ضخم كبير العرض قبل أن ينقسم إلى الفرعين الرئيسيين فرع رشيد وفرع دمياط، وفي مخيلاتهم من الأخبار المنقولة عبر كتب التفسير والسير والتاريخ والقصص مثل ما ينقل عن كرامة عمرو ابن العاص في إبطال عادة إلقاء فتاة في النيل قصد استدرار الفيضان كل سنة، بالإضافة إلى ما

---

[1] -القصص: الآية 7.

[2] - السفط: طبق كبير نسبيا من ورق البردي غير النافذ فيه الماء مغطى بغطاء محكم.

[3] - هي دجلة والفرات والنيل وسيحون وجيحون والحديث في الصحيح.

ورد من أسباب ورود قصة يوسف ورؤياه حول السنين العجاف التي سببها عدم وفاء النيل بعد ان سبقتها سنون مثلها متوالية الفيضان والوفاء كرامة لنبي الله نالت المصريين أربع عشرة سنة وأنقذت مصر من الإفناء بسبب إفلاتهم من الجفاف والمجاعة والأمراض المصاحبة والآفات الداهية في أكل لحوم الميتة مما ينفق من الحيوان او خطف الأطفال وأكلهم عند الضرورة مما يتحدث به التاريخ مع كثرة اللصوصية وقطع الطريق والهجرة وخراب المدن والقرى جملة!

كما يقرؤون من كرامات النيل ورود القوافل من النواحي للامتيار عند حدوث جفاف بها خارج مصر في مثل قصة إخوة يوسف رضي الله عنهم، وكذا إرسال الطوفان النيلي على فرعون موسى عقوبة وآية لم يتعظ بها الفرعون فكان من المغرقين.

الرحالة المغربي يلتقط صورة مبكرة للنيل وهو يطوق خصر القاهرة ذات ربيع:

ولعل أحسن من صور النيل وهو يمد ذراعيه من الجنوب نحو القاهرة الرحالة المغاربي صاحب "تاج المفرق في تحلية علماء المشرق" خالد بن عيسى البلوي وقد دخل إليها عبر النيل من الإسكندرية سنة 736هـ معجبا بسحرها العذب الذي يمد ذراعيه إليها من شدة الشوق منشدا:

وأوفى إليها النيل من بعد غاية — كما زار مشغوف يروم وصالا
وعانقها من فرط شوق بحسنها — فمد يمينا نحوها وشمالا

حيوية وسط نهر النيل وأشجار وطيور وحيوانات ومنشآت تمخر عبابه في عيون صاحب تاج المفرق المغربي الأندلسي:

ثم يمضي مصورا جنبات النيل وهو ينظر إليها من سفينة سياحية وما يتخلله من جزر بعضها صغير وبعضها متوسط وقد كثر نباتها وشجرها وعبق زهرها وتلألأ نورها في وقت هدوء النيل في صورة ممتلئة بالحركة والأصوات والألوان يقول: «ركبت بحر نيلها العذب في جملة من الصحب ... فاستوينا على جارية من تلك الجواري المنشآت ... تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب...! وسرنا في منتزهات تلك الأقطار ... وتمتعنا بالحدائق الغضة والنسيم المعطار! والريح تصفق والغصن ينثني، والقُبّر يصرصر، والبلبل يتغنى، والطير قد تكلم، والعود قد ترنم، وقد خيم السرور:

والسفن تغدو في الفرات بنا ... والماء مرتفع ومنحدر
فكأنما أمواجه عكن[1] ... وكأنما داراته سرر[2]»

مراكب النيل شريان حيوي يمد الساكنة بالخدمات والسلع والمواد الغذائية في مشاهدات الرحالة عيسى البلوي:

ثم مضى ملتفتا إلى بعض وظائف النيل الاقتصادية فيذكر من مراكبه التجارية آنذاك ما يفوق الألف عدا، يضاف إليها الزوارق الصغار للصيد والركوب، أما الجمال الواردة والصادرة إليه من القاهرة للسقيا فأكثر من ان تحصى رابطة بين القاهرة والنهر بالسقيا التي لا تفتر، يضاف إليها سائر الدواب الأخرى وكذا السقاؤون بالزقوق والقرب في نحو ستين ألف دكان، تعتبر نقطا للربط بين أهل القاهرة والماء في كل وقت وحين (نفسه 618/1).

[1] - جمع عكنة ما انثنى من جوانب الخصر.

[2] - جمع سرة وهي الثقبة وسط البطن المقطوعة من الحبل السري والخلاص بعد الولادة.

العبدري يقرأ مقدار حزب من القرآن مستعرضا النيل ومقدار مساحته الواسعة عرضا:

أما العبدري الحيحي الذي دخل إلى القاهرة من الشمال أيضا سنة 688 هـ فلم ينس أن يصحبنا في رحلة تسلية قام بها داخلا من مجمع النهرين وهو يقرأ القرآن لمعرفة الوقت الذي يستغرقه العابر المستعرض للنهر من ضفتيه فوجده بمقدار حزب كامل من القرآن الكريم (الرحلة العبدرية: 146) دون أن ينسى أن يرسم صورة للنيل يتجاوب فيها مع بقية أنهار العالم بصورة عكسية حيث يفيض من الجنوب إلى الشمال من جهة ويكون وقت فيضانه صيفا لا شتاء، دون أن يغفل ما لاحظه من اهتمام السلطات بقياس مد فيضانه سنويا لتوقف نسبة الخصوبة والجدب على ذلك، متحدثا عن كيفية جلب المياه منه إلى الضفتين عبر الترع، مع ما لاحظه من امتداد العمران على ضفتيه واتصال الطرق من مجراه إلى مصبه (نفسه 146).

ابن سعيد المغربي يعجب بقصر السلطان عند جزيرة الروضة قبالة الفسطاط:

هذا، وندخل مع الرحالة المغاربة إلى النيل جنوبي القاهرة عند محاذاة الفسطاط فنجدهم يعجبون بجزيرة الروضة التي تركها النيل في الوسط ولفها بذراعيه قبل أن يطويهما ليستمر متوحدا في مجراه إلى خارج القاهرة حيث سينقسم إلى فرعين: فرع دمياط وفرع رشيد، ويتحدث أحد أهل القرن السابع ولعله صاحب المغرب في حلى المغرب أبو الحسن بن سعيد المغربي عن هذه الجزيرة العامرة بقصر السلطان آنذاك بإزاء الفسطاط مع المرسى النيلي بإزائها ذي الصيت التجاري الكبير:

«ثم انفصلنا من هناك - أي من الفسطاط - إلى ساحل النيل، فرأيت ساحلا كدير التربة، غير نظيف ولا متسع الساحة؛ ولا مستقيم الاستطالة؛ ولا عليه

سور ... إلا أنه مع ذلك كثير ... بالمراكب وبأصناف الأرزاق التي تصل من جميع أقطار النيل»[1] [*2].

قصر جزيرة الروضة نزهة الأبصار لأهل الفسطاط ليلا:

ثم يصف ضيق النيل في هذا المرفأ لاحتلال جزيرة الروضة جزءا من مساحته دون أن ينسى أن يأخذنا إلى هذه الجزيرة عبر الجسر الذي أُقامه السلطان إليها مع قلعة بناها بها قريبا إلى جهة الفسطاط، أما سورها الأبيض الشامخ فذو منظر فرجوي بهيج (نفسه 242/2).

الحسن الوزان ومشاهدات حول مؤسسة مقاس منسوب النيل:

أما الحسن الوزان من القرن العاشر فقد توغل فيما يظهر في هذه الجزيرة ونقل إلينا تفصيلات عن سكانها آنذاك سنة 923 هـ في نحو ألف وخمسمائة كانون، مع القصر السلطاني ومع الجامع الفسيح الرائق المنظر لوقوعه على ضفة النيل مباشرة، مضيفا إلى هاتين المؤسستين مؤسسة فريدة لقياس منسوب النيل، وقد توغل في جوف هذه المؤسسة المستقلة والمغطاة ذات الحفرة المطلة على القناة المتصلة بالنهر في نحو 17 ذراعا على التحقيق وعليها مختصون بقياس منسوب النهر على عمود مكتوب عليه المقياس، فإذا وصل الصيف ووفاء النيل أحضروا صبيانا ذوي مناديل صفر ليبلغوا لسكان القاهرة بنسبة ارتفاع النيل في القاهرة وأرباضها، مع تفصيلات طريفة في محتوى البلاغ بحسب درجة الفيضان تبشيرا بسنة خصبة وإنذارا بسنة صعبة! وعلى هذا تتوقف الأسعار وأثمان القمح، وتتخذ إجراءات احتياطية لئلا يغمر الماء الدكاكين الواطئة إلى غير ذلك (وصف إفريقيا 213 – 214).

---

(1) – نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب 341/2.

(*) – (انظر صورة النيل وتطل عليه مباني الجيزة الحديثة).

الوزان يصف الاحتفال بوفاء النيل:

ثم ينقل وصفا حيا للحفلة الكبرى في الأيام الأولى للفيضان «يرتفع أثناءها ضجيج الصراخ والموسيقى حتى لكأن المدينة تنقلب رأسا على عقب، تأخذ كل أسرة زورقا تزينه بأرفع القماش وأزهى الزرابي ويكون جميع السكان في الزوارق يتسلون.... ويشارك السلطان في الاحتفال ... يذهب إلى القناة الكبرى المسورة المسماة بفم[1] الخليج ليتناول شاقورا ويشرع في هدم الجدار الذي كان يمنع وصول الماء -أي الفائض- فيتدفق النيل حالا في القناة بقوة كبيرة وينتشر من هناك في باقي القنوات بالضواحي والمدينة المسورة» (نفسه 214 – 215).

يشبه القاهرة ونيلها بالبندقية وتخلل مياه البحر لشوارعها:

ولا ينسى الوزان أن ينقلنا من هذه الصورة إلى البندقية في موازنة طريفة بين المدينتين «بحيث إن القاهرة تكون ذلك اليوم شبيهة بالبندقية، فيمكن الذهاب بالزوارق إلى جميع الأماكن المسكونة وكل أطراف مصر، ويستمر الاحتفال سبعة أيام وسبع ليال، بحيث إن التاجر والصانع ينفق كل ما ربحه أثناء السنة في هذا الأسبوع على الطعام والحلويات والمشاعل والعطور والمغنين» (نفسه 215).

كسر السد عادة فرعونية ممتدة عبر العصور:

ويضيف بعدا تاريخيا مهما لهذا الحفل السنوي الخالد، مذكرا بأنه عادة من بقايا حفلات قدماء المصريين: حيث كان الفرعون نفسه يذهب لكسر هذا السد؛

---

[1] - هو الخليج المحفور للربط بين النيل والمقطم في بداية العصر الإسلامي ولم يلبث أن استقطب الساكنة صيفا فأنشئت عليه 24 قنطرة من فمه إلى الأميرية منها قنطرة الموسكي ثم ردم في نهاية القرن 19 وأصبح من أطول الشوارع المسمى بالسد البراني والخليج المصري وقناة بورسعيد اليوم (انظر خريطة القاهرة) والمحفورة منذ عهد عباس وإسماعيل قصد إمداد القاهرة بالأنابيب المائية والغازية.

وقد أشار بعده صاحب "أنس الساري" أبو عبد الله القيسي وهو يزور القاهرة سنة 1040هـ إلى هذا الحفل الذي يكسر فيه السلطان مسد هذه القناة وما يفيضه ذلك على البلاد من جبر الأقوات والأحوال بالخصب يقول «فكلما تنفس نفسا من أنفاسه؛ ملأ الأرض نجدا وغورا، وأفعمها ظهرا وبطنا، ... فكم جبر بكسر خليجه كسرا! ولكم أطلق بانطلاقه عسرا» (أنس الساري والسارب: 41).

الحاج يوسف صبي الحاج المغربي يتحقق من وجود فرعين للنيل عند الدلتا لا غير:

أما الرحالة المسمى بالحاج يوسف وكان في ركب سيده المغربي في هذه الفترة من القرن 11هـ فلم يتجاوز ما ذكره من سبقه، وهو يلاحظ؛ بحسه التجاري وذكائه الأوروبي المنشأ، هذه المفارقة في الفرح بفيضان النيل وغمره الأرض أربعين يوما معللا ذلك بشحة الأمطار بمصر وإن كان قد رأى بالقاهرة المطر يهطل بغزارة شديدة حتى إن سيده قد تسربت إلى حمولته التجارية من الكتان ببولاق أمطار القاهرة فأفسدتها؛ كما يؤكد عدم صحة كثرة فروع النيل المتفرعة ابتداء من القاهرة إلى أكثر من فرعين معتبرا بقية الفروع مجرد ترع محدودة الامتداد (رحلة جوزف بتس أو الحاج يوسف إلى مصر ومكة والمدينة المنورة؛ ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ؛ سلسلة الألف كتاب الثانية ص 28 - 29 دون أن ينسى ملاحظاته الدقيقة حول أسماك النيل وطيوره وبطه وإوزه) (نفسه 29).

إبداعات المنادين والأطفال وأناشيدهم عند كسر السد:

هذا وقد نقل فيما بعد أحد الرحالة الأوروبيين خلال سنتي 1833 - 1835 وهو صاحب التكملة على قاموس الفيروزآبادي وعاش في القاهرة وبين علماء

الأزهر مدة مكنته من الاطلاع على أسرار اللغة العربية ولهجاتها وعلى عادات المصريين أيضا هو "إدوارد وليم لاين" نقل كلمات المنادي بوفاء النيل ومجاوبه من الصبيان في نحو:

المنادي: محمد رسول الهداية. الصبي: رحلة المحمل إليه (يشير إلى المحمل المصري لكسوة الكعبة سنويا)

المنادي: الهادي السلام عليه. الصبي: الخير مطروح على الذي يبارك عليه.

المنادي: خيرات الكريم كثيرة. الصبي: والخير دفاق على الأبواب.

المنادي: سبحان الذي بسط الأرض الصبي: وأعطى الأنهار الجارية المتدفقة.

المنادي: وبفضله اخضوضرت الحقول. الصبي: ويحييها بعد موتها.

المنادي: وهبنا الخير والوفرة وزاد النهر وسقى الأرض العالية. الصبي: والجبال والرمال والحقول!

المنادي: فاض النيل وأكمل قياسه. الصبي: الله صاحب هذه الوفرة والغزارة!

المنادي: والقنوات تتدفق. الصبي: الله!

المنادي: والقلل ضاقت. الصبي: الله!

المنادي: وخازن الحب فشل! الصبي: الله!

المنادي: وإن أراد الخازن الشح! الصبي: الله!

المنادي: فليرزقه الله الموت بالعمى والهم. الصبي: الله!

المنادي: لا أقف أمام الذي يحبس الماء في الجرة. الصبي: الله!

المنادي: والذي يسكت القطط ساعة العشاء. الصبي: الله!

المنادي: العالم متنور الصبي: الله!

المنادي: والبنات تتزين. الصبي: الله!
المنادي: والعجائز تنقلب وتسقط! الصبي: الله!
المنادي: والمتزوج أضاف زوجة على الثماني جماعته!
المنادي: والعازب تزوج ثماني عشرة زوجة![1] الصبي: الله!
الصبي: الله!

وهكذا يستمر الإبداع المرتجل إلى أن يقدم أحد السكان هدية فضية أو نحاسية (عادات المصريين وتقاليدهم ص 505 - 510/ تر: سهير دسوم / ط 2 / مكتبة مدبولي، القاهرة 1999).

عادات مصرية عامة:

- الإعلان بالأذان عن المناسبات العامة والخاصة.
- الاحتفال بكسوة الكعبة في القلعة من الخيامية.
- عيد شم النسيم.
- الموالد كالحسين والسيدة (سرادقات حلوى المولد) ذكرى مولد شيخ صوفي مثلا.
- حفلات الزار المنزلية.
- زيارة المقابر ليلة الجمعة والمبيت بها إلى مساء الجمعة في أحواش خاصة عائلية ترحما وامتثالا للحديث الشريف.
- احتفالات الصوفية بقيادة رئيس الطائفة الصوفية إلى الحسين والأزهر والسيدة مع الأعلام والبارق[2].

---

[1] - مجرد دعوى لا تجوز إسلاميا وإن أراد التوسع فعليه بما ملكت يمينه. والمبالغة هنا مقصودة !
[2] - البيرق حلية نحاسية تحمل اسم الجلالة أو نجمة أو هلالا.

-إحضار المقرئين في العزاء وإقامة سرادقات للاستقبال مع الشربات.

-قيام صبيان الفراشة بنصب السراقات وتفريش الأرض بسلاليم طويلة وبخفة متناهية (الخرجة للمتوفى) والفرش (للسرادق يتفق على الثمن والمستوى) واللون أزرق كحلي للحزن.

-سرادقات الفرح: (لون الياقوت الأحمر) وهو لون الشربات بماء الورد مع الموسيقى الصاخبة.

-سرادقات موائد الرحمان في رمضان.

-تحمل البيارق والأعلام اسم الجلالة واسم الرسول الأكرم والخلفاء الراشدين واسم شيخ الطريقة وآيات في التوحيد وكلمة (مدد) في أشكال مربعة او مستطيلة أو مثلثة يقوم بها الخيامية بتثبيت الفرش الملون على الأرضية مقطوعا بحسب الكتابة أو الزخرفة.

ابن سعيد المغربي يؤخذ بجمال جزيرة الروضة:

ومن اللقطات الفائقة الحسن عن جزيرة الروضة ما وصف به ابن سعيد المغربي هذه الجزيرة الفاصلة بين الفسطاط والجيزة والمحتوية على مقياس المنيل المتقدم؛ فبعد ان ذكر أنها المتنزه لأهل مصر؛ وأن الملك الصالح بن الكامل اتخذها لذلك مقرا لسلطته ذاكرا القلعة المسورة العالية الفائقة الحسن، حاكيا من تاريخها الجمالي اختيار الأخشيد لها مقرا وبستانا وهو الذي أمر بهودج لزوجته المفضلة مع إشعال سرجها ليلا؛ ثم وصف مساحة طويلة بين القلعة والشاطئ وفيها حديقة حيوان يتفرج عليها السلطان؛ ثم أنشد ابن سعيد فيها:

انظـر إلى سـور الجـزيرة في الـدجى | والبـدر يلـثم منـه ثغـرًا أشـنبا
تتضـاحك الأنـوار في جنباتـه | فتريـك فـوق النيـل أمـرًا معجبًا
بينـا تراه مفضضًـا في جانـب | أبصـرت منـه في سـواه مـذهبًا
لله مـرآى مـا رآه ناظـري! | إلا خلعـت له المقـام تطـربا[1]

ربض بولاق يتسع عمرانه في عهد الملك الناصر وعصر الوزان:

يتحدث الوزان خلال القرن العاشر سنة 923 هـ وعن ربض بولاق بإعجاب كبير من حيث سعة مساحته وكثرة مطاحنه وسكانه وطبقات تجاره وصناعه وخاصة في مجال الحبوب والزيت والسكر.

وأصل تعمير هذا الحي تاريخيا يرجع إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون ذلك البناء العظيم من القرن السابع حيث تولى في آخره ثلاث سلطنات أتاحت له بسبب محبته للعمارة بعد ان قدم من الكرك بالأردن، حتى قدرت مصاريفه اليومية في ذلك بثمانية آلاف درهم ينفق منها في العمارة مائتي ألف ويعيد نقض ما لا يعجبه منها ويجددها.

ومن جملة تعميره ناحية بولاق التي كانت قبله مجرد رمال ترمي بها المماليك النشاب ويلعب الأمراء فيها بالكرة؛ فصارت كلها دورا وقصورا وجوامع وأسواقا وبساتين؛ وبلغت بساتينه إلى حدود "جزيرة الفيل" أو بركة الفيل أكثر من مائة وخمسين بستانا بنسبة نمو قياسية وكانت لا تتجاوز العشرين؛ وهكذا استطاع أن

---

(1) - (نفح الطيب 344)

يجعل العمارة تمتد على ساحل النيل لتملأ الفراغات والبرك والأكوام التي كانت تعرقل السير والاستغلال خارج أسوار القاهرة المعزية[1].

ويظهر أن هذه العمارة استمرت إلى القرن **10** هـ الذي زار فيه الوزان هذا الربض الذي وصفه بأنه "كبير جدا" يبعد نحو ميلين عن المدينة "المسورة"[2] – فهو إذن حي مستقل بنفسه مطل على النيل - إلا أن الطريق المؤدية إليه من القاهرة عامرة فيها "بيوت وطاحونات تديرها الدواب"[3]

الموقع الاستراتيجي لربض بولاق عصر الوزان كممون غذائي بالحبوب والسكر والزيت:

ثم يحدد موقعه دون أن ينسى عتاقة هذا الحي التي أشرنا إليها بتفصيل وأنه "مشيد على ضفة النيل" مباشرة، مع تقديم إحصاء سكاني له في نحو "أربعة آلاف كانون" يقصد بالكانون الفرن الدال على الوحدة الأولى وهي الأسرة، ثم يدخل في تفصيلات عن طبقاته من السكان فيلاحظ كثرة الصناع والتجار به "خصوصا منهم بائعي الحبوب والزيت والسكر"، فهو إذن حي استراتيجي يصدر منه ويستورد الغذاء الأساسي للعاصمة وبسبب موقعه على شاطئ النيل غدت بيوته الشاطئية الجميلة جدا مكانا يستمتع من نوافذها برؤية السفن الآتية عن طريق النيل إلى "مرسى القاهرة" الواقع في هذا الربض، في هذا القرن العاشر؛ ملاحظا كثرة ما يرسو به أحيانا من الزوارق المتوسطة التي قد تبلغ الألف وهو ميناء رسمي وجمرك لاسيما في إبان الحصار حيث توسق إليه الحبوب من الجنوب والشمال والوسط ثم يشير

---

[1] - بناة القاهرة: ص 43 – 45، المكتبة الثقافية؛ دكتور عبد الرحمان زكي – عدد 220 / القاهرة د.ت.

[2] - وصف إفريقيا ص: 210.

[3] - نفسه 210.

إلى مؤسسة "المكس" المقامة فيه قصد تعشير السلع الواردة من الإسكندرية أو دمياط بنسبة أقل من النسبة المفروضة على السلع المحلية والحبوب.

علاقة باب البحر بسور القاهرة ببولاق:

وبذلك تظهر أهمية وجود باب البحر بالسور الغربي للقاهرة المعزية؛ وهو يشير باسمه إلى أهمية استعماله للوصول أو الصدور من المرسى التجاري في حركة دائبة بحسب الفصول لتزويد القاهرة بالمؤن والسلع الأساسية تحقيقا للأمن الغذائي.

أصل كلمة "المقس":

هذا ولا تزال منطقة "المقس" المحرفة عن "المكس" بالقاهرة تشير إلى حيث يتم تحصيل الجمارك على الواردات، وهناك مسجد "أولاد عنان" الذي أنشأه الحاكم بأمر الله منذ القرن 4هـ، وعمره بعد ذلك الصاحب عبد الله المقسي عام 770هـ ثم سكنه الشيخ محمد عدنان وأخوه وأولاده فعرف بهذا المسجد بهم والمسمى اليوم بمسجد الفتح[1].

منصة رسمية فاطمية للجيش الصادر والوارد إلى النيل ومنه:

ويقع شمال هذا المسجد "منظرة المقسي" وكان يجلس عليها الخليفة الفاطمي عند استقبال أو توديع الأسطول الحربي الذي يبحر للغزو من مرسى المقس البولاقي إلى دمياط ومنها إلى البحر الأبيض المتوسط، ويشير اليوم "شارع باب البحر" إلى هذه الحركات التاريخية في سجل الأمة المصرية إلا أن حركة النيل فيما بعد غربا جعلت المياه تنحسر عن منطقة المقس ليتحول الميناء البولاقي غربا حوالي 1280 م كما يسمى الجزء الشمالي من أرض "المقس" أرض "الطبالة" التي تقع

---

[1] - عباس الطرابيلي: شوارع لها تاريخ ص 73.

اليوم بحي الفجالة في هذه الناحية التي كانت بساتين يزرع بها الفجل في هذا الربض البولاقي الكبير الاحتياطي في مجال الغذاء بأنواعه: حبوبا وخضرا وزيوتا وسلعا، اتخذه باعة الفجل وزارعوه مساكن فلاحية سرعان ما تقهقرت حالتها فيما بعد لتضحي "كوما للريش" وخرائب وأطلالا يلجأ إليها المهشمون والخارجون عن القانون حتى بدأت قاهرة إسماعيل بتخطيطها وتخطيط هذا الربض البولاقي كله[1].

ابن سعيد المغربي يصف بركة الفيل شعرا ملتقطا لها مشهدين: نهاري وليلي:

ومما يتصل ببولاق "بركة الفيل"[2] التي كانت قائمة الذات قديما قبل ردمها في عهد أبناء محمد على أواخر القرن 19م؛ وممن وصفها ابن سعيد المغربي صاحب "المغرب في حلى المغرب" مشبها لها في الاستدارة بالبدر وما يحيط بها من المناظر والأزهار بالنجوم، وان السلطان يركب إليها من القاهرة ليلا، وسط مئات من المشاعل مما يعطي لمحيطها أعجب منظر يستهوي عواطف الشعراء في مثل قوله واصفا:

انظر إلى بركة النيل التي فجرت   لها الغزالة فجرا من مطالعها
وخل طرفك مجنونا ببهجتها   يهيم وجدا وحبا في بدائعها

وأحسن منه هذه الصورة:

انظر إلى بركة النيل التي اكتنفت   بها المناظر كالأهداب للبصر
كأنما هي والأبصار ترمقها   كواكب قد أداروها على القمر[3]

---

[1] - سيد كريم: القاهرة مدينة عمرها ألف سنة ص: 104.

[2] - نسبة إلى منشئها صديق أحمد بن طولون، وعمرت ابتداء من 600 هـ وحولها القصور الجميلة وكانت ممتدة من ميدان القلعة إلى الخليج (عباس الطرابيلي: شوارع لها تاريخ 141)

[3] - نفح الطيب 347/2.

ابن سعيد وأحسن موضع للفرجة خارج القاهرة رغم صعوبة الوصول إليها:

أما أرض (الطبالة) من هذه الناحية البولاقية فيراها ابن سعيد المغربي (ق 7هـ) أحسن موضع خارج سورة القاهرة للفرجة، لاسيما أرض القرط[1] والكتان[2] منها، وأن الوصول إليها يعوض عن تعب المرور خارج السور بين المباني والطريق المتربة بالغبار الأسود وكذا عن لون سور القاهرة الخارجي الأسود أيضا، ويتضمن البيتان اللذان أنشهدهما فيها ما يدل على تخلل الجداول من المياه لها وحسن ازهارها وانوارها؛ وكذا وصف (الخليج) الذي يقطعها يتناقص صببيه حتى يصير كالخيط عند انحسار النيل.

---

(1) - وحب القرط يشبه حب البرسيم.

(2) - نفح الطيب 346/2.

تصميم القاهرة الفاطمية وبولاق غربها قديما

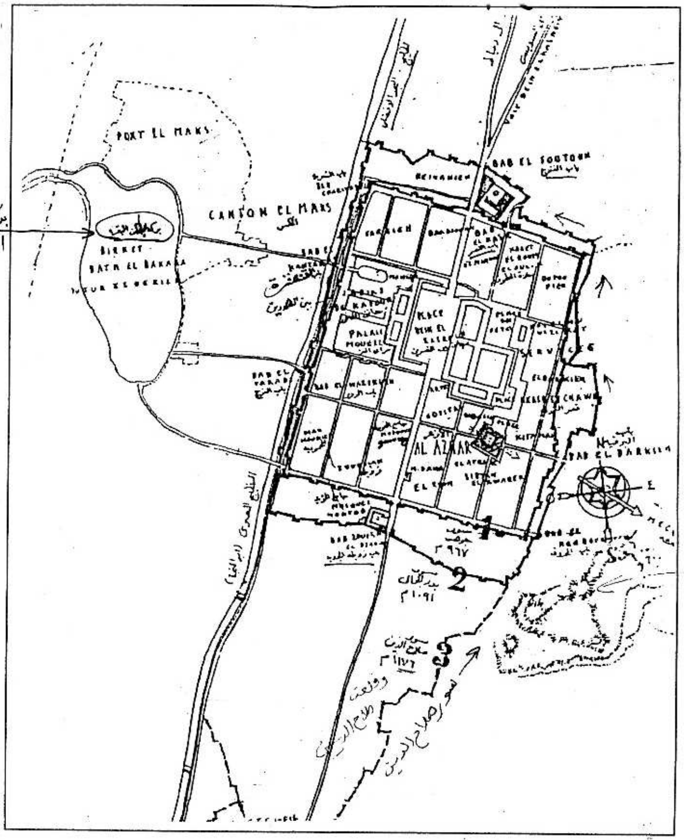

النيل تطل عليه مباني منطقة الجيزة

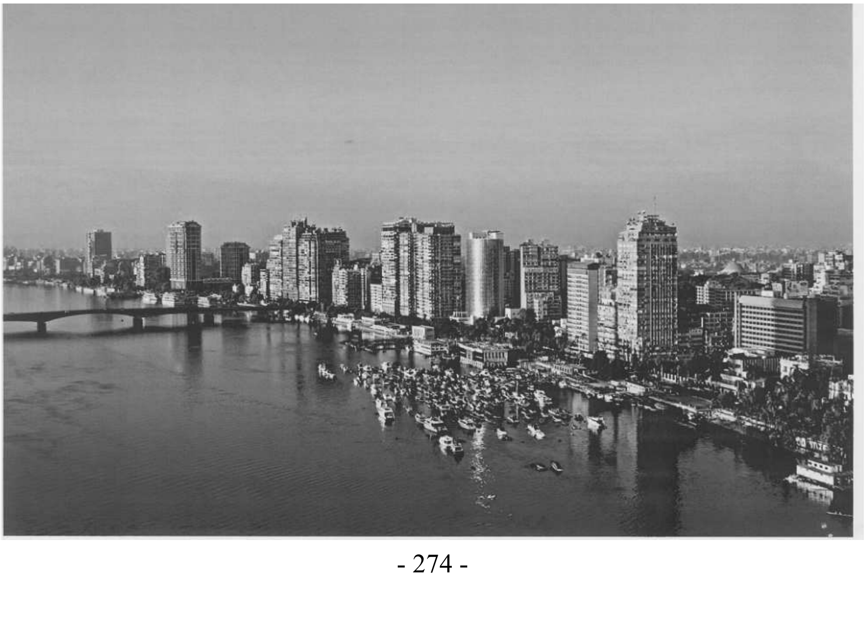

من جزيرة الروضة (المنيل حاليا) إلى ربض بولاق

جزيرة الروضة (المنيل حاليا) كما تظهر محاطة بها فرعا النيل الشرقي والغربي

امتدادات تصميم القاهرة الفاطمية وبولاق غربها

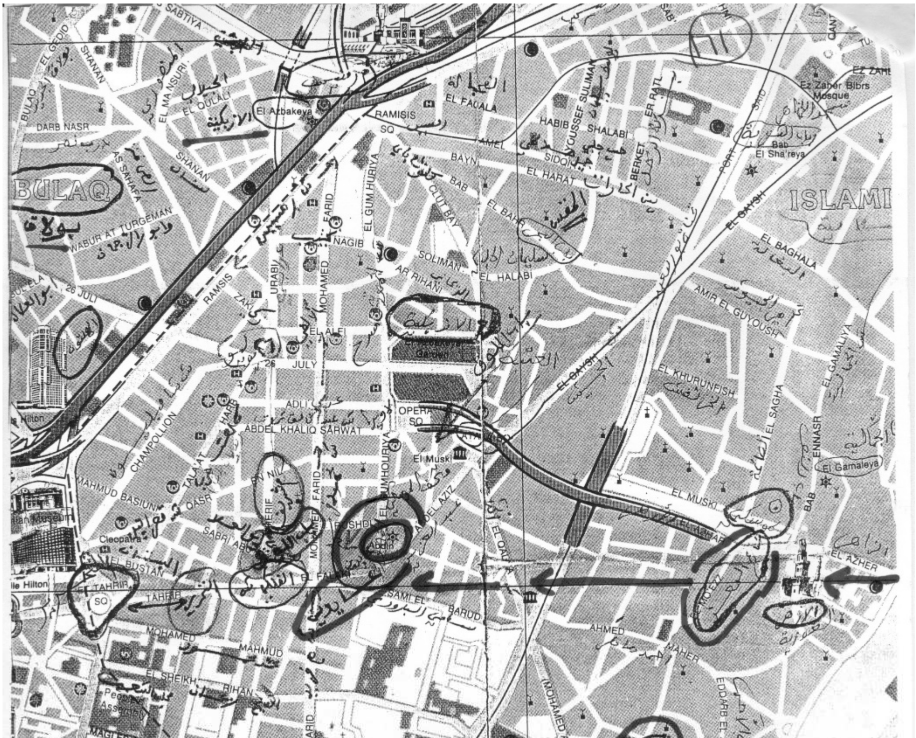

ربض بولاق حديثا

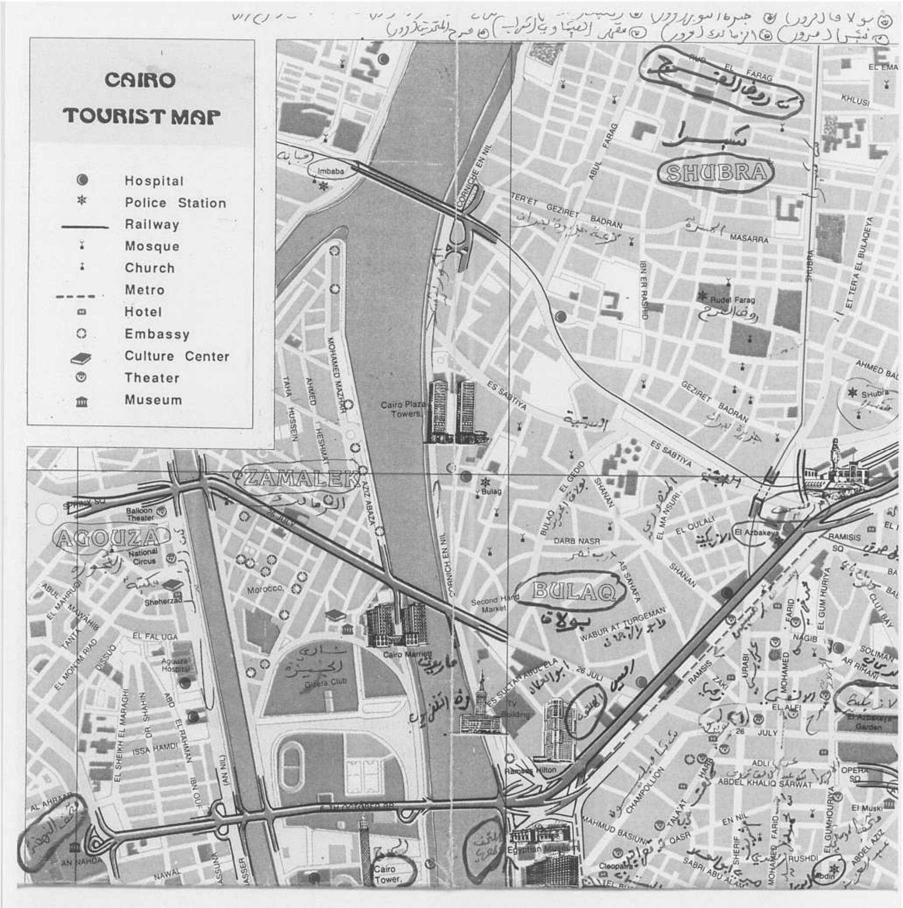

الجولة العاشرة بالقاهرة

(الجواز إلى الأهرامات والجيزة من جزيرة الروضة جهة الفسطاط قديما على جسرين واصلين بين الضفتين)

ابن حوقل يصف الجسر (المقدس) الذي يصل الجزيرة بالفسطاط:

لعل من أوائل من أشار إلى الجواز إلى ربض الجيزة[1] غربي القاهرة بعد قطع الوادي إليها ذهابا من القاهرة الفاطمية او الفسطاط والقطائع قبل ذلك هو الجغرافي الشهير ابن حوقل (ق 4هـ): حيث ينقل عنه ابن سعيد المغربي إشارته للجسر الممتد من الفسطاط إلى جزيرة الروضة (المنيل حاليا) ومنها إلى الجيزة عبر جسر آخر، وأن أكثر الناس يفضلون المرور إلى بر الجيزة بغير هذين الجسرين، وذلك باستعمال صف من المراكب ينتقلون بها ودوابهم إلى الجيزة، معللا ذلك بأن هذين الجسرين موقران عند العامة لحصولهما في حيز قلعة السلطان[2] بحيث لا يجوز أحد على الجسر الذي بين الفسطاط والقاهرة راكبا احتراما لموضع السلطان.

الحسن الوزان وتعمير جزيرة الروضة حيا صناعيا وسوقا فلاحيا إفريقيا للماشية:

أما من وصف بتفصيل ربض الجيزة أوبرها فهو الرحالة المغربي الأصول الأوروبي الخدمة والمهمات الحسن الوزان آنف الذكر، حيث وجد "الجيزة مدينة على ضفة النيل"[3] في هذا القرن العاشر الهجري محددا موقعها "اتجاه المدينة القديمة - أي الفسطاط- مفصولة عنها بالجزيرة - يعني جزيرة الروضة مقياس النيل".

ثم يلاحظ في هذا القرن تحضرها بالسكان المتحضرين، مع القصور الجميلة التي بناها المماليك قصد راحتهم بعيدا عن زحمة القاهرة وعن العامة[4].

---

[1] - يسميه الجغرافي القديم ابن حوقل "بر الجيزة"، نفح الطيب 341/6.

[2] - نفح الطيب 341/6.

[3] - وصف إفريقيا 233.

[4] - المصدر آنف الذكر: 233

ولم ينس الجانب الإنتاجي للجيزة لاحتوائها على عدد كبير من الصناع والتجار، لاسيما باعة المواشي التي يأتي بها الأعراب من جبال برقة، فيصعب عليهم حملها في الزوارق، فيستغل التجار هذه الصعوبة للاستفادة من هامش الربح والخدمة بحملها إلى قصبات القاهرة ومجازرها، يبيعونها للجزارين.

جزيرة الروضة محطة أولى للحاج المغربي القادم من برقة مباشرة إلى مصر:

ومعلوم أن المسافر المغربي والمغاربي عامة القادم عن طريق برقة يمر بدوره بالجيزة عابرا منها إلى القاهرة قصد التجارة أو الإقامة أو الحج او العلم أو الشغل أو الاحتراف والعمل كما تشير إلى ذلك كتب الرحلة الحجازية وغيرها.

مساحات طبيعية وجامع كبير على النيل وانتقال اليد العاملة يوميا عبر النيل منها وإليها:

ولم تخل الجيزة في هذا القرن من جامعها الكبير المطل على الأبنية الأخرى المنسجمة معه منظرا على النيل كما يصفها بجمال المنظر والهندسة[1].

ومن مميزات ربض الجيزة وجود مساحات واسعة استغلت حدائق ومغارس للنخيل، كما ان اليد العامة الساكنة بالقاهرة، تأتي وتذهب يوميا من الجيزة للاشتغال بهذا الربض في الصناعة والخدمات والفلاحة.

---

[1] - نفس المصدر: 233.

قصة ثورة عمرانية أضافت إلى الجيزة حي الزمالك وحدائق الأورمان وحديقة الحيوان والدقي والعجوزة بتحويل مجرى النيل شرقا وظهور مستطيل الزمالك والجزيرة مقتطعين من شرق النيل القديم على صورة جزيرة ثانية أضيفت إلى جزيرة الروضة القديمة

كان من نتائج التقاء طموح الخديوي اسماعيل بصديقيه نابليون الثالث والمهندس هوسمان مخطط باريس الحديثة قيام ثورة عمرانية واسعة أظهرت قاهرة كبرى عظيمة العمران متجددة الاهاب متخلصة من مطوقات عفنة حواليها في محاولة لتغيير مجرى النيل ليقترب من القاهرة التاريخية والحديثة أكثر أسوة بنهر "السين الباريسي"، وكان مجرى النيل الغربي قبل هذا يمر بأحياء الدقي وبولاق الدكرور الغربي الموقع؛ وذلك بواسطة حبس هذا النهر حبسا هندسيا ليغير مجراه ويتجه إلى الشرق مستغلا سيالة ضيقة شرقية ذات قاع مرتفع ليندفع إليها شرقا ثم يعود إلى مجراه القديم بعد ذلك عند أمبابة وبولاق أواخر عام 1865 م في عملية قياسية لم تتجاوز 18 شهرا، وتخلف نتيجة لهذا أرض واسعة بعد ردم المجرى القديم والمستنقعات أكثر من ثلاثة أمتار عمقا.

إتمام الأشغال أتاح مساحة صالحة للحدائق المنظمة:

وتم استغلال الجزء المردوم في إقامة غابة أو (أورمان)[1] مشابهة لغابة بولونيا الباريسية من تخطيط "باريل بك" الفرنسي ضمت "حدائق الأورمان الحالية و "حديقة حيوان الجيزة" و "سراي الجيزة" الفخم، وجلب المهندس من آسيا وأوروبا وأمريكا الحيوانات والنباتات النادرة لذلك.

[1] - كلمة تركية بمعنى الغابة أو الأحراش وكانت أكبر حدائق النباتات في العالم على 28 فدانا.

الجسور الستة بين الضفتين

الجسور الحديثة من الاسمنت والحديد وحلاين شرقي القاهرة وغربيها عبر النيل بفرعيه مشار اليها بلون برتقالي داكن مع اضافة احياء جديدة

أحد الجسور الحديثة الرابطة بين ضفتي النيل غربا وشرقا

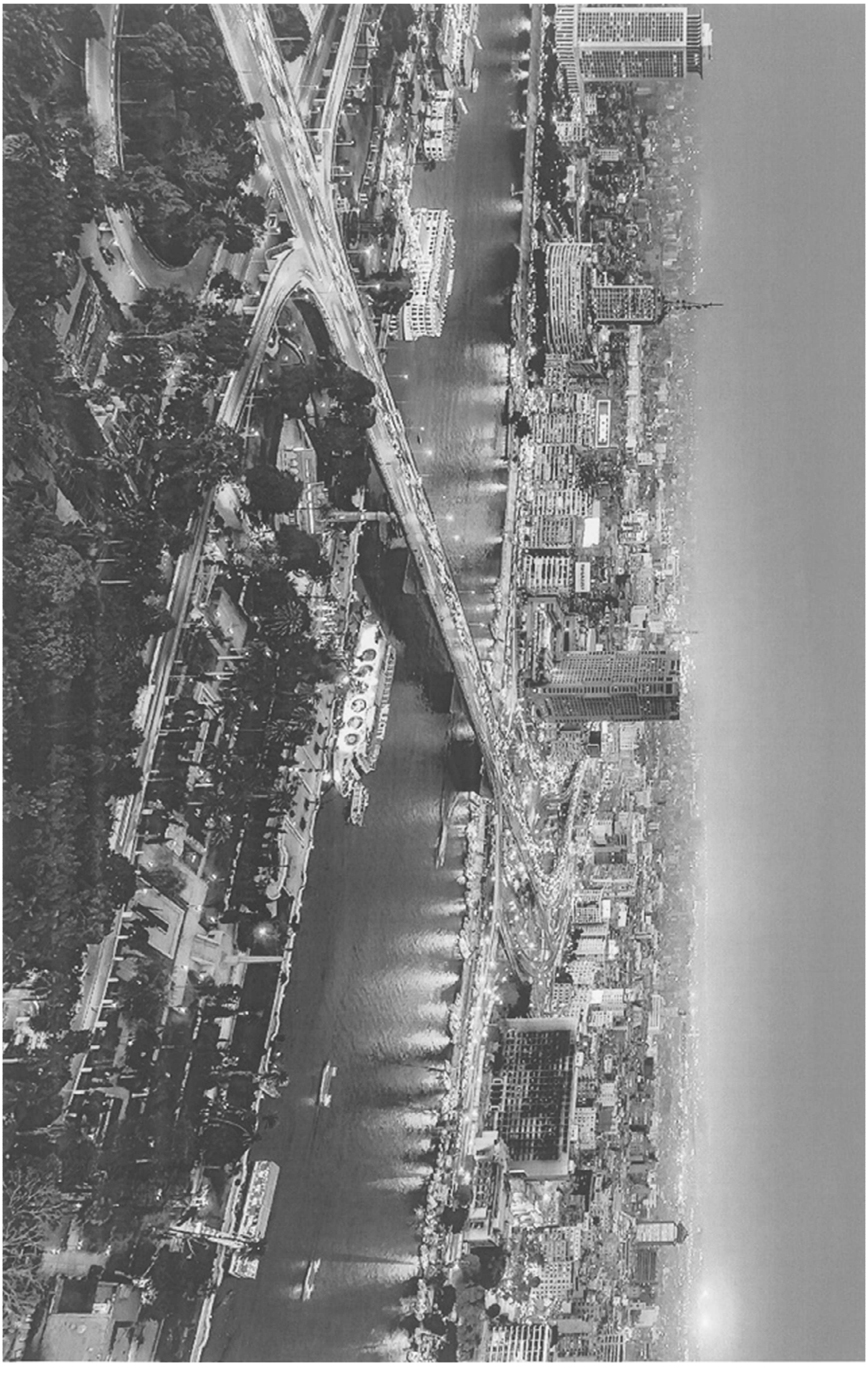

مكبر الجسور الستة الرابطة بين الضفتين

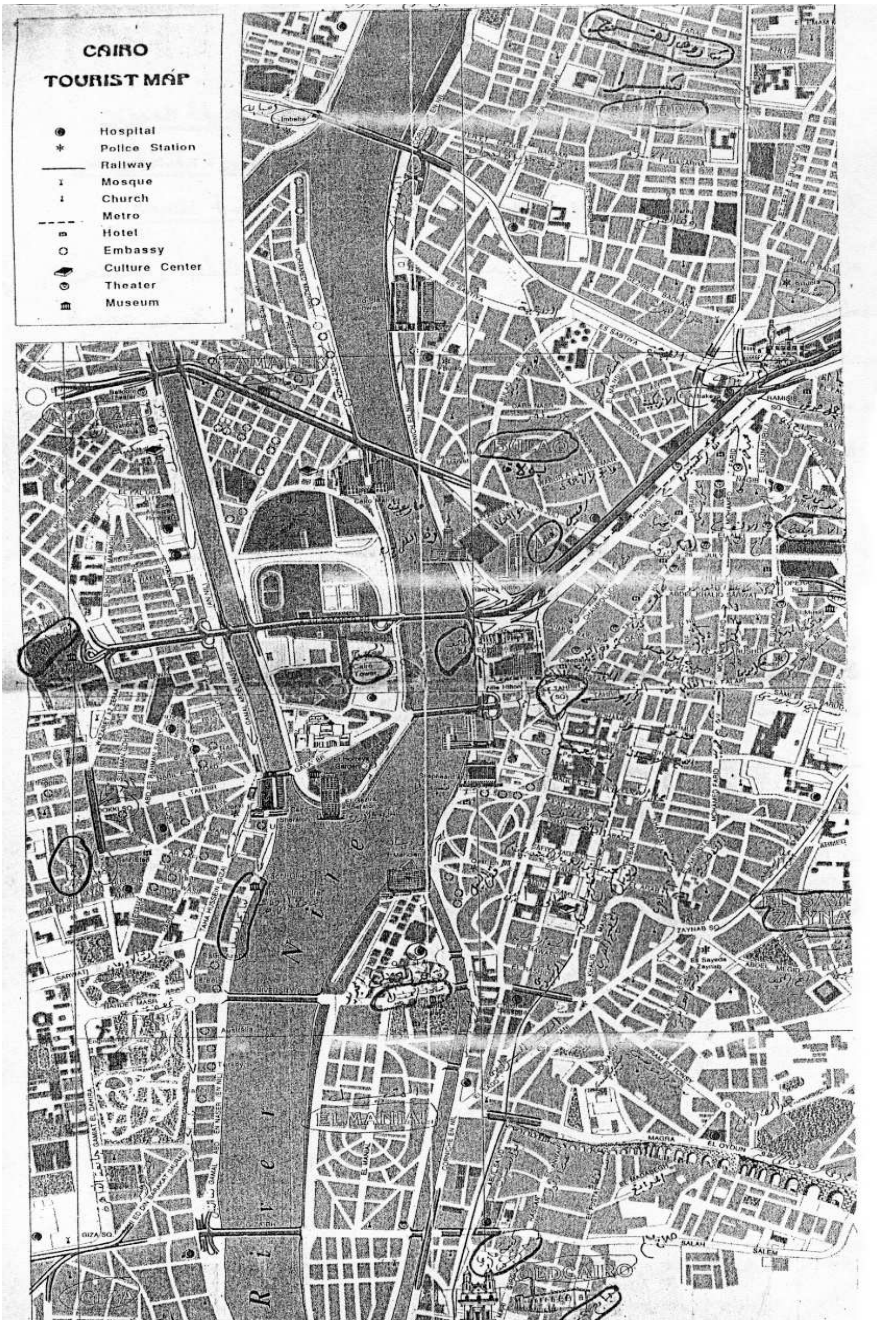

وتكون من أثر هذا التغيير لمجرى النهر استطالة أضافت إلى الجزء الجزيري مساحة سميت باسم "الزمالك" الكلمة الألبانية الأصل بمعنى "أخصاص الشاطئ"؛ أما الجزء الجنوبي من هذه الجزيرة الجديدة الوضع فتحول إلى مجموعة من المستنبتات والمشاتل لتزويد القاهرة كلها مع قصر الجزيرة المطل شمالا على منطقة الزمالك، وأقيمت فيه سنة 1868 م محطة استقبال للإمبراطورة أوجيني زوج نابليون الثالث بمناسبة حضورها احتفالات افتتاح قناة السويس ثم إلى فندق ماريوت حاليا، وهو يطل على الفرع الشرقي للنيل وسط هذا المستطيل الجديد (انظر خريطة القاهرة).

جسور على النيل لربط الجيزة بالضفة الغربية:

ولكي تسير الحركة الانسيابية السهلة بين غرب النيل وشرقيه مرورا عبر جزيرة الروضة والجزيرة والزمالك وما بعدها أقيمت جسور لأول مرة على النيل منذ تاريخه بوضعها الإسمنتي والحديدي سنة 1869 م بعد أن كان العبور إلى الجيزة يتم عند الروضة عبر قوارب متراصة ممدود عليها ألواح خشبية؛ أو في المعديات والزوارق كما تقدم.

واختصارا فإننا نرى على الخريطة حوالي ستة جسور رابطة بين شرق القاهرة وغربها تطورت تسمياتها خلال قرنين من الزمان واتخذت هذه التسميات رموزا للنظامين الملكي فالجمهوري.[1]

---

[1] - أنظر الخريطة آخر الكتاب.

حدائق ومتنزهات منظمة يحلو للزائر الدخول إليها اليوم:

وهكذا أصبحت الجيزة بعدان كانت أرضا في ملك الخديوي اسماعيل يقيم على مشارفها الفلاحون "التملية" المكونين عدة قرى أشهرها قرية العجوزة آنفة الذكر، وكان بها قصر للخديوي حريمي الطابع تحيط به مساحة كبيرة من الحدائق على الطراز الإيطالي، وبجانبه قصر لابنته سيتحول فيما بعد إلى "كلية الآداب" جامعة القاهرة؛ وكان هناك أيضا قصران لنجلي اسماعيل، فلما عزل ورحل إلى إيطاليا 1879م، تحول ذلك تدريجيا إلى "حديقة" الحيوان" و "متحف الآثار الفرعونية" قبل تحويله سنة 1902إلى "التحرير" وغيرها، حيث تم التصرف في هذه الأملاك لسداد أُقساط الديون المترتبة عليه بواسطة شركة مختلطة جزأت الأراضي ابتداء من 1900م وعرضت للبيع على مساحات متوسطة واقتصادية، فتحولت من طابع ريفي تدريجيا إلى طابع حضري ساعد عليه تشييد كل من "كوبري قصر النيل" ثم "كوبري عباس 1908" على الجيزة الحالية؛ فاشترى الأغنياء الأراضي وبنوا القصور والفيلات في أحضان المزارع والأشجار بعيدا عن ضوضاء القاهرة، وظهر شارع النيل طويلا من كوبري الجلاء جنوبا إلى امبابة شمالا فأقيمت العوامات والكازينوهات للسهر ليلا، كما اشترى الأوروبيون أيضا وبنوا هذه الواجهة في أحسن منظر منشطين المنطقة سياحيا قبل حرب فلسطين 1947 وثورة 1956 حيث اضطروا بعد ذلك تحت الضغوط على الأجانب وبينهم يهود إلى الرحيل بيعا أو تأميما، حيث أتيحت الفرصة ليزحف أبناء البلد على المنطقة وبعضهم كانوا يعملون تحت إشراف اليهود وغيرهم؛ كما اضطر الصفوة من المصريين إزاء هذا الزحف إلى البيع والرحيل إلى "مصر الجديدة" وإلى ما وراء الجيزة غربا إلى حدود الأهرام طلبا

للهدوء وإلى جهة الدقي والعجوزة[1]، وابتداء من منتصف السبعينيات تحولت المباني والفيلات إلى محلات تجارية وشركات وبنوك ومؤسسات عمومية وإدارات، كما هدمت أخرى لتحل محلها العمارات الشاهقة والفنادق الفخمة، ثم حولت بعض المتاجر إلى مطاعم "كشري" و "فول" و "مقاهي الشيشة"؛ كما لاحظنا في أربع زيارات خلال التسعينيات من القرن الماضي إلى اليوم.

من نتائج فيضان الساكنة والخدمات الشعبية على مرافق الجيزة المتحضرة الأوروبية الطابع:

اختفت مقاهي تاريخية كمقهى "بوديجا" الذي وصفه محفوظ في "السمان والخريف" ومقهى "فونزكوان" الذي كان يديره "مسيو أمسترا"ومقهى "نيوكرستال" وكلها وردت عند محفوظ وهو الذي سكن الجيزة أخيرا وتوفي بها، وهكذا حجبت العمارات سكان غرب النيل عن النيل، وبعدأن كان أحمد شوقي مثلا في "كرمته" يرى الأهرامات من شرفة الطابق الثاني أصبح مضطرا أن يقطع حوالي سبع كلمترات ليتمتع بمنظرها الذي حجب عنه تماما[2] لو بقي على قيد الحياة وعمر طويلا.

كما زحفت العشوائيات على حواشي غرب النيل عند "ميت عقبة" و "أمبابه" و"بولاق الدكرور" وانتشرت المحلات والمستودعات والورشات من كل لون، وهذا أحمد بهاء الدين يصف "الدقي" وكان يسكن به وقد تحول بعد أن كان يحضر إقامة المحلات به إلى ما يشبه عشوائية كبيرة، فاستغلت حدائق البيوت لإقامة ورش للمسمكرة[3] فاضطر القادرون للرحيل إلى منطقة المهندسين القريبة هربا من

---

[1] - القاهرة وحنين إلى الماضي، الهلال يونيه 2005 ص 66.

[2] - نفس المرجع: 66.

[3] - السمكرة: حرفة إصلاح أواني الألمنيوم وغيرها من الصفائح تشبه ورشته متحفا يضم أجيالا من المصنوعات.

الضجيج؛ ثم وصل الزحام إلى المهندسين فاضطر القادرون إلى الهروب إلى المقطمية العليا أو إلى "طريق الإسكندرية الصحراوي" عند الهرم.

على أن أهم ما يميز الجيزة اليوم رغم هذا الغزو العمراني في نظري وبناء على تجربتي ورحلاتي هو وجود شارعين عموديين يصبان إلى النيل هما شارع الفيصلية، وكنت نزلت سنة 2003 بإحدى فنادقه الكبرى وشارع الهرم المؤدي إلى منطقة الأهرام، والمتميز بعمقه التاريخي حيث رصفه الخديوي إسماعيل بعد أن كان "ترابيا" في قصة له مع الإمبراطورة أوجيني زوج نابليون الثالث؛ ويحلو للمصريين أن يذكروا تمييل إسماعيل أو إحالته لهذا الشارع عرضا حتى تميل العربة الملكية بالإمبراطورة لتكون أكثر قربا من مضيفها الخديوي؛ على أنه من خصائص شارع الهرم بالإضافة إلى سعته إذا قورن ببقية شوارع الجيزة منع الحكومة أرباب النقل من إيقاف مراكبهم به لتبقى فيه حركة المواصلات سريعة وإنسيابية باستمرار، كما يتميز بوجود المسارح الكبرى والمؤسسات التجارية والإدارية والبنوك والفنادق؛ وقد نزلت هذه السنة 2007 في أول الشارع تقريبا بفندق "حور محب" كما انتقلت بعد ذلك إلى الفندق الجديد الفخم الأنيق عند وسطه، فندق "زوس" القائد العسكري والعبقري من عهد الفراعنة، وإذا كان هذا الشارع يخلو من المتاجر والأفران والمقاهي والدكاكين الصغيرة والمساجد؛ فإن النازل يستطيع أن يلج إلى أقرب نقطة عند تقاطع الهرم مع مجموعة من الأزقة المؤدية إلى ما وراءه على الجانبين ليجد ضالته؛ في أحياء شبه شعبية تغلب عليها العفوية والطابع الشعبي البلدي؛ بما في ذلك مقاهي "الشيشة" و "أفران الخبز" و محلات "الخضار" و "الفاكهاني" و "الصيدلي" وحتى "سوبر ماركت" الصغير.

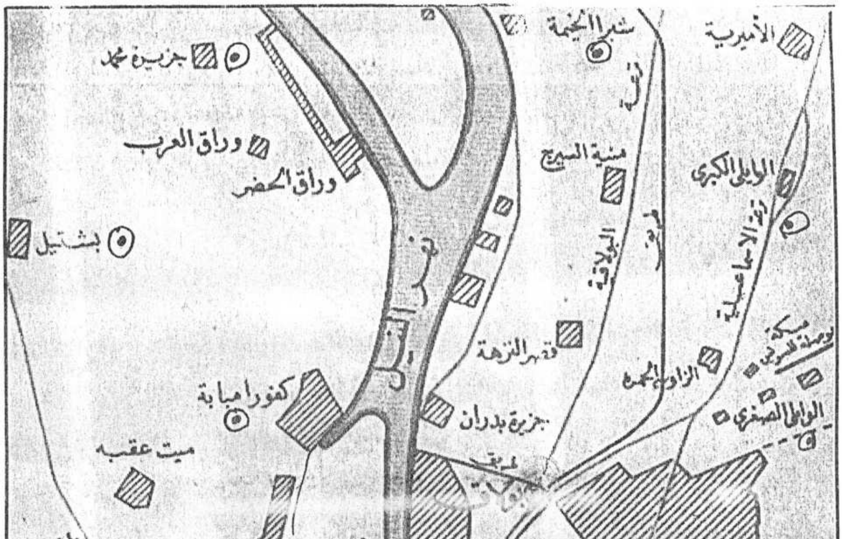

خريطة رسمها محمود الفلكى باشا سنة ١٨٧٣ بعد إنشاء كوبرى الجلاء القديم [نوفمبر ١٨٧٢] تؤكد أن مجرى البحر الأعمى الحالى لم يكن موجودًا . وكانت أراضى الدقى والعجوزة متصلة بأراضى الزمالك الحالية .

فندق خمسة نجوم بجانب عزبة برسيم:

وقد لفت نظري وأنا أتجول بقاهرة إسماعيل "وسط البلد" شرقي النيل أنها لا تزال محافظة على جماليتها الأولى وعلى تناسق عماراتها التي أنشئت منذ أواخر القرن 19 دون أن يحدث بها ما حدث بالجيزة، ولاشك أن الأحياء الحكومية والإدارات الكبرى والوزارات والسفارات اضطرت الحكومة إلى شيء من المحافظة على هذا المنظر قبل أن يغزوه مغيرون عليه بدعوى إيجاد مستودعات للسيارات أو نحوها (رحلة 2007) على خلاف ما حدث بالجيزة من زحمة وعفوية في التصرفات العمرانية؛ مما لا تجد له أحيانا عدم تفسير أو تخطيط مديري سابق، والعجب أن فندق "زوس" الواقع وسط شارع النيل يطل من أحد جانبيه على مساحة تضاعفه اختار صاحبها أن يحرثها برسيما أخضر وأن يسورها وأن يبني في نهايتها عمارة صغيرة له ولأسرته الكبرى في إصرار أو احتجاج على هذا الزحف غير المقدس (ملاحظاتي صيف 2007).

ولا نغادر هذا الشارع دون ان نذكر بوقوع "متحف البرديات" التجاري على أحد جانبيه ووجود لوحة تشير إلى متحف "طه حسين" الذي كان يسكن الجيزة قريبا من السفارات.

كما ان نجيب محفوظ كان يسكن قبل وفاته في شقة بالطابق الأرضي في أول عمارة عند تقاطع شارع النيل مع شارع باسم الطبيب "عيسى باشا حمدي" النابغة وناظر مدرسة الطب سنة 1883م والمؤلف للكتب وقد أصبح شارعه يحمل اسم "نجيب محفوظ" رحمهما الله برحمته العامة أو الخاصة.

شوارع الجيزة تأخذ أسماء عربية وحدوية الطابع:

ومن الشوارع المهمة الموازية شمالا لشارع الملك فيصل وشارع الأهرام شارع جامعة الدول العربية وبه ميدان "بهذا الاسم" وقد تحول إلى محور رئيس يربط بين طريق الإسكندرية الصحراوي والقاهرة.

وحول هذا الشارع اختارت مصر أسماء "جزيرة العرب" و"سوريا" و"الحجاز" و"لبنان" و"العراق" و"الأردن" و"القدس" و"الرياض" و"عدن" و"دمشق" لتسمية مجموعة من شوارع هذه المنطقة.

وقد اختار الأشقاء العرب نظرا إلى هذه الجاذبية العروبية شراء الشقات بشارع المهندسين وكذا القصور بحيث تحولت هذه الناحية إلى معرض للأزياء واللهجات العربية خصوصا في أشهر الصيف حيث الإجازات والشقات المفروشة.

هذا وتقع وزارة الزراعة قريبا من الدقي والعجوزة بمبنى من أجمل المباني الوزارية مع شوارع ذات علاقة: كشارع وزارة الزراعة، وشارع المتحف الزراعي، وشارع حافظ حسن باشا ومحمد باشا شكري ومحمد باشا الدري وعيسى باشا حمدي من الوزراء والأطباء المشاهير[1].

---

[1] - شوارع لها تاريخ 185 – 186.

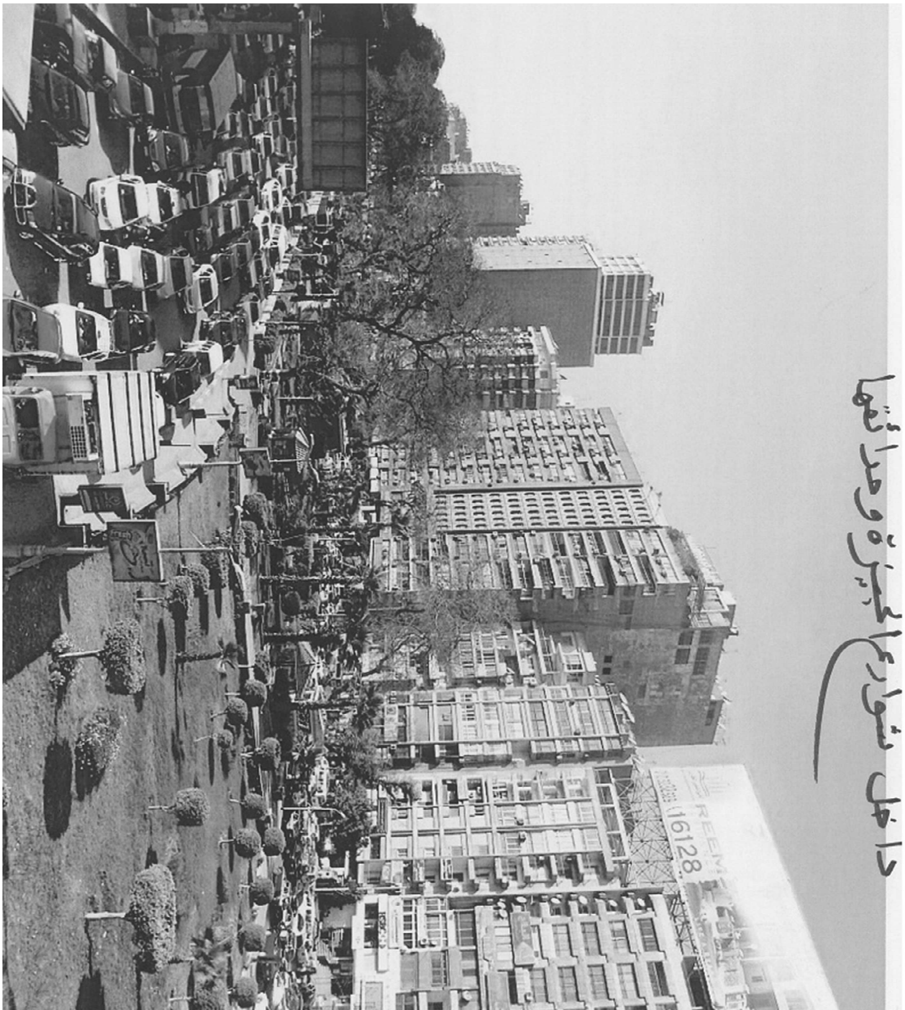

داخل شوارع الجيزة وحدائقها

الجولة الحادية عشرة بالقاهرة:

في أعماق تاريخ مصر الفرعونية

وراء الجيزة عند أهرامها وآثارها

في أعماق مصر الفرعونية عبر الجيزة وشارع الهرم:

في هذه الجولة نخرج من مصر الإسلامية : مصر الفسطاط والقطائع العباسية والقاهرة الفاطمية والمملوكية والحديثة لننطلق غربا بعد اجتياز النيل والجيزة وعبر شارع الأهرام العمودي المتجه غربا إلى حيث عصور مصر البائدة والتي لم يبق من صداها إلا تلك الأنصاب والأوابد التي لم يستطع الزمان والغزوات وفعل الطبيعة والإنسان أن يبيدها تماما فبقيت أطما وأوابد وأبنية هنا وهناك جنوبا ووسطا وشمالا عبر الوادي بدءا من أسوان جنوبا إلى وادي النطرون قرب الإسكندرية شمالا معبرة عن عصور بائدة هي عصور الأسر الفرعونية التي حكمت مصر منذ الألف الرابع قبل الميلاد إلى ان جاء الإسلام في نحو خمسة آلاف سنة ونيف عرفت منها بواسطة المكتشفات الحديثة عصر بداية الأسرات الأولى والثانية 3200 - 2778 ق م في الدولة القديمة تلتها بعد ذلك الأسر الثالثة إلى السادسة خلال 2778 - 2423 وما بعدها، أما الأسر 7 - 10 فاستغرقت من 2242 - 2060 لتأتي الدولة الوسطي عند الأسرتين 11 - 12 من 2160 - 1785 ثم تبعتها الفترة الثانية من الأسرتين 13 - 14 ابتداء من 1785 - 1680 ق م، فعصر الهكسوس 1730 ق م وختاما بالدولة الحديثة من الأسرة 18 - 19 ابتداء من 1580 ق م - 1200 ق م ثم ختاما بعصر رمسيس الثاني معاصر موسى عليه السلام من 1298 - 1232 ق م يليه حكم مرنبياج 1232 قم - 1222 ق م وأخيرا سيتي الثاني 1222 - 1361 ق م.

(راجع مخطط المتحف الفرعوني بميدان التحرير الأقسام الأرضية من 1 - 55 والأقسام الأرضية من 1 - 56) (عبد الكريم تاريفي وبقايا الصور المصحوبة بالمخطوطة).

الارتباط العاطفي للمسلم بالحضارة الفرعونية عميق:

في هذه العصور من القرون الطويلة الفرعونية عرفت مصر حضارة شامخة ومحاولات في التدين ورسالات وكتبا وصحفا للحكماء والأنبياء، وزارها وانطلق منها من ذوي العزم من الرسل ابراهيم وموسى وعيسى صغيرا ومن الرسل يوسف أيضا ومن العباد الصالحين الكثير، ومنهم عبد الله الخضر معاصر موسى عليهما السلام، ومن الحكماء والأنبياء إدريس عليه السلام فيما قيل ولم تتكرر قصة في القرآن الكريم ومكيه ومدنيه ولم يتفنن التعبير البياني مثلما تفنن فأحسن الحديث في قصة موسى وقصة يوسف عليهما السلام، كما لم ينوه بصنيع ملك من ملوك الأرض في العناد والتحدي وادعاء الربوبية مثلما نوه وندد بصنيع فرعون موسى واستبداده بعدده وعدده ومؤسساته وسحرته وادواته المجربة في الحوار والاسترهاب والاستخفاف بالرأي العام والتهديد ودون تنفيذ بآخر هذه الأسلحة وهو الاستئصال بالقتل بعدما تبين له الحق ولكنه جحد وأنكر ودون أن يعتبر ونظر القرآن الكريم إلى مؤسسات الفراعنة وخاصة مشاريع فرعون موسى أدوات للتحدي والسيطرة نتيجتها في الأخير التدمير وإرسال الآيات التسع عليها: طوفانا وجرادا وقملا وضفادع ودما وجفافا وحية وعصا ويدا بيضاء من غير سوء دون خضوع لها وانتهت بآية الإغراق في البحر وإنجاء بدن الفرعون ليكون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لمن خلفه من البشر آية في قدرة الله على إفناء قدرات فرعون الفكرية وإبقاء بدنه جثة عظيمة عليها جلده في أقبح وأضعف صورة كما تعرض اليوم في متحف الفرعونيات مع باقي من نجا من الموميات الأخريات يشاهده الخلف اتعاظا وتذكرة وإعجازا مسلطا على كل من سولت له نفسه الجبروت والكبرياء في الأرض وتحدي آيات المرسلين و الناصحين المخلصين الملهمين.

التنويه بمصر وبحضارتها وأمنها واستقرارها ووفرة الموارد في القرآن الكريم وأن لأهل مصر نسبا وصهرا:

أخرج الجلال السيوطي في "حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة" عن ابن زولاق المؤرخ المصري أن مصر ذكرت في القرآن الكريم في ثمانية وعشرين موضعا؛ بل أكثر من ثلاثين صراحة أو كناية؛ وإنه لا يعلم بلد أثنى عليه القرآن الكريم فيما احتواه من الخيرات والإمكانات والماء المنتج والمعمر مثلما جاء عن مصر[1]، ولا غرابة فعلى أرضها كلم الله موسى وبعثه لهداية الناس وأقبل عليها يسوع في المهد وكانت به أسبق المومنين؛ وجاءها إبراهيم فنال منها أمنا الأولى بمكة صاحبة المسعى وزمزم هاجر؛ وبرز فيها يوسف حكما وصاحب تأويل ونبيا وآية في جمال الباطن والظاهر، ثم صارت معقل الإسلام وحضنه وكنانته بعد ذلك عبر العصور الإسلامية كلها بعد أن أهدى المقوقس إحدى امهات المومنين إلى نبينا رسول الرحمة المهداة محمد عليه السلام مارية القبطية، وعاش من أمهاتنا المومنات في بيته حفيدة هارون صفية بنت حيي رضي الله عنها، فجمعت الإرث والرسالات والانساب الطاهرة والبيوت القريبة والبعيدة والأرحام الآدمية الواحدة.

مصر مهوى أفئدة العلماء والصوفية على مر العصور:

ومنذ ذلك الحين صارت المحطة الكبرى للفاتحين والعلماء والقراء والتجار والمهاجرين انطلاقا منها إلى إفريقيا الغربية والجنوبية، وحل بها أئمة الفقه الأكابر شافعية ومالكية وصوفية مشاهير مغاربة ومشارقة وكذلك الشعراء والأدباء والمؤرخون عبر العصور، وحط بها الرحالة المغاربيون رحالهم قبل الجواز إلى

[1] - أحمد عبد الحميد يوسف: مصر في القرآن والسنة ص 11/ سلسلة إقرأ 373.

الحجاز؛ واختارها بعضهم موطنا لطلب العلم أو التجارة أو الشغل أو الصناعة أو نشر طريقة دينية أو تكوين أتباع ومريدين.

الآثار الفرعونية عبرة إيمانية وذكرى:

ولم يكن من معتقد الإسلام والمسلمين إهمال التاريخ وأخذ العبرة منه، بل حثت آياته الصريحة على السير في الأرض والنظر في آثارها وأخذ العبرة والعظة من قصص الماضين إيجابيها وسلبيها قصد عدم تكرار تلك التجارب السلبية ومحاولة إحياء التجارب الإيجابية؛ فلا غرابة أن يحرص الرحالة المغاربة على الوقوف على هذه الآثار، وخاصة البائدة منها كما أشار إلى ما يمكن أن تؤخذ منه العبرة عند الوقوف عليه أو المرور به، عندما يقع بصر المومن الموحد الناظر إلى الأرض نظرة توحيد وشمولية واعتبار، يستنبط من تاريخ الماضين وأخبارهم بحسه الناقد المرهف ونظرته التوحيدية الشمولية ما يستطيع به أن يربط بين الجزئيات وبين العصور والأشخاص والأحداث بخيط رباني موحد ناظم متدرج فيه عناصر الخير وعناصر الشر وما تشابه بينهما؛ في مشهد أبطاله الرسل والأنبياء والحكماء والمومنون ومضاد وهم من المفسدين والمتعجلين والمنهزمين والمنافقين والكافرين؛ وهو يقرأ مثل قوله تعالى (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب) وقوله (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) وقوله تعالى (فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا) وقوله (فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) وقوله (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) ونحوها كثير.

غموض واندثار قراء الكتابة الفرعونية لم يمنع من محاولات تنوسيت قبل حجر رشيد:

هذا ولما كانت الأهرام إحدى عجائب الدنيا السبع، فقد خصص لها المغاربة في كتب المسالك حيزا مهما جمعوا فيه من أخبارها وما يقال عن أسرارها وأنبائها وما صار إليه التعامل معها عبر العصور في محاولات لاستكناه واستخبار واكتشاف خباياها بحثا عن طلسم أو ذهب أو معدن أو علم بائد أو تحديا لبناتها من قبل ملوك قادرين وقادة عسكريين، مما اختلط فيه التاريخ القديم جدا بالأنباء الضعيفة والتغيرات التي يلعب فيها عنصر الخيال دورا لإعطاء تفسير مقنع عن كيفية إقامتها وعن أسباب ذلك عن محتوياتها.

ولما كانت الكتابة المصرية القديمة مما غاب فك سره عند معظم الإخباريين وأصحاب التراث الجغرافي والتاريخي والعجائبي قبل اكتشاف حجر رشيد في العصر الحديث؛ فقد ذهبت هذه الفائدة من قراءة ما كتب على هذه الآثار وفك أسراره قبل استواء علم المصريات اليوم على سوقه ليقدم تفسيرات أقرب إلى الحقيقة[1].

(انظر خريطة المواقع الأثرية القديمة عبر مصر العليا والسفلى)

الرحالة المغاربة يدركون ما تحت الطلاسم من الأسرار جملة لا تفصيلا:

لذلك لا نستغرب إذا وجدت مشاهدات أصحاب الرحلة المغاربة تمتزج بمنقولات عن هؤلاء الذين سبقوهم او عاصروهم استكمالا للوصف، وقد أعياهم عند

---

[1] - انظر على سبيل المثال كتاب الجغرافي المراكشي من القرن السادس الهجري المسمى "كتاب الاستبصار في عجائب الآثار" مثالا على هذا اللون من الكتابة العجائبية المعتمدة على كتب المسالك والممالك السابقة عليه نشره د. سعد زغلول عبد الحميد/ ط دار السرور الثقافية العامة ببغداد ص 53 – 63، وملحق الصور آخر الكتاب.

المشاهدة والمعاينة سكوت هذه الآثار وما عليها من كتابات عن أن تفصح لهم عن مكنونات تتعلق بإنشاء وتاريخ هذه الأوابد المطمور معظمها في مصر تحت الرمال من حسن الحظ آنذاك.

فنجد العبدري الحاحي يدرك أن الإطالة بهذه الأخبار المتضاربة مما لا حاجة إليه وهو يسجل مشاهداته ومسموعاته يقول:

«وأما أهرامها وبرابيها فمبان عجيبة في غاية الغرابة؛ متضمنة من الحكمة وغرائب العلوم ما صار أعجوبة على وجه الدهر»[1] ودون أن يقطع أو يفصل في أمرها ذهب يعتبر ذلك مما لا حاجة للرحالة إليه لأن "بين الناس تنازعا في أول من بناها؛ وفي أي شيء قصد بها (كذا)؛ ولهم فيها خوض كثير لا حاجة بنا إليه"[2]؛ مكتفيا بالرواية التي ساقها صاعد صاحب "أخبار الحكماء" عن زعم جماعة من العلماء بأن جميع العلوم قبل الطوفان إنما صدرت عن "هرمه الأول" بصعيد مصر الأعلى - المسمى عند العبرانيين "خنوع" وهو إدريس عليه السلام؛ وأنه أول من تكلم في الجواهر العلوية والحركات النجمية وأول من بنى الهياكل ومجد الله تعالى فيها[3] وأنذر بالطوفان؛ فخاف ذهاب العلم لذلك "بنى الأهرام والبرابي التي في الصعيد وصور فيها جميع الصناعات والآلات والعلوم حرصا على تخليدها".

ثم يلخص العبدري في عبارة جامعة تاريخ العاصمة القديمة "منف" جنوب الفسطاط وانتقال العلوم منها إلى الإسكندرية بعد بنائها إلى ان تغلب المسلمون فاختط عمر الفسطاط.

---

[1] - البرابي جمع "بر – با" الإسم الذي وصل إلى المؤرخين العرب عن الآثار الفرعونية.

[2] - الرحلة العبدرية: 146.

[3] - العبدري: 146 – 147.

العبدري يلتقط صورة قريبة من الواقع للأهرامات:

ويتخلص من هذا الجزء التاريخي المظنون ليخلص إلى وصف الأهرام طبق مشاهداته في هذا الوقت من أواخر القرن السابع الهجري حيث رآها "مباني من حجارة صارت لإحكامها كالحجر الواحد في غاية العلو، متسعة الأسفل، مستديرة الشكل -كذا- فكلما طلعت انخرطت؛ أي اتخذت شكل مخروط- حتى صار أعلاها حادا على شكل المخروط" دون أن ينسى انغلاقها بدون مدخل أو باب.

العبدري يحكي محاولات في كيفية بناء الأهرام:

ثم يشير إلى محاولة ابن طولون في عهده الاستعانة بشيخ من الصعيد ليفسر له كيفية بنائها، فقدم له تفسيرا شبه مقنع يتلخص في الاستعانة بمراق[1] ملتصقة بالأهرام كلما فرغوا من هرم نحتوها نحتا حتى تبدو الأهرام هرمية الشكل ملساء تماما.

محاولات فاشلة في هدمها بحثا عن الذهب والأسرار:

كما أشار إلى محاولة المامون اقتحام الهرم بفتحة أنفق عليها الكثير الذي وجده مساويا تماما من حيث قيمته للذهب الذي استخرجه بعدان نصحه الناصحون بعدم المحاولة خوفا على ذهاب هيبته بالتحدي المضاد الذي وقع[2].

أما ابن بطوطة فقد اكتفى عند حلوله بالقاهرة سنة 726 هـ بتلخيص ما جاء عند العبدري دون إضافة تذكر، وكأنه أعجل عن زيارتها فانصرف إلى الجهة الشرقية من النيل مكتفيا بالنظر إلى الأهرامات من بعيد[3]، كما اكتفى المحقق المغربي أيضا بالرجوع إلى العبدري مضيفا إليه إتمام ما اختصره ابن بطوطة.

---

[1] - جمع مرقاة.

[2] - نفسه 148.

[3] - رحلة ابن بطوطة 209/1.

ابن بطوطة يشاهد الآثار الفرعونية بأخميم جنوبي القاهرة:

ولم يلفت نظر ابن بطوطة وهو يسير إلى صعيد مصر جنوبا إلا آثار "إخميم"[1] الواقعة على النيل قريبة من سوهاج: وقد وصف المعبد (المبنى بالحجارة) ورآى ما بداخله من نقوش وكتب للأوائل كما قال؛ وأنها لا تفهم في هذا الوقت من قبل أحد من الخبراء؛ ورأى أيضا تصوير الأفلاك والكواكب والحيوانات وسواه، وأن ما في أفواه الناس عنها أكاذيب

(الآثار الفرعونية بالجيزة وما حولها)

يعرج عليها إلا أن أحد أعلام إخميم المعروف "بالخطيب" استطاع أن يبني من بعض حجارتها مدرسة، ويزعم حساده أنه أفاء من ملازمته التنقيب في هذه الآثار أموالا[2].

عيسى البلوي والآثار المحفورة على صدر أبي الهول:

أما معاصره خالد بن عيسى البلوي فاقتصر على تقديم تفصيلات عن ارتفاع ومساحة الهرم الكبير فيما يظهر، ذاكرا ما لفت نظره من الهرمين: الأكبر والأوسط خاصة؛ مع ملاحظته حول الالتصاق البديع بين حجارة هذين الهرمين[3]، على أنه يقدم تفسيرا طريفا لوجود صورة أبي الهول آنذاك على النهر وأن ما عليه من خطوط إنما هي علامات على زيادة النيل ونقصانه؛ لذلك كلف بمراقبة ذلك متخصصون يرقبون الزيادة والنقص، ملاحظا اعتماد أهل مصر على هذا النهر وفيضه خاصة.

---

[1] - اخميم مدينة في شرق النيل في صعيد مصر باتجاه إلى مدينة سوهاج وبها آثار إغريقية قديمة وأديرة وبها آثار فرعونية ومتحف مكشوف وسرق من آثارها الكثير.

[2] -ابن بطوطة 227/1.

[3] - تاج المفرق: 220/1.

ابن مليح يرمق من بعيد أهرامات أخرى وراء الهرم الأكبر وعنده مخازن يوسف الغذائية:

أما عبد الله ابن مليح من اهل القرن الحادي فقد ذكر صراحة أنه في سنة 1040 هـ وقف على شاطئ النيل الغربي فعد من الأهرام البادية لعيانه نحو 13 شكلا، ميز منها في الكبر اثنين لا غير؛ ثم حكى ما نقل عن مساحة وارتفاع هرمين منها دون أن ينسى الرواية المتناقلة عن اتخاذ هذه الأهرام مخازن زمن يوسف - ولعله يقصد ما حولها من بيوت الدفن الأرضية ربما - ولكنه هكذا قال[1].

ويختم هذه المشاهدة بإبداء حيرته عن سبب إقامة الأهرام شعرا إذ يقول:

صدمت عقول ذوي النهى الأهرام	واستصـــغرت لمرادهـــا الأحـــلام
ملـــس منمقـــة البنـــاء شـــواهق	قصرـــت لـــرام دونهـــن سهـــام
لم أدر حـــين كبـــا التفكـــر دونهـــا	واســـتوهمت لعجيبهـــا الأوهـــام
أقبـــور أمـــلاك الأعـــاجم هـــن أم	طلســـم رمـــل كـــن ام أعـــلام

وكأنه في هذه التساؤلات ينظر إليها كما قال وهو على شاطئ النيل الغربي عند الجيزة، لأنه لو تعمق إليها قريبا لرأى هذه الملامسة نسبية بسبب ما حدث من تعرية لغطائها الخارجي إلا قليلا؛ وأيضا لرأى حقا أنها ليست أكوام رمال وطلاسم وليست جبالا وأعلاما؟!! أو هو الشعر يتخيل أوصافا يضيفها إليه المشاهد لإبداء حيرة المشدوه والمتلقي والمتأمل!؟[2]

---

[1] - أنس الياري والسارب من أقطار المغارب ص: 68.

[2] - ابن مليح آنف الذكر ص: 68. وينظر ملحق الصور آخر الكتاب

الاهرام وابو الهول حارس النيل وحفريات اسفل الاهرام

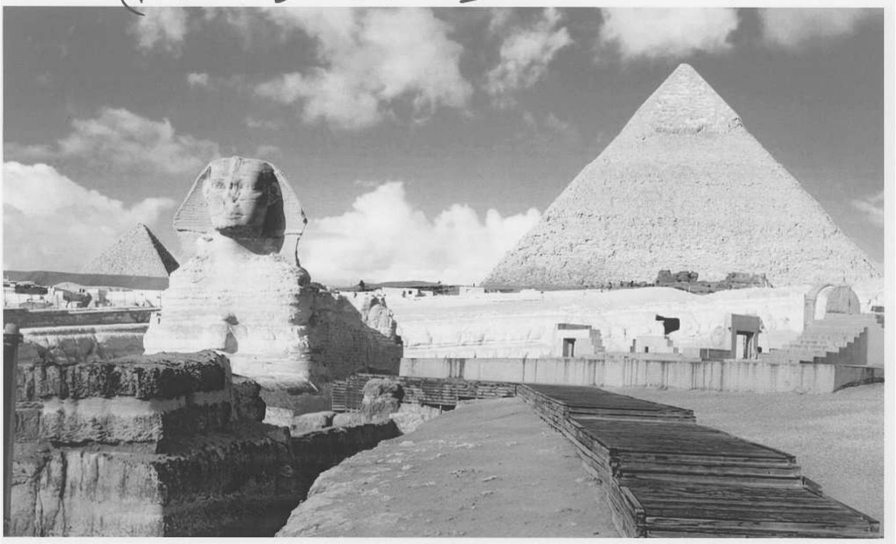

المتمصرون الأوروبيون ينظمون مراحل بناء الأهرام عبر العصور:

هذا؛ ويقدم علماء الحفريات المحدثون من الأوروبيين ومن تخرج عليهم من علماء المصريات تفسيرا تاريخيا لتدرج بناء المقابر عند الفراعنة إلى أن أوصلوا ذلك إلى هذا الشكل الهرمي الضخم البادي في الأهرام الثلاثة بالجيزة، (خوفو وخفرع ومنقرع)، حيث لاحظوا وجود مقابر متواضعة بمصر قبل عصر الأسرات؛ عبارة عن حفرة بيضاوية أو مستطيلة قليلة الغور، مكسوة بالطوب أو الحجارة، أو مكسوة بالخشب وعليه أكداس الرمل والحصى في حواف الصحاري بعيدا عن الأراضي الخصبة اقتصادا وإبعادا عن فيضان النيل مع تميز مقابر ملوك هذه الفترة بتصميم جيد.

وفي الأسرتين الأولى والثانية أصبحت مقابر النبلاء مكونة من عدد من الحجرات تحت الأرض تعلوها أبنية ضخمة من الطوب النيء مع فتحات كالقصور، ثم اكتفوا بفتحتين في الجانب الشرقي كبابين كاذبين على أن يبقى الباب الجنوبي مدخلا للهيكل؛ أما الحجرات تحت الأرض فلتخزين أمتعة الملك مع مدافن إضافية خارج المقبرة لبقية أفراد الأسرة مع نفس الشكل (المصطبة)؛ مع لوحات تذكارية عادية قبل أن تظهر اللوحات المزخرفة منذ أواخر الأسرة الأولى مع مناظر للمتوفى وهو يتلقى الهدايا مع ذكر أسمائها؛ واستخدمت الحجارة لتقوية الأجزاء المفتوحة خوفا من اقتحام اللصوص.

وأعظم تطور حصل في هرم (سقارة) عند منطقة الأهرام خلفها، هو عبارة عن هرم مدرج بني للملك "زوسر" أول ملوك الأسرة الثالثة وبه سمي الفندق الذي نزلناه صيف 2007 في وسط شارع الهرم بالضبط؛ ويمتاز بتصميمه الفرعوني ولونه الخاص ورسومه وأثاثه المتميز بهذا الطابع القديم جدا، وهو هرم ذو ست درجات مبني فوق حجرات الدفن تحت أرضية من الحجارة وفيها شبكة من الممرات والمخازن للمتاع الجنزي وغرف الدفن العائلية؛ وعند نهاية سوره الجنوبي مصطبة ضخمة تحتها مجموعة مزدوجة من الغرف مماثلة لغرف الدفن التحت أرضية، بعضها مزخرف بالآجر الأزرق شبه الحصر مع نقوش[1].

[1] - ينظر ملحق الصور آخر الكتاب.

مسقط رأس المصطبة

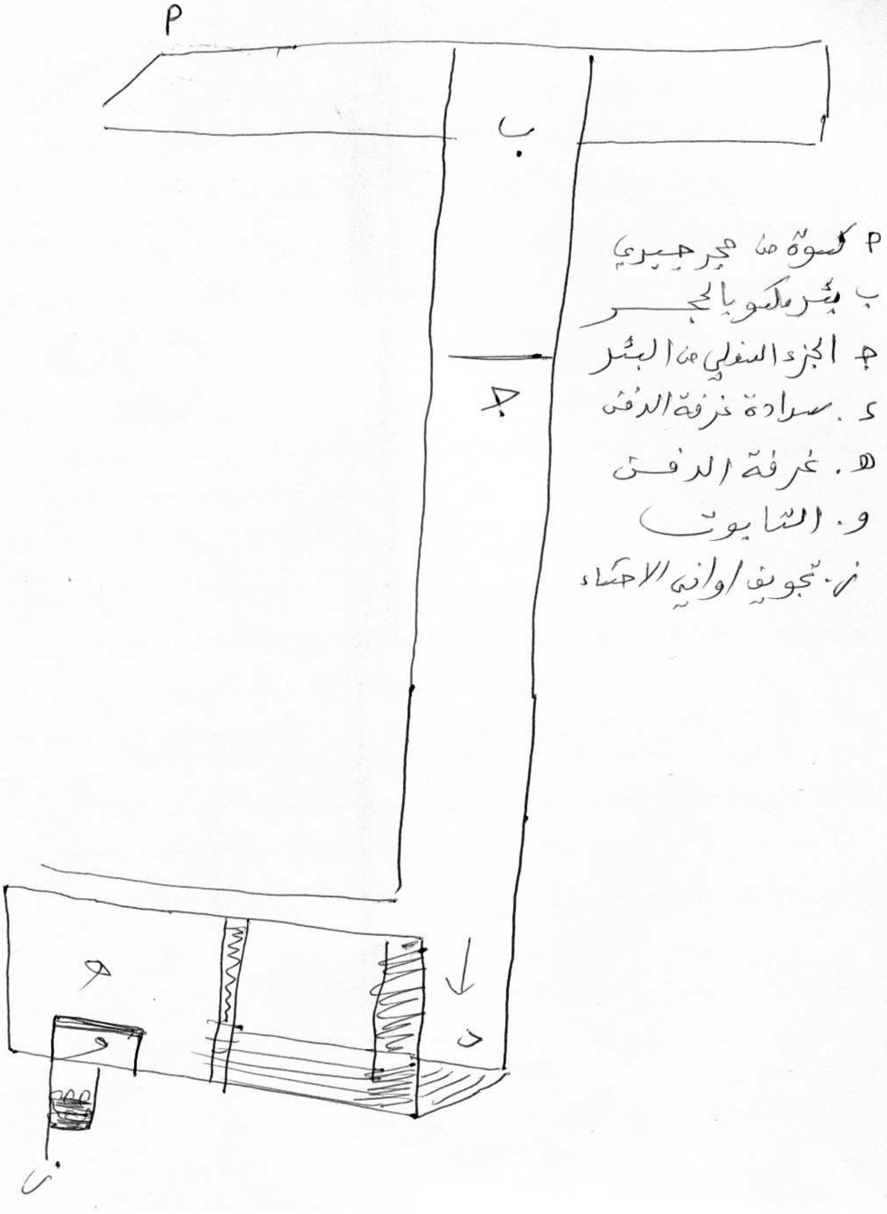

مسقط راس الهرم الاكبر بالجيزة

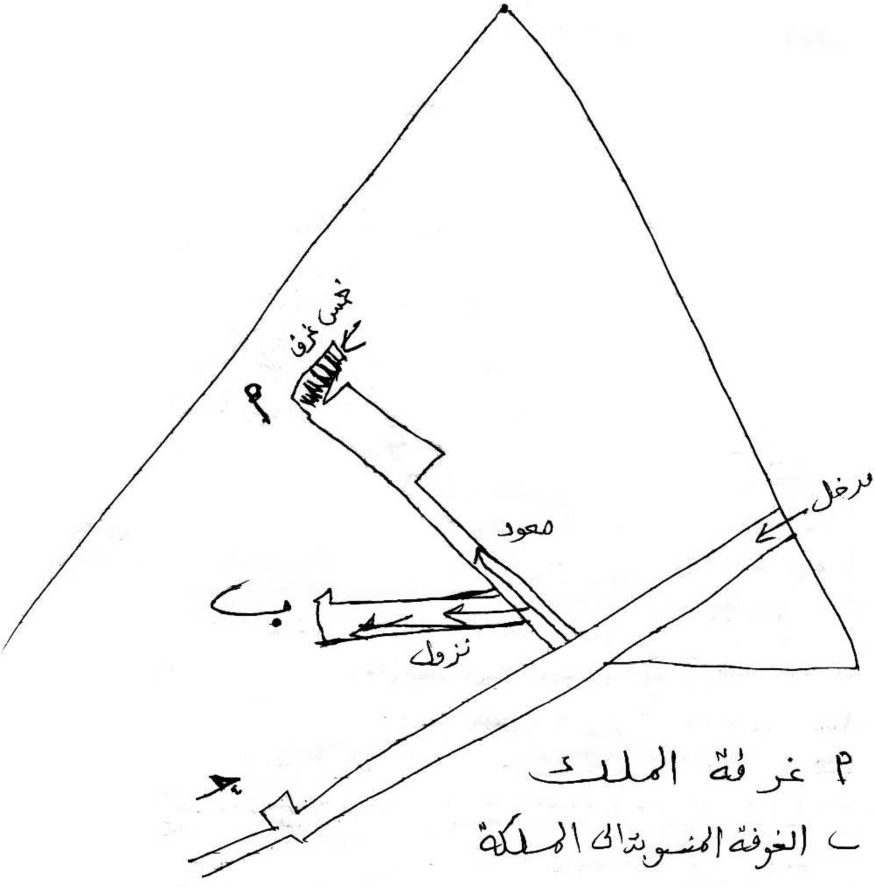

أ غرفة الملك

ب الغرفة المنسوبة الى الملكة

ج غرفة دفن غير كاملة

بارزة دقيقة تمثل الملك أثناء الشعائر الدينية[1]؛ وإلى الجانب الشمالي معبد جنزي، وغرفة بها تمثال الملك؛ بذلك أصبحت غرفة تمثال الملك بالسرداب أحد معالم المقابر القديمة، وفي نطاق هرم سقارة المدرج القريب من الأهرام الثلاثة مبان أخرى للاحتفال "باليوبيلات" الملكية في الحياة الأخروية؛ والمنطقة كلها مجمع هرمي ووحدة متكاملة لتوفير مملكة أخروية لائقة في شكل ملامح للقصر الملكي الدنيوي "بمنف" سابقا فيما يظهر[2].

الأهرام الثلاثة قمة تطور البناء والنفقات:

أما الهرم الحقيقي المعروف بمنطقة الأهرام في شكله الباقي فقد استخدم منذ الأسرة الرابعة من الدولة القديمة حتى عصر الدولة الوسطى، ومثالا عليه "هرم خوفو" أكبر الأهرام الثلاثة؛ من الحجر الجيري الناعم المجلوب من (طرة) على البر الشرقي للنيل، مربع القاعدة تقريبا؛ وطول ضلعه حوالي 230 م وارتفاعه القديم 146 م؛ وحدث بداخله تغييران جوفيان، أحدهما حفر غرفة تحت أرضه منحدرة للأسفل ثم صرف عنها النظر قبل اكتمالها؛ ثم جهزت بدلا منها غرفة وسط الهرم الحجري وسميت خطأ باسم "غرفة دفن الملكة"- وكنا نزلنا إليها في الرحلة الأولى في بداية تسعينيات القرن الماضي في ممر ضيق كنا نزحف إليه نازلين زحفا، أورثنا آلاما في الساقين بسبب هذا الضغط مع قلة الأوكسجين، حيث وجدنا غرفة خالية تماما، رجعنا منها صاعدين إلى الباب بخفي حنين - وبعد ذلك والسبب مجهول تقرر إيجاد غرفة علوية فوقها لدفن الملك يصعد إليها بعد ذلك المنحدر، ويوصل

---

(1) -كنوز الفراعنة 176/ سلسلة الألف كتاب الثاني، عدد 1995/196، ص 176.

(2) - نفسه : 177.

إليها رواق واسع الأرجاء - صعد إليه بعض الزملاء في تلك الرحلة - وقد بنيت بالجرانيت، فأفرغت التكملة الهرمية فوقها لتخفيف الضغط عليها، وذلك بعمل خمس غرف مرصوصة بعضها فوق بعض كالخلية[1].

الأهرام مقابر للملوك والملكات ومساكن الدار الآخرة ومراصد فلكية للشمس والنجوم:

ولا يزال بغرفة الملك هاته التابوت الجرانيتي الضخم الذي كان يحتوي بداخله على التابوت الخشبي الأصلي بعد أن تم استخراج ذلك كله بطريقة مجهولة لا يزال البحث الأركيولوجي جاريا لإثبات مكان وجود مومياء الملك خوفو هذا، وفي جانب "هرم خوفو الشرقي" معبد جنائزي يخرج منه طريق حجري يصل إلى حافة الصحراء حيث بني هناك "معبد الوادي" الملحق بالهرم حيث كانت تجري آخر الشعائر الجنائزية قبل نقل تابوت الملك إلى هرمه، وهو يقع تحت قرية مسكونة، وقت كتابة هذا المرجع المشار إليه.

تدهور بناء الأهرام بعد الوصول إلى قمة البناء عبر العصور:

وبعد عصر هذه الأهرامات الثلاثة صارت الأهرامات أصغر حجما لأسباب اقتصادية، وليس منها الأهرامات الثلاثة التي شاهدت منها خلف الأهرام الكبرى لأنها مجرد أهرام لزوجات الملك آنف الذكر فيما يعتقد الآثاريون هناك، غير أن تخطيط المجمع الهرمي استمر بعد ذلك في صورة الهرم نفسه والمعبد الجنائزي والطريق الصاعد المنتهي إلى معبد الوادي، امتاز بعضها بنقوش ونصوص جنائزية.

---

[1] - كنوز الفراعنة: 178؛ وانظر الرسم المرفق بهذه الرحلة.

مقابر أفراد النخبة ذات طابع أقل عظمة:

أما مقابر الأفراد فاستمر بناؤها على الطراز المصطبي آنف الذكر، أو تنقر في الصخور أحيانا ... مع استخدام الحجارة وتوسيع الهياكل الخاصة بالشعائر ووضع حجرة الدفن في قاع البئر العميقة[1].

أهل القاهرة يقتبسون من المنشآت على الموتى الفرعونية بيوتا وقبابا ومؤسسات بالقرافة الإسلامية عبر العصور إلى اليوم:

ويذكرني هذا الاهتمام القديم بمصير الموتى والكبار بما استمر عليه أهل القاهرة خلال العصور الإسلامية من إقامة مبان أو قباب بالقرافة الكبرى للأسرة مع تسويرها وإنشاء بيوت فيها وتزويدها ببعض الأشجار والنباتات وتعميرها بالفقراء والقراء والباعة المتجولين والأسبلة، وزيارتها ليلة الجمعة والمبيت بها في خرجة أسبوعية سياحية وترفيهية وترحمية في الوقت نفسه، في ارتباط أسبوعي مع أرواح وأجداث الآباء والأجداد والأقربين ومشاركة لهم في السكن والمبيت والأكل والشرب والقراءة والدعاء عندهم؛ مما ضعف عدده اليوم نظرا للضغوط المدنية وللدعاية التنفيرية وما أشبه، مما أصبحت معه هذه السنة المستمرة المنظمة في زيارة القبور شبه منقطعة إلا عند الضرورة من دفن جديد أو زيارة قليلة بسبب تذكر أو نذر أو اشتياق أو عيد أو ليلة شعبان أو ليلة القدر أو عاشر محرم؛ على أنه لا تزال العناية بالمشاهد الكبرى والقباب والخانقاهاة في شبه استمرار بعد أن استغل الفاقدون للسكن بالقاهرة فراغ الدور بالقرافة من العقب فسكنوها وأصلحوا منها وربطوها بالإنارة والماء والمرافق الضرورية، وبقيت معظم المقابر

(1) - كنوز الفراعنة: 178 – 179.

التاريخية الأخرى وقد نالها النسيان وعشش فيها الإهمال، وصعب الوصول بسبب ذلك إلى قبور بعض الأعلام من العلماء والصلحاء إلا بدليل أو خربت فيما حدثني به أحد من زار هذه القرافة بحثا عن مشاهير علماء المذهب المالكي مع مؤرخ عارف باحث اعتاد زيارة هذه القرافة لتحديد بعض قبور أعلامها (أفادني بذلك الزميل مدير دار الكتب الملكية بالرباط أحمد شوقي بنبين).

المتحف المصري

الاقسام الارضية من ١ ـــ ٥٥

الدولة القديمة ١/ الاسرة الاولى : ٧ـ ٨ـ ٩ـ ١٠ـ
٢/ الاسرة الثانية :
٣/ ٤/ ٥/ ٦

الدولة الوسطى ١١ـ الاسرة
١٢ـ ״
١٣ـ ״
١٤ـ ״

عصر الهكسوس

الدولة الحديثة :
١٨ـ الاسرة
١٩ـ الاسرة

العامسة : المتأخر

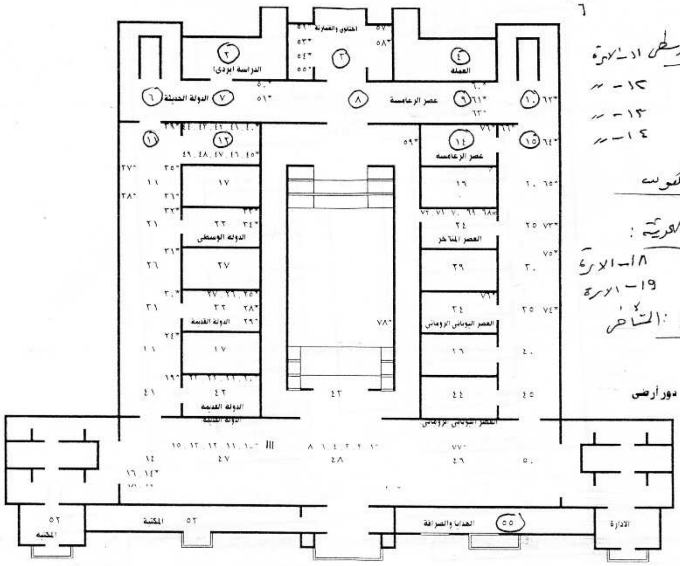

الاقسام العلويـــــة
من رقم ١ ـــ الى ٥٦

(لعض نماذج آثار عصر الاسرات وما قبلها بالمتحف المصري العلوي)

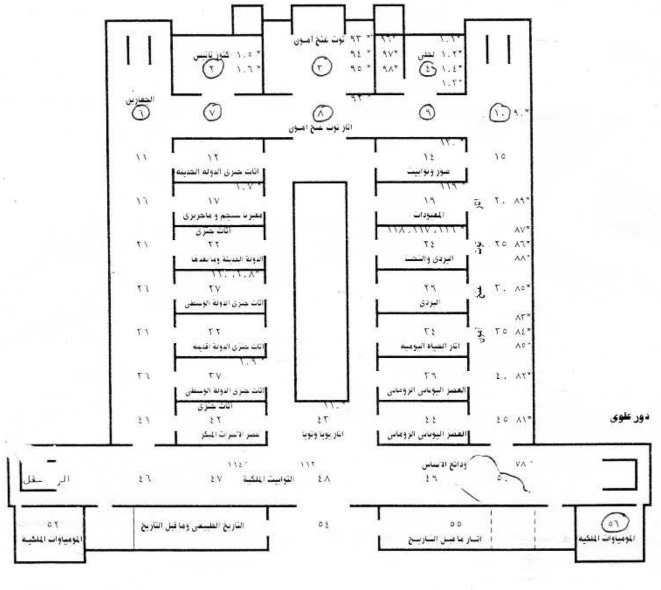

خريطة المواقع الأثرية القديمة عبر مصر العليا والسفلى

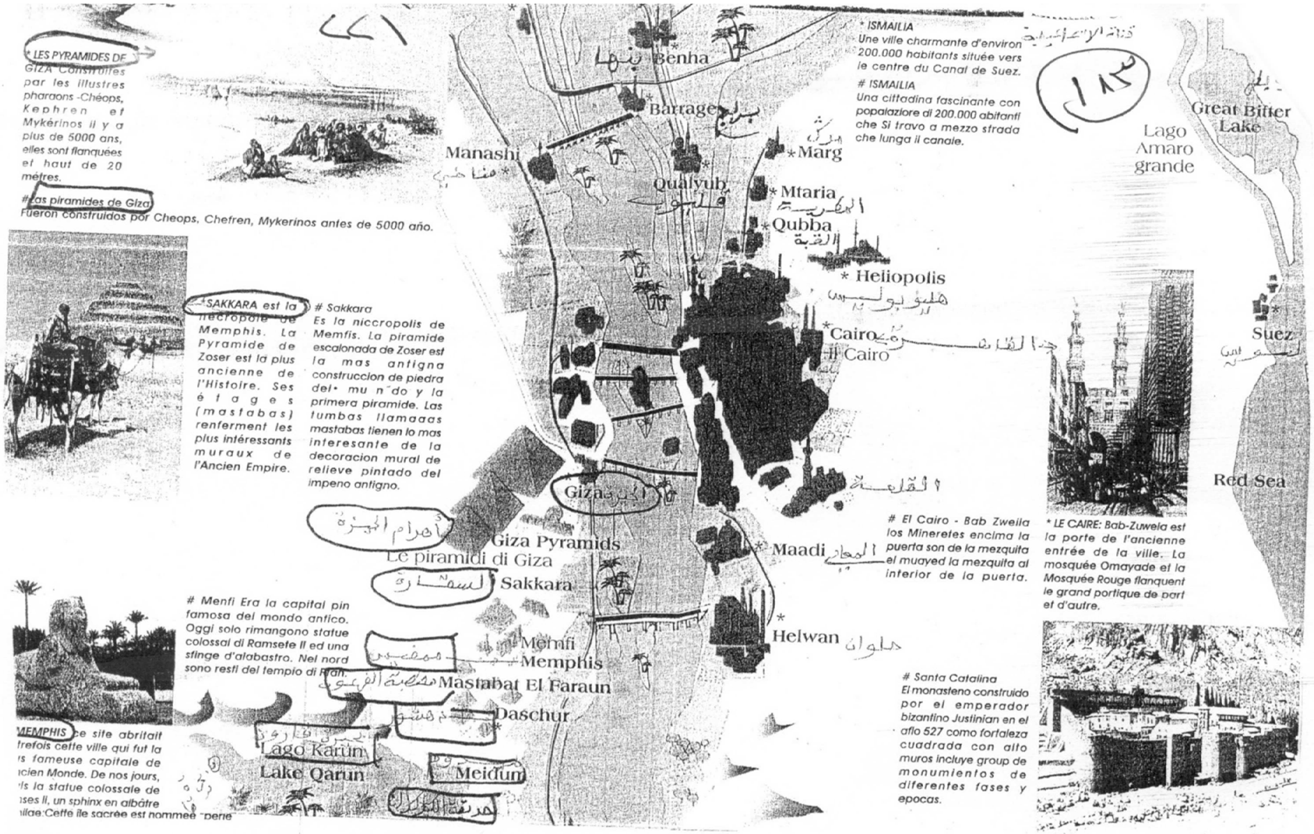

((الآثار الفرعونية بالجيزة وما حولها))

خاتمة للعبرة والذكرى:

مصر في قلب وعقل كل مغربي إلى اليوم

على أن كل رحلة رحلة لا ينبغي أن يخليها صاحبها من العبر والدروس الشخصية التي يمكن أن يستخلصها سواء بالمشاهدة والاحتكاك أو بالقراءة والتوغل في التاريخ أو بالتعاطف مع الأرض وسكانها وثقافتهم.

وذلك حتى لا تحول الرحلة مجرد سياحية في الأرض وتزجية فراغ، أو مجرد ترفيه على النفس أو مجرد عبور إلى ما وراء البلد كعابر السبيل المجرد.

وقد كتب لي من معاشرة أساتذة وشيوخ مصريين منذ خمسينيات القرن الماضي طالبا ثم مشرفا تربويا على مدرسة المعلمين بمراكش فطالبا أستاذا بالمدرسة العليا للأساتذة وكلية آداب الرباط وكلية اللغة العربية بمراكش، فطالبا متخرجا في دار الحديث الحسنية وفي الفترة نفسها منخرطا في كلية آداب الرباط خلال سبعينيات القرن الماضي، فمناقشا ومساهما في مناقشة الدروس الحسنية بالرباط، ما جعلني أحتك وأتواصل وأستفيد من ثلة من رجال العلم والفكر والإصلاح والتربية والدراسات الإسلامية، من أشهرهم الدكاترة: محمد نجيب البهبيتي وعائشة عبد الرحمان وزكرياء إبراهيم وسامي النشار وحسن ابراهيم حسن ونجيب بلدي ومصطفى الشكعة وعبد الصبور شاهين والأحمدي أبو النور، كما كان لي من صحبة الكتب المصرية التأليف أو الطبع ما حبب إلي اتجاه التأليف والتصنيف المصريين، حسن عبارة ووضوح مقصد وفصاحة لفظ وتجويد معنى ونفورا من الأخطاء المطبعية ودقة تحقيق، وجدة تناول؛ وكانت مدرسة طه الحاجري وعبد السلام هرون والشيخ شاكر وقبل ذلك مدرسة الهلال واقرا ودار المعارف والمنيرية والخانجي وبولاق ودار الكتب ومجلات "الرسالة" و "الثقافة" و "الأزهر" و "منار الإسلام" و "المصور" و "كتاب الهلال" و كتاب "اقرأ" ومجلة "الهلال" وسلسلة مطبوعات حلمي مراد "وروايات الهلال"

ومدرسة توفيق الحكيم ومتولي الشعراوي وأمين الخولي والنجار وبدوي ومصطفى سويف ونجيب محفوظ وزكي نجيب محمود وغيرهم، روافد كونت خلفية ثقافية وفكرية ورصيدا من المنهجية والتقريب من الأساليب والصوغ والفصاحة والعمق، ما ذهبت مراسمه الكبرى وبقيت آثاره العميقة في النفس والفكر والتعبير والنقد والانتقاد، يضاف إلى ذلك كله الاستشراف إلى معارك المرحومين: طه حسين والرافعي، دون ان ننسى موسوعية أحمد أمين ومؤلفاته المعالم في الطريق، مع ريشة سيد في "ظلال القرآن" وحسن تجديده لكتيبه الخطير الأثر البعيد الغور السهل الآسر الخلاب الخداع: "معالم في الطريق" ورصانة قلم صاحب "من هنا نبدأ" وصاحبه خالد محمد خالد "........" مع دواوين المشاهير في العصر الحديث كلاسيكيين ومحدثين.

ذلك كله جعل نظرتي إلى رحلاتي عبر القاهرة والإسكندرية وأسوان والأقصر وكوم أمبو تنطبع بهذا الطابع العميق الأثر المعطر بأريج النيل وأنفاس أبناء النيل أصدقاء ومدرسين وأصحابا ومرافقين في السفر.

فلا غرابة أن يصيبني من عدوى محبة هذا البلد وطبائع أبنائه وذكائهم واصطبارهم وتضحياتهم ونظريتهم المثالية ما انعكس على هذا الوصف لرحلاتي ورحلات المغاربة عبر العصور ونظرتهم إلى أخلاق أهل مصر ومعاملتهم إيجابا أو سلبا بحسب ظروف الاتصال وإمكاناته وعصوره.

فإذا أضيف إلى هذا ما انطبع في لا شعور الطفولة من قصص أهل مصر مع أنبيائهم وخاصة موسى وفرعون ويوسف والعزيز؛ وما وقع تحت أيدينا ونحن في الكتاب من كتب الثقافة الشعبية الصادرة من مصر كبدائع الزهور والطب

والحكمة وألف ليلة وليلة والقراءة المصورة والوسيط في الأدب ومجموعة من النظم والنثر للحفظ والتسميع ومتون ابن عاشر والرسالة والألفية وشروحها ومتون اللامية وشروحها، ومتون المقامات وشروحها وتفسير الجواهر لطنطاوي جوهري وحياة الحيوان للدميري والمستطرف للأشبيهي وكتب الأوفاق وكتب الحظ وتقوية الباه وقصص العنتريات والهلاليات، وما إلى ذلك، كان جديرا بان يجعل خلفيتي وخلفية الكثيرين من جيلي مصرية التوجه والصدور والتعلق والحب والتقدير، وإن أنس في طفولتي الأولى لا أنس وقوع عيني على أول واجهة زجاجية لعرض الكتاب تصدرها سلسلة "إقرأ" الجميلة الوضع اللطيفة الحجم وأنا أقف مشدوها كل يوم لمجرد التملي في غلافها الخارجي من وراء زجاج منذ أربعينيات القرن الماضي بالدار البيضاء.

المغربي يشرب لبان حب مصر من الشاشة والملصق والأغنية والسكر العريان والكتان القطني والأستاذ المبعوث:

وقد لفت نظري منذ لقائي بأهل مصر عبر الشاشة العربية منذ الطفولة الأولى في سن الثامنة خفة ولطف ودماثة أهل مصر من خلال أفلام سامية جمال وعبد الوهاب وفريد الأطرش ويوسف وهبي، وعندما أخذت أواسط الخمسينيات من القرن الماضي عن أساتذة مصريين بمراكش لاحظت هذه الدماثة وهذا الدفء في التعامل مع الطلاب ومخالطتهم بل وتشجيعهم على الإبداع والتجديد، وكان من أكثرهم تأثيرا على نفسي أستاذ العلوم حامد منصور القريب النسب كما أخبرنا من الممثل المشهور عماد حمدي ومن أكثرهم حكمة أستاذ الجغرافيا سعيد عجور الذي كان الطلبة يكاتبونه حول مشاكل المراهقة آنذاك فيجيبهم بتوجيهاته النيرة وحكمته

البادية؛ وكنت أكاتبه حول مشكلة أرقتني أزمانا فأجابني بما لا أزال أذكره معتزا ببعد نظرته وتعلقه بالأمل والاصطبار، وقد سأله بعض الطلاب يوما: لم يتمسك بزوج غير حسنة المنظر لا تليق بمستواه العمري والمادي! فأجاب: هذه السيدة عرفتني في الضراء وصابرت معي فكيف أتنكر لها في السراء أو أدخل عليها ضرة تشاركها!!!

كما كنا معجبين بفتوة وعصبية بعض الأساتذة الشباب من مصر وخاصة أستاذي العلوم والرياضيات اللذين يحلو لهما أن يدخلا أحيانا في عملية مناقرة تكاد تصل إلى بداية الصراع دون أن تبلغه.

رئيس أطباء مصر يرسم لوحة عن أخلاق أهل مصر المتمدنين المتحملين لانواع من المضايقات والخصاصة:

ومن أحسن ما قرأت عن طباع أهل مصر قديما منذ القرن الرابع الهجري وصف رئيس أطباء مصر علي بن رضوان (453هـ) أخلاق أهل مصر آنذاك ملخصا من كتاب رحالة مغربي استقر بمصر هو الطبيب أحمد بن إبراهيم ابن الجزار معاصره يقول: «فأما أخلاق المصريين فبعضها شبيه ببعض؛ يغلب عليها الاستحالة والتنقل من شيء إلى شيء؛ والدعة والجبن؛ والقنوط، والشك، وقلة البصر، والرغبة في العلم، وسرعة الحزم، والحسد، والنميمة، والكذب والسعي إلى السلطان وذم الناس ... وليست هذه الشرور عامة فيهم لكنها موجودة في أكثرهم، ومنهم من خصه الله تعالى بالفضل وحسن الخلق وبرأه من الشر» (كتاب دفع مضار الأبدان بأرض مصر)[1].

---

[1] - علي بن رضوان: كتاب دفع مضار الأبدان ص 130 ط الكويت تحقيق: عبد المجيد دياب.

ثم يضرب المثل بهذه الدماثة المكتسبة وهذا الجبن المتطبع به الناس بالأسد والكلب إذا دخل إلى مصر ذل وكان أقل حدة... و "كذلك سائر ما فيها هو أضعف من نظيره في البلدان الأخرى ما خلا ما كان منها في طبيعة تلائم هذه الحال كالحمار والأرنب"(نفسه 131).

نصيحة لأهل مصر بالإكثار من المسار والأفراح والتنكيت طلبا لدفع الوخم النازل:

ثم يختم بنصيحة أهل مصر بالإكثار من الفرح والسرور لتقوية حرارة أبدانهم وليجود الهضم وتندفع أحوال الغضب والحزن؛ وهو ما تعود عليه أهل مصر من تعمد التنكيت والمزاح طلبا لدفع هذا الوخم النازل على محيطهم قديما بسبب رداءة موضع الفسطاط خاصة، وكذلك ما يجره امتلاء الفضاء المحيط بالقاهرة عامة بالبرك الآسنة والجيف النافقة والماء المتخلل للبلد المختلط بكل ذلك إلى أن يفيض النيل صيفا ليجدد طبيعة هذا المكان (نفسه 184).

تفسير نفسي وعضوي لقلة قيامهم على الحكام:

ثم يشير في آخر كتابه إلى تفسير قلة الفتن الداخلية والحروب بمصر بالتمدن والسكون إلى من يسوس البلد وبالضعف عن القتال؛ باعتبار أهلها متمدنين قانعين بما يجلب إليهم متوازنين في معايشهم وأدويتهم متعايشون مع هذا الجو متكيفون معه (نفسه 241)، مفسرا ما يصدر منهم من الشرور بالضعف والدناءة والخسة، لذلك كان علاجها وكانت عاقبتها محمودة لأنها لا توقع أهلها في المهالك العظام (نفسه 242)؛ كما يفسر هذا القبول للعلاج بغلبة السرور عليهم؛ ويختم بأن أهل مصر "أفضل أخلاقا وأجود طريقة" (نفسه 242).

صورة من القاهرة العميقة منذ عصر الأهرامات إلى عصور المماليك ومن بعدهم في شخص "جمال الغيطاني" في لقاء معه يوم تكريم جمعية "منية للتراث والثقافة والسماع والفنون" بمراكش ذات ربيع من عام 2008م

في هذه اللحظات التي أكتب فيها هذه الشهادة عن هذا الرجل النادر المثال والمصبوغ جسده وقلبه وعقله بتراب النيل وشمسه وهوائه وبصور القاهرة في حاراتها ومؤسساتها منذ العصر الفرعوني إلى اليوم وتلميذ نجيب محفوظ النجيب والقصاص الماهر المتوغل في أحشاء الحضارات المصرية فرعونية وبلطمية وإسلامية وحدثية لا أنسى اللقاء الحميمي الذي شرفني به وتقبل من بعض كتبي مطبوعة ومخطوطة ومنها هذا البحث الطويل عن مصر بعيون المغاربة والذي يكون قد ألقى عليه نظرات خاصة في إعجاب أحيانا واستغراب أخرى وإن لم أتمكن بعد من تلقي ملاحظاته وتصويباته لما ورد داخله من جزئيات ومعلومات هو أعرف بها وأولى الناس بفقه دواخلها ومخارجها كما وعد بذلك منذ سنين!

وكم كنت سأطرب سعيدا بتلك الملاحظات والتوجيهات وإن وصلت إلى صرف النظر عن بعض أجزاء الكتاب تماما أو تعديل بعضها أو تدقيق بعضها الآخر.

ولعلني أنال من بعض توجيهاته استقبالا بعد الكتابة إليه تذكيرا له بأيام جميلة وصف فيها المغرب والمغاربة ومراكش وجمالها وخصائصها العمرانية بما وضع قلادة على جبين أهلها وخاصة عندما لفت النظر إلى أن معظم صوفية مصر وعلمائها وصلحائها من المغرب كما أظهر ذلك كتاب تقي الدين المقريزي المسمى بالمقفى الكبير في تراجم أهل مصر والواردين إليها[1] وكان الأستاذ الغيطاني قد اطلع

---

[1] - طبع الكتاب بدار الغرب الإسلامي بتحقيق محمد اليعلاوي في 8 مجلدات وعدد الصفحات 5710 صفحة ط أولى 1991.

عليه أو أخبر به قبل حضوره للتكريم بمراكش بدار الباشا قريبا من المجلس العلمي المحلي لمراكش.

ولعل زيارات الغيطاني لشفشاون وفاس والرباط ومراكش على فترات قد ألهمته كما صرح لنا بأجواء عديدة من رواياته وخاصة في "التجليات" و "بوح الذاكرة" الذي يصرح فيه بأنه شعر في فاس أنه عثر على العالم الذي يحاول صناعته في روايته: معادلة مدهشة بين القديم والجديد (هسبريس موقع www.hespress.com).

وفي همسات إلى الحمراء وعليها يذكر أن الآلاف من الأسر المغربية تعيش "قصور حمراء مصغرة" بالمدن العتيقة، داخل بيوت ترفل في رونق معماري مدهش، (الموقع أعلاه).

وعن صورة الإنسان المغربي عنده منذ الطفولة يصرح "شدتني منذ الطفولة صورة سحرية للمغربي القادم من بعيد، ذلك المالك للسر، حامل الكتاب، قارئ المستقبل"(الموقع أعلاه).

وعن الانطباع المخطئ للمغاربة عن جهل المشارقة بهم يذكر أن "التأثير المغربي في مصر (التي أعرفها) أقوى مما نتصور، يكفي أن نعرف أن أقطاب الصوفية في مصر مغاربة (موقع هسبريس آنف الذكر).

ويزيد اللوحة وضوحا بقوله:

«إن المغرب ظل يؤثر في مصر من خلال شريان رئيسي استمر ناشطا عبر قرون؛ وهو ركب الحاج المغربي - والذي وقفنا عنده طويلا- والذي كان يعبر البر المصري - جنوبا - ولم ينقطع إلا سنة 1969 مع ثورة الفاتح؛ ويتذكر الغيطاني

الحافلات التي تحمل لوحات فاس ومكناس ومراكش، وتوقف قريبا من الأزهر» (الموقع أعلاه).

وعند شهادته حول حي الجمالية بمصر المعزية يذكر أنه وإن كان ولد سنة 1945 في قرية جهينة بمحافظة جرجا[1] فقد نشأ في القاهرة القديمة وكانت الأسرة في حي الجمالية فهو تاج هذه المنطقة التي كونته ورسمت خطوط حياته" (موقع www.cdt.gov/arabic/sat).

ومن تصريحاته: لفيت العالم ما فيش أجمل من الطبيعة في الصعيد وهو محدد المكان والزمان وأهله يقدسون ذلك!

"سوهاج[2] أجمل مناطق النيل وهو أجمل الأنهار في العالم والأنهار التي رأيتها لا مقارنة بينها وبين النيل والنيل امتهن بعدما أمنا أخطاره، وفي الصعيد لم يكن الإنسان يبني بالمناطق المنخفضة وحوض النيل في القاهرة وحجزت العمارات العالية على الساكنة النيل وهو ممنوع قانونيا وجماليا".

"فيه مركزة للقاهرة والتهام للمدن، وأدعو للرحلة إلى خارج القاهرة لاكتشاف المدن الجديدة وحضرت في أسوان تفجير السد من محمد الخامس وجمال عبد الناصر وأقدم أبراج العالم في دندرة أخذه نابليون وعرفتني هذه الرحلة بمصر العالمية: "أبيدوس" وغيرها؛ و"الأُقصر" وأدعو إلى رحلة لمحبة مصر من قبل أهلها"[3].

[1] - من قرى الصعيد وجهينة قبيلة عربية هاجر بعضها إلى مصر وفي المثل "وعند جهينة الخبر اليقين"

[2] - تقدمت الإشارة إلى موقع سوهاج ومحافظة على الضفة الشرقية للنيل في صعيد مصر وكنت رأيت جل ضفاف مصر عبر النيل جنوبا في رحلة عبر العبارة السياحية من أسوان.

[3] - قمت برحلة من القاهرة إلى أسوان ليلا وعند الرجوع ركبت العبارة السياحية ونزلنا فيها لزيارة آثار الأقصر وكوم أمبو ومقابر الملوك ومعبد الملكة حتشبسوت أواخر القرن الماضي.

وقد أبت المنية إلا أن تخترم هذا الرجل الذي عرفناه مكرما وكأنه يودع وسلمنا له مخطوطة هذا العمل ولعله لم يجد من الوقت ومن آلام الأمراض ومعارك المجلة الثقافية الأسبوعية التي كان يحررها ويشرف عليها ما يسعفه على التفرغ لمثل هذه المخطوطات المكتوبة بالخط المغربي الهجين فلعل تلميذا من تلامذته ينفض الغبار ذات يوم أمثالها وأمثالها الكثير ليعلق أو يقارن أو يلاحظ أو يستدرك بحول الله.

الرحلة الأحمدية

لمدينة طنطا والإسماعلية

عبر الأزهر الشريف سنة 1986

من مراكش إلى مدينة الإسماعلية عبر الأزهر الشريف والقاهرة:

كانت سنة ألف وتسعمائة وستة وثمانين، من السنوات الهامة في تاريخ حياتي الدراسية، والتحصيل العلمي. حيث شاركت في المباراة التي نظمتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في عهد الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري للراغبين في إتمام دراستهم بالمعهد الإسلامي للتعليم العالي لتكوين الأطر الدينية بالدار لبيضاء، وكنت -بفضل الله- من المؤهلين لولوج الدراسة بهذا المعهد لمدة سنتين دراسيتين، توجت بابتعاثنا نحن المتخرجين، وعددهم 15 طالبا لإتمام دراستنا وتكويننا بالأزهر الشريف. وكان ذلك يوم الخميس 30 أكتوبر 1986، الموافق ل 27 صفر الخير 1407هـ، لمدة ثلاثة أشهر.

شهادة من شيخ الأزهر الشريف:

توجت هذه المرحلة بشهادة من شيخ الأزهر الشريف، الدكتور جاد الحق، نهلنا خلالها من معين عذب، تجلى في شيوخ الأزهر الكرام وأساتذته الأجلاء العظماء، أمثال الشيخ: الدكتور محمد مصطفى شلبي رحمه الله، والشيخ الدكتور عبد الجليل شلبي رحمه الله، والدكتور أحمد شلبي، والشيخ الدكتور سليمان ربيع رحمه الله، والدكتور عبد الودود شلبي رحمه الله، والدكتور محمد عبد الوهاب الساكت، أستاذ مادة العلاقات الدولية والدكتور محمد عمارة، والدكتور ابراهيم خليل رحمه الله، والدكتور محمد عبد الرحمن راضي..... وغيرهم كثير.

في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة:

كما توجت هذه الدورة التكوينية بتنظيم إدارة الأزهر الشريف لرحلات استكشافية لمعالم ومدن ومآثر دولة مصر العربية. وزرنا مآثر عديدة تزخر بها القاهرة

وغيرها من المدن، مثل متحف الفن الإسلامي بالقاهرة، الذي أسس سنة 1903، ويشتمل على ألفين وثمانين تحفة، منها أسلحة ورداء الفارس لاتقاء ضربات السيوف (المجن)، وبنادق من فضة، يرجع تاريخها إلى العصر المملوكي، ومشكاة زجاجية مموهة بالميناء باسم السلطان حسن، المتوفى سنة 1361، عقد شجرة الذر، يرجع تاريخه إلى العصر المملوكي أيضا. كما زرت محافظة المحلة الكبرى وطنطا، حيث مقام السيد أحمد البدوي.

عند الأهرامات:

بالإضافة طبعا إلى زيارتنا للأهرامات: (هرم: خفرع، ومنقرع، وخوفو وأبو الهول). إلى غير ذلك من المآثر التاريخية التي تزخر بها مصر العربية.

إلى زيارة مدينة الإسماعلية في ستة وفود عربية:

وفي يوم الأربعاء 8 جمادى الأولى 1407هـ موافق 8 يناير 1987، نظمت إدارة الأزهر للوفود المشاركة في الدورة الرابعة، وعددهم 6 وفود، جاؤوا من ستة دول (المغرب- نيجريا- الصومال- السودان- زايير- بنغلادش) زيارة تاريخية ومهمة إلى مدينة الإسماعلية التي تبعد عن القاهرة ب 140 كلم، رافقنا خلالها:

- الأستاذ الدكتور عبد الودود شلبي رحمه الله أمين عام اللجنة العليا للدعوة الإسلامية.

- الأستاذ الدكتور عبد الحميد شاهين، مدير أمن مدينة البعوث الإسلامية التي نقطنها.

- الأستاذ محمد فتحي يوسف، المشرف على تنظيم الدورات التدريبية للمبتعثين، والواصف للرحلة والرحلات الأخرى كطنطا والمحلة الكبرى

بالإضافة إلى شخصيات أخرى وهيئات مسؤولة، كما رافقنا خلال هذه الرحلة عدد كبير من الصحفيين من مجلة التصوف الإسلامي، وجريدة الأهرام، وهي الجريدة الأكثر مبيعا، وجريدة اللواء الإسلامي، وصحفي مصور يمثل إدارة الأزهر.

بداية الرحلة عبر مصر الجديدة:

انطلقت الرحلة عبر حافلة سياحية من النوع الممتاز من شارع صلاح سالم، وهو طريق يؤدي إلى جامع الأزهر، ومجمع البحوث الإسلامية، ومأوى الأستاذ عبد الحميد شاهين، وهو يدعوكم لزيارة بيته قبل الشروع في الرحلة، (مازحنا المرافق الواصف للرحلة) مرورا بمعسكر الجيش، ثم نادي المصانع الحربية، ثم بيت رئيس الجمهورية: حسني مبارك على الشمال من شارع صلاح سالم، ثم مبنى القوات الجوية، وبعدها الوصول إلى مصر الجديدة. ويبدو على اليمين قصر البارون، وهو من المشاركين في تأسيس مصر الجديدة (طبعا كان خواجة). يقول المتكلم عبر المايكروفون، وتبدو على اليمين القيادة المشتركة.

في شارع العروبة والمرور قرب المطار الدولي:

نحن الآن نسير في شارع العروبة بعد مغادرتنا لمصر الجديدة، وبه على اليمين نادي الجلاء للقوات المسلحة، وعلى الشمال تمثال رمسيس الثاني، أحد ملوك مصر القديمة، وعلى الشمال مبنى الكلية الحربية، وعلى اليمين فندق شيراطون، وهو على جانب المطار الدولي. ثم كوبري علوي (أي قنطرة علوية). ويمتد إلى المطار بعد الإصلاح. نحن الآن على مقربة من مطار القاهرة الدولي الذي يبعد عن القاهرة

بحوالي عشرة كيلو. (ورجاء ربط الأحزمة وعدم التدخين) (مزاح من الأخ المرافق الذي يصف الرحلة ويوثقها). وها نحن الآن بمحاذاة مطار القاهرة الدولي، هذا الطريق يسمى طريق الهايكستيب.

عند مدينة السلام:

وبعدها نتجه ونقصد مدينة الإسماعلية، ونرى على اليمين مبنى الأمن المركزي، وعلى الشمال في العمق مبنى مدينة السلام، وهي من المدن التي أنشئت حديثا، وعلى الشمال مكان تداريب القوات المسلحة على الرمي. وتتراءى لكم صحراء مصر الكبرى، وتمتد من هنا إلى مدخل مدينة الإسماعلية، وهذه كلها كثبان رملية ترافقنا طوال الطريق.

في الطريق الصحراوي إلى الإسماعيلية:

لازالت تفصلنا على الإسماعلية سبعون كيلو، وتبدو على الشمال مدينة العاشر من رمضان، وهي إحدى المدن التي أنشأت حديثا بارضو (يعني أيضا). وبالجوار، توجد المنطقة الصناعية، وهذه الطريق أطلقوا عليها اسم الطريق الصحراوي، لأنه يحاذي الصحراء الشرقية. وذكرى العاشر من رمضان أو السادس من أكتوبر هي ذكرى اليوم الذي عبر فيه الجيش المصري إلى صحراء سيناء وتحطيم خط برليف، وهي حرب أكتوبر 1967، وسائق الحافلة هذه التي نستقلها بطل من أبطال حرب العاشر من رمضان أو السادس من اكتوبر 1967.

أراضي فلاحية جديدة:

وعلى الشمال أرض الاستصلاح الجديدة التي تسقى بواسطة الرش بالتنقيط. وتبدأ من 82 كيلو من القاهرة. ولم يبق على الدخول إلى الإسماعلية سوى ثمانية وثلاثين كيلو. ونلاحظ طريقة سقي الأراضي، بالإضافة إلى الطريقة الأولى أنهم يرفعون الماء المار عبر المواسير على عجلات (كما هو الحال عندنا بطريق سطات). حيث تسقى المزارع بواسطة الضخ حسب الحاجة.

ولقد اقتربنا الآن من مدينة الإسماعلية، ولم يبق سوى حوالي خمس عشرة دقيقة، (نرجو مرة أخرى ربط الأحزمة وعدم التدخين) (مزاح من قبل المرافق). والطريق التي على اليمين تؤدي إلى قناة السويس بحوالي ثمانين كيلو. وتعتبر مدينة الإسماعلية من مدن المواجهة مع إسرائيل، والدمار الذي حل بهذه المدينة كان بسبب تواجدها هناك. وكانت بعد سنة 1967 مباشرة كلها خرابا وأنقاضا بفعل الحرب الذي اصطلت بنيرانها. وبعد ست سنوات، (أي سنة 1973)، وبعد عبور الجيش المصري إلى سيناء وانتهاء الحرب، بدأ العمران بهذه المدينة كما ترون الآن. وسنقوم بزيارة معبر القنال وخط برليف، وهذا معد في البرنامج بحول الله تعالى.

عند مبنى هيأة قناة السويس:

وعلى اليمين يظهر لنا مبنى هيئة قناة السويس (شارع ترعة الإسماعلية) والإسماعلية مدينة أهلها طيبون ومضيافون، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ينطبق على أهل هذه المدينة العريقة الجميلة. "من كان يومن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه"[1].

---

[1] – البخاري ومسلم.

وسنكون بعد قليل في ضيافة (نادي الإسماعلية الاجتماعي) بمركبه الكبير على الساعة الحادية عشرة والنصف صباحا...... ومعنا الآن خبير الإسماعلية الأستاذ محمد الزفتاوي، وهو الذي سيرافقنا في رحلة مائية إلى معبر القنال. وفي طريقنا إلى الإسماعلية مررنا على الحدائق العامة الجميلة. ويبدو أمامنا استراحة رئيس الجمهورية. وأمامنا مباشرة كذلك مستشفى قناة السويس (هذه القناة التي يبلغ عمقها واحدا وعشرين (21) مترا.

ثم نزلنا بالقرب من قناة السويس دقائق قليلة وخاطفة، وأخذنا بها صورا تذكارية جميلة.

عند مدينة الشيخ زايد:

وتوجهنا بعدها إلى مسجد أبي مجد لنصلي الظهر، وهذه مدينة أمامنا تسمى مدينة الشيخ زايد أمير دولة الإمارات الذي أعطى ومنح للهيئة المصرية مائة مليون (100 مليون) جنيه لبنائها. أما أبو المجد هذا الذي أسس المسجد المسمى باسمه. فقد أعطى لبنائه نصف مليون جنيه. واشترى الأرض من الحكومة (الدولة) رغم أنها أرادت أن تعطيه الأرض بالمجان، لكنه رفض.

كلية الطب بالإسماعيلية:

وهنا تبدو جمعية قناة السويس، وعلى اليمين كلية الطب الإسماعلية، وهي تنتهج مناهج جديدة وحديثة ومتطورة خلافا لما هو عليه جامعات القاهرة والإسكندرية وغيرهما.

وبعد صلاة الظهر بمسجد أبي المجد، سنستأنف المسير، وفعلا فكلام المرافق في أهل الإسماعلية من أنهم كرماء وطيبون ومضيافون صحيح. فقد صليت الظهر بجانب أحد شباب الإسماعلية. وإثر انتهائي من الصلاة، قدم إلى يده مصافحا، وشد على يدي بحرارة، حيينا المسجد بركعتين شكرا لله تعالى، ثم صلينا الظهر جمعا، ومعنا سكان أهل الإسماعلية القريبون من المسجد. وسيقام مجمع ثقافي بالقرب من هذا المسجد، فهو في طور البناء.

لون مدينة الإسماعيلية البياض والزرقة:

وها نحن الآن بحي السلام بمدينة الإسماعلية ويشترط في بناء المنازل والمباني به أن تكون بالأبيض، والشبابيك (النوافذ) بالأزرق.

غرس الأشجار أمام المنازل تطوع فردي وجماعي:

ويتكلف كل شخص وكل رب بيت بغرس شجرة على الأقل أمام منزله. بعد ذلك نعبر حي العرب، ثم شارع رضى، وعلى اليمين يبدو نادي الشجرة. إضافة إلى أن هناك نوادي أخرى داخلية وخارجية.

القيمة التاريخية لمدينة الإسماعيلية:

حصلت مدينة الإسماعيلية على جائزة الأغا خان الرابع[1] بالمغرب كأول مدينة تمتاز بالزخارف الإسلامية والمآثر التاريخية.

على اليمين تبدو لنا مديرية أمن الإسماعيلية ثم سكنى المهندس الذي حفر قناة السويس على اليمين.

---

[1] – وهي جائزة الفن المعماري أنشأها أغا خان الرابع وهو الإمام أو الرئيس الروحي للطائفة الإسماعيلية في عام 1977م.

وسنتجه (دي الوأت) - (يعني حالا) إلى منطقة السقالة[1] وهي من أهم مناطق مدينة الغردقة المصرية، وسنمر على بحيرة التمساح كما في الصور، وسميت بذلك لأنها تشبه صورة التمساح حين التقطت صورة لها بالطائرة من أعلى.

ميناء الإسماعيلية:

وأخيرا ندخل ميناء الإسماعلية، وتبدو الوحدة البحرية لقناة السويس التي تعمل على إنقاذ السفن التي تتعرض للغرق وكان على كل سفينة منقذة أربعة مرشدين. وتعبر بالقناة ما بين خمسة وخمسين إلى ستين سفينة يوميا.

عند بحيرة التمساح:

وقد تمكنا بفضل الله تعالى من ركوب إحدى السفن، وعبرنا بواسطتها بحيرة التمساح، ووصلنا إلى حدود صحراء سيناء في الحدود مع إسرائيل. ثم قفلنا راجعين إلى نقطة الانطلاق على الساعة الواحدة زوالا وتسعة وأر بعين دقيقة من نفس اليوم خوفا علينا من أن تصطادنا قذيفة أو رصاصة من القوات الإسرائيلية عفوية أو مقصودة، (هكذا أخبرنا المتحدث المرافق)، وصدق الله العظيم: "ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا"[2].

في النادي للغداء والمغادرة:

بعد عبورنا لبحيرة التمساح وعودتنا، رجعنا مرة أخرى إلى النادي الاجتماعي لمدينة الإسماعلية، حيث كنا على موعد مع وجبة غذاء في تمام الساعة الثالثة زوالا.

---

[1] – أصل السقالة الألواح الخشبية والمعدنية التي تعلق لتمكين العمال من الوصول إلى الأماكن المرتفعة وفق البناء وجمعها سقالات وسقائل.

[2] – الإسراء: 69.

والغذاء مكون من أصناف جيدة من الأطعمة (أرز- لحم مشوي- سلاطة - خبز وكفتة ومشروبات غازية) وبعد ذلك، شربنا كبايات[1] شاي باللبن. وبعد الانتهاء من وجبة الغذاء، كان في توديعنا إلى مدينة القاهرة محافظ مدينة الإسماعيلية، السيد الوزير عبد المنعم عمارة، وحين (وقتها) كان الوفد بصدد التقاط صور تذكارية معه، قال: "أيها السادة اسمحوا لي أن آخذ صورا مع وفد المغاربة أولا" ثم أردف وقال: "من منكم جاء من مدينة مراكش؟ فقلت: أنا، فقال لي: "أهلا وسهلا ومرحبا بأهل مراكش، لقد كنت قبل أيام في هذه المدينة العريقة، مدينة العلم والعلماء والصلحاء والأولياء. وبذلك انتهت زيارتنا لمدينة الإسماعيلية في نفس اليوم الذي هو يوم الأربعاء 8 جمادى الأولى لعام 1407هـ الموافق ل8 يناير 1987.

استراحة الخميس:

وغدا الخميس 9 جمادى الأولى لعام 1407 الموافق ل 9 يناير 1987 سنستمتع باستراحة خفيفة من آثار جولة الأربعاء إلى الإسماعيلية على أننا سنذهب يوم الجمعة بحول الله في زيارة محلية إلى أنحاء ومآثر القاهرة، ويوم السبت راحة.

زيارة طنطا:

ثم نستأنف بحول الله جولتنا يوم الأحد 12 جمادى الأولى موافق ل 12 يناير 1987م لمدينة طنطا والمحلة الكبرى، وكانت الانطلاقة طبعا من مقر إقامتنا - مدينة البعوث الإسلامية - نتوجه أولا إلى مدينة طنطا حيث يوجد مقام السيد أحمد البدوي والزيارة وقراءة الفاتحة على روحه الطيبة، ومعنا الكابتن الذي عبر القناة

---

[1] - كبايات جمع كباية مشتقة من الكب وهو درجة من درجات الصب في الأرض أو غيرها من الأفواه والأواني وهي تحريف لكلمة (كوب) ويجمع على أكواب وهو إناء للشرب لا عروة له.

أيام كان جنديا وهو الذي يسوق الحافلة التي تقلنا إلى وجهتنا، كما يرافقنا الأستاذ عبد الفتاح الزيات الذي يدرسنا مادة العقيدة والفلسفة، وهو في نفس الوقت مدير مكتب شيخ الأزهر الشريف.

المرور عبر شبرا:

(نرجو قراءة الفاتحة ودعاء السفر....) نرى على اليمين القصر الجمهوري بحدائق الأبة (القبة) الذي يلتقي فيه السيد رئيس الجمهورية بالسادة الوزراء، ثم شارع الكابلات (caplate) ثم كوبري (قنطرة) عبود العلوي، وهذا ميدان شبرى الخيمة، وهذه محلة الكهربا، وشبرى الخيمة أنشأت سنة 1982 حديثا، ثم محافظة القيلوبية، وعلى الشمال محافظة أبها (من مصر إلى طنطا حوالي 96 كيلو) باقي الآن 6 كيلو، ومن هذه المنطقة بقي 127 كيلو على الإسكندرية.

عبر مدينة زفتا:

توجد على اليمين زفتا كما ترون كل هذه المساكن على الشمال حديثة، والاتساع في العمران، والناس هنا (very active)، أي أنهم كثيرو التناسل يتحركون ليلا.....) (ضحك وهمهمات منبعثة من أفواه الركاب)، ولعلهم يعملون بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تناكحوا تناسلوا، فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة"[1].

في مفترق الطرق:

الطريق القادم على اليمين يؤدي إلى كفر الشيخ، وإلى سوق مرقد الشيخ ابراهيم الدسوقي، هذا هو مدخل مدينة طنطا، بداية مباني طنطا، ها نحن الآن

---

[1] - صححه ابن حبان في المستدرك.

وصلنا إلى استاد طنطا (stade)، (أي ملعب طنطا)، ثم مبنى المحافظة، ومحافظة طنطا (مكتب السيد المحافظ) ها هو على الشمال، ثم جامعة طنطا، كلية العلوم على الشمال، سندخل على مبنى المحافظة وسنستقبل من طرف السيد المحافظ، وسنشرب كبايات شاي، ونتجه ثاني إلى مسجد الإمام السيد أحمد البدوي، لصلاة الظهر والزيارة.

إلى معهد طنطا الأزهري:

وبعد خروجنا من السيد البدوي سنقوم بزيارة المعهد الأحمدي الأزهري بطنطا، الذي رحب بنا مديره الأستاذ عبد الفتاح، وألقى كلمة في الوفود بعد أن حمد الله وأثنى عليه، رحب بالوفود وذكر بنعمة الله علينا نحن الأمة الإسلامية بأن جعلها شعوبا وقبائل ليتعارفوا، مستشهدا بالآية القرآنية من سورة الحجرات "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير"[1] وأشاد بالعلم والعلماء، ثم قال: "يجدر بنا نحن الموجهون والمعلمون لدين الله أن نأخذ الناس بالحسنى على حسب القاعدة المعروفة، وهي قوله تعالى من سورة النحل: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن"[2] كما دعا إلى تأسيس هيئة إسلامية لتحكم وتفصل في النزاعات بين بلدان المسلمين، وتوقف هذه الدماء التي تسال بين إخوتنا، وختاما لكم تحياتنا وأمانينا والسلام..

---

[1] – الحجرات : 13.

[2] – النحل: 125.

إلى كلية الشريعة بطنطا:

وكنا نستمع لكلمة السيد المدير ونحن نشرب المشروبات الغازية (Merinda)، ثم غادرنا المعهد الأحمدي الأزهري بطنطا، وتوجهنا إلى كلية الشريعة بنفس المدينة، هذه الكلية تأسست سنة (1979م- 1399هـ)، وهذه الجامعة الأزهرية تضم كلية أصول الدين وأصول الدعوة وكلية الشريعة. وشربنا بمكتب السيد العميد بعد الترحيب بالوفود والثناء على العلم والعلماء، والحث على طلب العلم. مشروبات غازية (كان من نصيبي pepsi).

إلى المحلة الكبرى وشركة الغزل والنسيج:

والآن نتجه إلى المحلة الكبرى، وسنزور شركة غزل النسيج، هذه الشركة لها شهرتها العالمية في صناعة الأثواب والأقمشة، أنشئت سنة 1927م، وبدأ الإنتاج بها عام 1931م برأس مال ثلاثمائة ألف جنيه. أخذ يتزايد هذا الرأسمال إلى أن وصل إلى اثنين وعشرين مليون جنيه ونصف (22.50 مليون جنيه)، ومسافتها تصل إلى ستين فدانا، وتعتمد عليها الجمهورية المصرية كرافعة اقتصادية مهمة لصادراتها في مجال الأقمشة والأثواب إلى الخارج (ألمانيا، اسبانيا، النمسا، افريقيا، آسيا). (كما صرح لنا بذلك مرافقنا). وسنتناول طعام الغداء هناك داخل المصنع، وبعده سنتجه إلى القاهرة بحول الله مع قوته الآن. وفي هذه اللحظة وعلى الساعة الثانية ظهرا من يوم الأحد 2 جمادى الأولى 1407هـ، موافق 12 يناير 1987م، حللنا بمدينة المحلة الكبرى، وبعد تناولنا لوجبة الغذاء بالمطعم الفخم الذي يوجد داخل المصنع (مصنع النسيج)، قمنا بأداء صلاة العصر، ثم بجولة خاطفة إلى مركز التصنيع، فوقفنا على المراحل التي يمر منها القطن قبل أن يصبح قميصا أو ثوبا، حيث يمر

بعدة مراحل: مرحلة التصفية من الشوائب والأتربة، ثم لفه في لفات صغيرة مفتولة فتلا غليظا، ثم فتله فتلا رقيقا، ثم جعله في مجموعات كبيرة، ليصدر إلى البلدان الخارجية.

العودة إلى القاهرة:

وفي تمام الساعة الرابعة والنصف، قفلنا عائدين إلى القاهرة، ووصلنا في تمام الساعة السادسة وأربعين دقيقة إلى مقر إقامتنا.

عند مدينة البعوث الإسلامية:

مدينة البعوث الإسلامية بحي العباسية بالقاهرة، التي تأسست سنة 1954، وتم افتتاحها سنة 1959م في عهد الراحلين جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية، والإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر.

والسلام

تمت الرحلة الأحمدية

الفهارس

- فهرس المصادر والمراجع
- ملحق خاص بالصور والشارات وبطاقات في طريق الرحلة ووثائق
- فهرس محتويات الرحلة

فهرس المصادر والمراجع

- الأزهر في ألف عام / محمد عبد المنعم خفاجي / عالم الكتب / القاهرة د ت.

- أنا المصري / جمال بدوي / الهيئة المصرية العامة للكتاب / 2005 / القاهرة د ت.

- أنس الساري والسارب / أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي إبن مليح / تحقيق محمد الفاسي / فاس/ 1388 / 1968.

- باب الحديد / شريط سينمائي / صدر 1958 / إخراج يوسف شاهين وبطولة فريد شوقي وهند رستم.

- بوابة المتولي "صراع السلطة والمال" / نجيب محفوظ / شريط مسلسل 1985 / بطولة أحمد عبد العزيز وعزة العلاييلي.

- بين القصرين / نجيب محفوظ / رواية / دار الشروق / 2007.

- تاريخ الكنيسة القبطية / الأنبا يوسف / الهيئة المصرية العامة / 2018 / القاهرة.

- تاج المفرق في تحلية علماء المشرق / خالد بن عيسى البلوي / تحقيق الحسن السائح / ط وزارة الأوقاف المغربية واللجنة المشتركة بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة.

- تحفة النظار / ابن بطوطة / عبد الهادي التازي / ط أكاديمية المملكة المغربية 1997 / الرباط.

- تراث مصر / تحرير جب آرثر هاريس ونخبة من كبار علماء المصريات / ترجمة صالح بدير / وزارة الثقافة / المجلس الأعلى للآثار رقم 38 / القاهرة.

- الحرافيش / رواية نجيب محفوظ / مكتبة مصر / 1977.

- خان الخليلي / رواية نجيب محفوظ / ط 1945 / القاهرة.

- الدعاء في الكتاب والسنة / محمد سيد طنطاوي / عدة طبعات.

- الدليل الموجز لأهم الآثار الإسلامية والفرعونية / أبو أحمد محمد فرغلي / الدار المصرية اللبنانية / القاهرة / ط 4 / 2002.

- الدليل المصري للآثار الفرعونية بمتحف التحرير / مطابع المجلس الاعلى للآثار / طبعة ثانية / 1977.

- دليل الإسكندرية / مطابع الاهرام التجارية / قليوب / مصر.

- رحلة إلى مصر / نيكوس كازنتزاكيس / الهيئة المصرية العامة/ 2018 / القاهرة.

- ديوان القاهرة / حزين عمر / الهيئة المصرية العامة للكتاب / 1998 / القاهرة.

- رحلة ابن جبير / ابو الحسن أحمد بن جبير / دار صادر / بيروت / د ت

- رحلة ابن بطوطة / أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي / عبد الهادي التازي / أكاديمية المملكة المغربية / سلسلة التراث / 1997 / الدار البيضاء / المغرب.

- الرحلة الحجازية / أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي / بعناية عبد المجيد خيالي / مراجعة وتقديم أحمد شوقي بينبين / مطبعة التومي / سلا / المملكة المغربية / 1439 / 2017.

- الرحلة العبدرية / أبو عبد الله العبدري الحيحي / تحقيق محمد الفاسي / عدة طبعات منها ط دمشق / 2005 / تحقيق علي إبراهيم كردي.

- رحلة جوزيف بتس أو الحاج يوسف إلى مصر ومكة والمدينة / سلسلة الألف كتاب الثاني / ترجمة عبد الرحمان عبد الله الشيخ / د ت.

- رحلة الراهب سيمون إلى مصر والشام / كتاب الهلال ع 677 / سنة 2007.

- الروض المعطار في خبر الأقطار / محمد بن عبد المنعم الحميري / مكتبة لبنان / بيروت / حققه إحسان عباس / 1974.

- دفع مضار الأبدان بأرض مصر / علي بن رضوان / ط الكويت / تحقيق عبد المجيد دياب.

- عادات المصريين وتقاليدهم / إدوارد وليام لين / ترجمة سهير دسوم / الطبعة الثانية / مكتبة مدبولي / القاهرة / 1999.

- عجائب الآثار في التراجم والأخبار / عبد الرحمان الجبرتي / دار الكتب المصرية / القاهرة / د ت.

- على باب زويلة / محمد سعيد العريان / تقديم طه حسين / القاهرة / د ت.

- السمان والخريف / رواية نجيب محفوظ / دار الشروق ودار مصر للطباعة / القاهرة / د ت.

- شوارع لها تاريخ / عباس الطرابيلي / الهيئة المصرية العامة للكتاب / القاهرة / 1997.

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع / شمس الدين أبو الخير محمد السخاوي / دار الجيل بيروت / 1422 / 1992.

- الفتوة والشباب / محمد البايك / مطبوعات المجلس العلمي المحلي لمراكش رقم 13 / مطبعة ووراقة المطبعة الوطنية / مراكش / د ت.

- القاهرة مدينة الفن والتجارة / ڤاستون فييت / ط مؤسسة أخبار اليوم / القاهرة / 1990.

- القاهرة عمرها ألف عام / السيد كريم / الهيئة المصرية العامة للكتاب / القاهرة / 1999.

- القاهرة وحنين إلى الماضي / مجلة الهلال / يونيو 2005.

- القاهرة من قمة المقطم / مجلة الهلال / نونبر 2007 / بقلم الدكتور محمد الهادي.

- قصر الشوق / رواية نجيب محفوظ / دار الشروق 2006.

- السكرية / رواية نجيب محفوظ / مكتبة مصر / القاهرة.

- سوق السلاح / شريط سينمائي عن الدرب الأحمر / بطولة حسن يوسف وفريد شوقي / القاهرة / 1960.

- شارع عماد الدين / ألفريد فرج / كتاب الهلال / 2005.

- كنوز الفراعنة / سلسلة الألف كتاب الثاني / ع 196 / سنة 1995.

- متاحف قصر عابدين / إشراف جاب الله علي جاب الله / وزارة الثقافة / المجلس الأعلى للآثار / ط 2 / 1997.

- المجلة العربية / الرياض / المملكة العربية السعودية / مقالة عبد الفتاح شهيد / عدد خاص بالحرمين الشريفين.

- مجلة التاريخ العربي / رحلة الغيغائي الحجازية / محمد القاضي / العدد 384 / خريف 2006.

- مذكرات رحالة عن المصريين وعاداتهم وتقاليدهم في الربع الأخير من القرن الثامن عشر / ترجمة وتعليق وتقديم سيد أحمد علي الناصري / المشروع القومي للترجمة / المجلس الأعلى للثقافة / 1997.

- المغاربة ودورهم الثقافي في مصر / سامية مصطفى سعيد / لجنة الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية / القاهرة / 2002.

- المغرب في حلى المغرب / أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد / تحقيق شوقي ضيف / دار المعارف / سلسلة ذخائر العرب 10 / القاهرة.

- مصر في القرآن والسنة / أحمد عبد الحميد يوسف / دار الشروق / 1981 / 1999.

- المقفى الكبير / تقي الدين المقريزي / دار الغرب الاسلامي / تحقيق محمد اليعلاوي / ط أولى / 1991.

- ملامح القاهرة في ألف سنة / جمال الغيطامي / كتاب الهلال / العدد 393 / 1982.

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار / تقي الدين أحمد بن علي المقريزي / ط أولى / 1418.

- النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة / ابن ثغري بردي / دار الكتب العلمية / بيروت / د ت.

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب / احمد بن محمد المقري / تحقيق احسان عباس / دار الفكر / بيروت / د ت.

- النيل في الأدب الشعبي / دكتورة نعمات أحمد فؤاد / سلسلة المكتبة الثقافية رقم 292 / سنة 1973 / القاهرة.

- وصف افريقيا / تحقيق محمد الأخضر ومحمد حجي / ط دار الغرب الاسلامي / بيروت / لبنان / ونشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب أيضا بترجمة عبد الرحمان حميدة.

- وصف مصر / علماء الحملة الفرنسية / ترجمة منى زهير الشايب / مهرجان القراءة للجميع / مكتبة الأسرة / 2002 / موسوعة في عشرين جزءا.

ملحق خاص بالصور والشارات

وبطاقات في طريق الرحلة ووثائق

محمد البايك - عبد الكريم تارفي

محمد البايك

مع أشهر كاتبا مكتبة متخصصة في مطبوعات المجلس الأعلى والهيئة العامة للنشر بمصر ومكتبة الأسرة والمواهب بمعرض القاهرة الأصيل الدكتور عبد الصمد بلكبير

مع أحد أساتذة التعليم بمراكش وجمعية متقاعدي التعليم في فندق حور محب بالقاهرة

Bank | Level | Qty | From Chq No. | To Chq No.

المملكة المغربية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
البعثة المغربية للحج
1412هـ-1992م
الاسم: محمد بن عبد الله البايك
المهمة: عضو البعثة العلمية
رئيس البعثة المغربية للحج
د. محمد منصور
رقم الجواز: F 008507

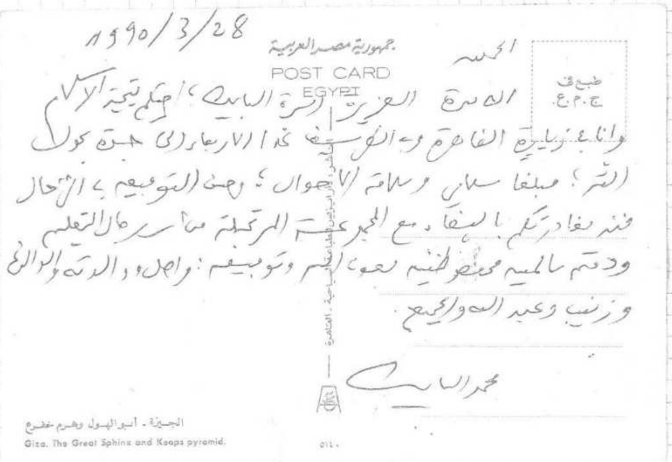
1990/3/28م

جمهورية مصر العربية
POST CARD
EGYPT

طبع في ج.م.ع

الحمد لله

الإخوة الأعزاء أسرة البايك، أحييكم تحية الإسلام
وأنا في زيارة القاهرة والأقصر هذا الأربعاء إلى حين عودتي
إن شاء الله؛ مبلغا سلامي وسلامة الأحوال، وحسن التوفيق في الأحوال
فقد غادرتكم بالشفاء مع المجموعة المرتحلة من أسرة التعليم
ودمتم سالمين محفوظين بعون الله وتوفيقه: واصل والدته والوالدة
وزينب وعبد الله والجميع.

محمد البايك

الجيزة - أبو الهول وهرم خوفو
Giza. The Great Sphinx and Keops pyramid.

أوراق على الطريق

SPHINX HOSPITAL

مستشفى سفنكس التخصصى

عيادة خارجية

R/ Pepzole 20mg T

R/ Synchroject T

R/ Maalox plus syrup

٣ ش الزهور من أبو الهول السياحى - الهرم ت : ٣٣٨٤٩٤١٦ - ٠١٩٦٦١٩٢٦٤

الإستشارة خلال أسبوع (خدمة ٢٤ ساعة)

'ABDINE PALACE MUSEUMS

10 .L.E

رقم ٠٢٨٩٩٣

دكتور

مصطفى محمد الشكعة

عميد كلية الآداب - جامعة عين شمس

وعضو مجمع البحوث الاسلامية

منزل 4535555

الاسكندرية
وأوراق
على الطريق

بنك الإسكندرية

BANK OF ALEXANDRIA

رقم ٨٠٠٨٣٠

Branch .... فرع

Date .... التاريخ

أستبدال عملة أجنبية بعملة مصرية

Received .... أستبدل السيد/

L.E .... جنيه مصرى

جواز سفر رقم .... صادر من .... بتاريخ ....

قرش P.T	جنيه مصرى L.E	العملة الاجنبية المستبدلة	سعر الاستبدال

CUSTOMER'S COPY
صورة أولى

.... تفقيط المبلغ

Amount in words ....

Address .... العنــوان

ب أ/ ٥٣

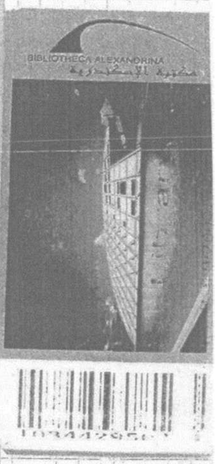

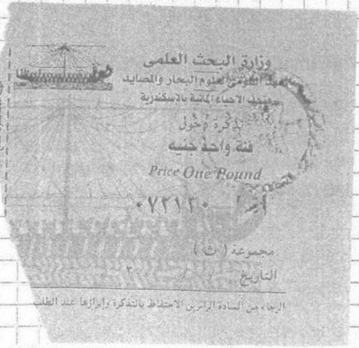

A. R. E. ‏جمهورية مصر العربية

Ministry of Finance ‏نمرة ٠٧٤٧٧٩ ‏وزارة المالية

USTOMS ADMINISTRATION ‏مصلحة الجمارك

‏اقـرار نقـدى

Currency Declaration

Name .... ‏الاسم : البايك محمد

Passport (No. and date) .... ‏رقم جواز السفر وتاريخه : F 008507 ‏1996/5/1 ‏مارس

Nationality .... ‏الجنسية :

Date of arrival ... 1999/3/25 : ‏تاريخ الوصول Port of arrival .... ‏ميناء الوصول : القاهرة

‏أوراق النقـد والحوالات والشيكات والمشغولات الذهبية والاشيـاء ذات القيمـة

Banknotes or currency, Draft, and / or Traveller Cheques held, golden things and articles of value

‏(500) دولار سوري
‏(8600) درهم مغربي

‏ملحـوظة : أ ــ يحرر هذا الاقـرار من نسختين فى الاحوال التالية :
‏١) عند الرغبة فى الخروج بكل أو جزء من النقد الاجنبى المثبت .
‏٢) عند الرغبة فى ايداع النقد الاجنبى فى حسابات حرة باسم صاحب الاقرار فقط ، بالنقد الاجنبى أو بالجنيه المصرى .
‏٣) هذا الاقرار شخصى وغير قابل للتنازل عنه للغيـر .
‏ب ــ يحتفظ القـادم بنسخـة من هذا الاقـرار ، وتحتفظ الجمـرك بالنسخـة الاخرى .
‏ج ــ صلاحية الاقـرار من تاريخ الوصـول الى تاريخ اول مغادرة للبـلاد .

IMPORTANT NOTICE

1. Passengers are allowed not to declare the currency they carry so long as they are not going to accompany it on departure.
2. Passengers who are going to use this currency either totally or partially to open free bank account of their own in foreign or local currency would kindly declare this currency or other means of payment in the currency declaration.
3. This declaration is personal, not to be abandoned for the others.
4. Validity, from the date of arrival, till the date of first departure.

‏يعتمد ، ، ، مدير الجمرك أو نائبه	‏توقيع مأمور الجمرك Sign. of Customs officer	‏خاتم مصلحة الجمارك Stamp of Customs Administration	‏توقيع القادم Signature of Declarant
	٢١٢٥		

‏القريـة الفرعونيـة
‏٣ ش البحر الأعظم
‏ت ٥٧١٨٦٧٥
‏٥٧١٨٦٧٦

‏رقم ٠٤١٢٠

‏الصنف	‏سعر الوحدة ‏جنيه	‏قرش	‏العدد	‏الاجمالى ‏جنيه	‏قرش
‏كركدية	٥			٥	

‏محل ....
‏التوقيع .... ‏التاريخ ....

خم من
وزارة التربية الوطنية
جمعية الاعمال الاجتماعية
لموظفي وزارة التربية الوطنية
لعين الشق الحي الحسني
* الدار البيضاء *

رقم المشارك (ة)	74

*** بطاقة التسجيل في رحلة العمرة عبر القاهرة ***

توصل السيد : ......الشيخ محمد العابدي..........
من المشارك (ة) : ..المبارك محمد.........رقم التأجير : 467973
الحالة العائلية : ...متزوج....مقر العمل : ...كلية العلوم بن امسيك
النيابة : ....بن امسيك.........العنوان : ..المجموعة 62 رقم 2 الحي المحمدي الحديث

بما قدره : 7520,00 درهما (التنقل والاقامة والتنقل)
3500,00 (الصرف)
100,00 واجب الانخراط لغير رجال التعليم

المجموع : 9820,00

كما تسلم :

جواز السفر للمعني (ة) بالامر رقم : ....F00 8507....

الدار البيضاء في : 90/3/19

الاسم والطابع والتوقيع

اول رحلة عبر القاهرة
1990

جمعية الاعمال الاجتماعية
وزارة التربية الوطنية
بالمملكة المغربية (الدار البيضاء)
العمرة عبر القاهرة 1990
رقم العضو 74

1990

IGH
فندق الجلاء
أول طريق المطار مصر الجديدة القاهرة
ت : ٦٦٣٦٢٥ – ٦٧٩١٧٤
ت : ٦٦٣١٤٥ – ٦٧٩١٨١

El Galaa Hotel
First of the airport road Heliopolis Cairo
Tel. : 679174 - 663625
Tel. : 679181 - 663145

بوابة المتولي
وشارع الدرب
الأحمر

مفاجأة أبو خشبة الكبرى

لتحطيم الأسعار الجودة تراثنا

عرض خاص على كل ١٠ وجبات وجبة هدية من نفس النوع
وعرض خاص يومى الخميس والاحد من كل أسبوع
على كل كيلو كبدة ربع سمك هدية
وكل كيلو سمك ربع كبدة هدية
وكل كيلو جمبرى من أى نوع ٣ أرز هدية
وكل كيلو سبيط ٣ أرز هدية

كبدة ومخ	السعر	جمبرى	السعر	اسماك	السعر
كيلو كبدة	٢٨	كيلو جمبرى جامبو	٨٥	كيلو فلية	٣٠
كيلو مخ	٥٨	كيلو جمبرى سويسى كبير	٨٠	كيلو سبيط	٤٠
كيلو مشكل (كبدة ومخ)	٣٨	كيلو جمبرى سويسى وسط	٥٨	رغيف فلية + سلطة	٤,٥٠
رغيف كبدة + سلطة	٢,٥٠	كيلو جمبرى	٤٨	رغيف سبيط + سلطة	٥
رغيف مخ + سلطة	٥	رغيف جمبرى جامبو + سلطة	١٠	سندوتش فلية	٢,٥٠
رغيف مشكل + سلطة	٤	رغيف جمبرى سويسى + سلطة	٨	سندوتش سبيط	٣
سندوتش كبدة	١,٥٠	رغيف جمبرى	٤	أرز بالجمبرى	٤
سندوتش مخ	٣	سندوتش جمبرى كبير	٤	أرز سادة	١,٥٠
سندوتش مشكل	٢,٥٠	أى نوع سلطة صغيرة ٥٠ قرش أى نوع سلطة كبير ٧٥ قرش		لدينا صالة للعائلات اعلى المحل موعيد العمل من الساعة ١ ظهرا حتى الساعة ٤ صباحا	

شرفونا فرضاكم مسئوليتنا ونعدكم بتقديم الافضل
خدمة التوصيل للمنازل مجاناً على الارقام التالية :-
ت : ٢٥١٢١٣١٨ - ٠١٢٦٨٩٨١٩٠

بوابة المتولى شارع الدرب الاحمر ١ و ٢ بجوار مسجد ابو حريبه

بطاقة مغادرة للعمرة
UMRAH DEPARTURE CARD

Entry No. رقم الدخول
Carrier .... الناقلة
Flt. No. .... رقم الرحلة أو السيارة
Going to .... جهة المغادرة
Full Name .... الاسم الكامل
Nationality .... الجنسية
Sex .... الجنس
Passport No. .... رقم جواز السفر
No. Of Dependants .... عدد المرافقين
Male ذكور
Female اناث

مصرف الجمهورية

فـــرع :

عملة أجنبية مشتراة № 0011236

الاسـم واللقب :

الجنسيـة : رقم الجواز :

العنـوان :

نوع العملة الاجنبية	المبلـغ	السعر	المعادل بالدينار الليبي
استرلينـي			
دولار	[illegible]	[illegible]	[illegible]
مـارك المانـي			
فرنـك فرنسـي			
لـيرة ايطالية			
فرنك سويسري			
الفلورن الهولندي			
الكرونر السويدي			

توقيع مقدم الطلب [illegible] — توقيع رئيس القسم

نموذج رقم 17 – 2001

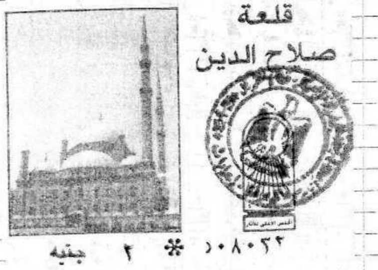

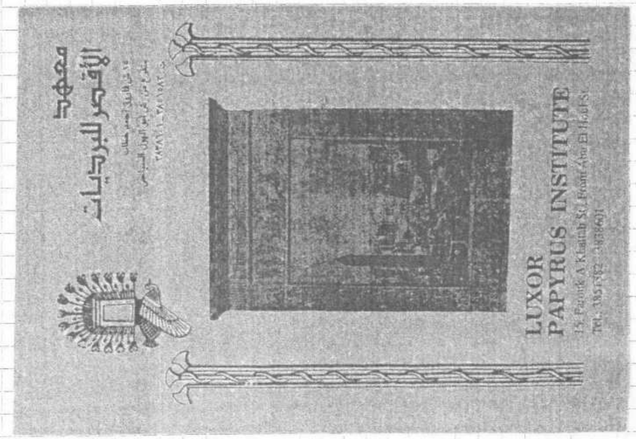

مصر القاهرة ١٩٩٦

Location

The **cairotel** is Located in Cairo's Fashionable suberb of Maadi (close to the Nile River) Where A large community of Americans and Europeans live. the hotel is about 15 Minutes drive From down town Cairo and 1/2 hour drive from cairo International Airport.

for reservation and further information.
Maadi hotel & **Cairotel**, reservation center.
C /◦O Maadi Hotel, Maadi Entrance
Cairo - Egypt 11431
P. O. Box: 196 Maadi,
Tel : 3506787 - 3505050
Telex : 92985 Mdhtl Un - 23163 Cityc Un
Telefax : 3506787 - 3518710

كايروتيل
cairotel

فندق حورمحب

الحائز على الجائزة الدولية
عام ١٩٩٨ للجدارة والجودة
Holding International Award
Year 1998 - For Quality

٤٢٩ شارع الأهرام - الجيزة أمام مبنى محافظة الجيزة
الرقم البريدى : ١٢١١١ فاكس : ٥٨٤١٢١٨
تليفون : ٥٨٣٢١٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٤

أوراق على الطريق

بنك الإسكندرية ٨/١ رقم ٤٥٨٧٢٩

BANK OF ALEXANDRIA

Branch .... فرع :

Date .... تاريخ :

أستبدال عملة أجنبية بعملة مصرية

Exchanged .... استبدل للسيد :

L. E. .... جنيه مصرى :

.... صادر من .... بتاريخ .... جواز سفر رقم :

سعر الاستبدال	العملة الأجنبية المستبدلة	جنيه مصرى L. E.	قرش P.T.
٩٫٤	S.R ١٠		
	فقط ... ريال سعودى		

تفقيط المبلغ ....

Amount in Words ....

Address .... العنوان :

ب. ١/ ٥٣

CUSTOMER'S COPY

صورة أولى

المركز الرئيسى : ص. ت. الأسكندرية ٥١٨٢٦ - القاهرة ٢٠٠٩٠

DO NOT MARK OR WRITE IN THE WHITE AREA ABOVE

0 077 4429621229 5 0

PASSENGER TICKET AND BAGGAGE CHECK

PASSENGER COUPON

NOT GOOD FOR PASSAGE

CAIRO

CASABLANCA

VOID

EGYPTAIR

((التأمين التكافلي الإسلامي واقع وآفاق))

رسالة لنيل درجة الدكتوراه في إدارة الاعمال

محمد بن أحمد جماعي

لجنة المناقشة

...جنة المناقشة	نائب رئيس لجنة المناقشة	الممتحن الخارجي
...عادل منير	**أ.د / خيري عبد القادر**	**أ.د / صلاح الدين فهمي**
...ة ادارة الاعمال	أستاذ التأمين بجامعة القاهرة	أستاذ الاقتصاد بجامعة الأز...
...ئيساً)	(مشرف البحث)	

عضوة	عضوة
...دة / أماني توفيق	**أ. دة / كوثر الأبجي**
...التأمين بجامعة المنصورة	أستاذة التأمين بجامعة القاهرة

سنة 1439 هجرية – 2018 ميلادية

الصديق الملازم
لأنشطة المجلس
العلمي العالي الدكتور
محمد الجماعي يتخرج
من جامعة القاهرة
لهذه السنة وهو يقف
امام كلية التجارة بالقاهرة

عبد الكريم تارفي

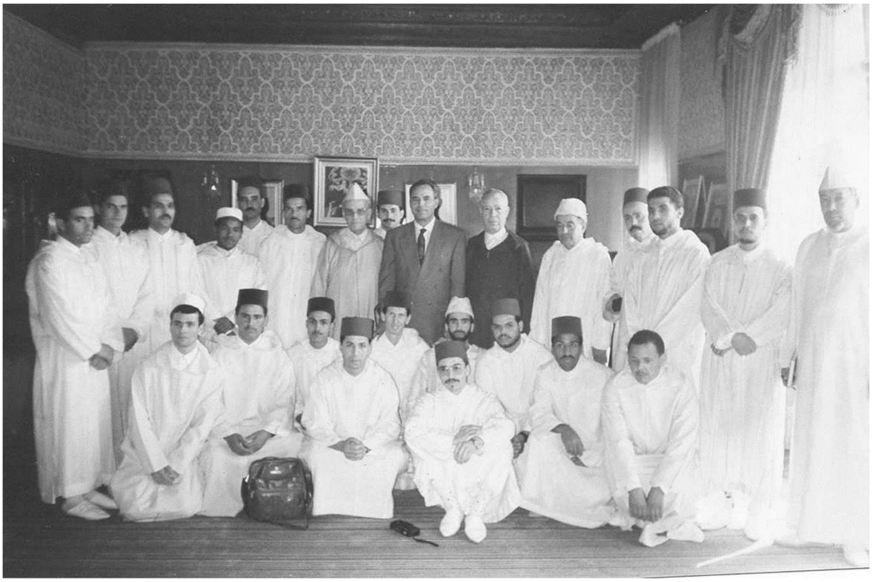

صورة جمعت الوفد الذي سيتجه إلى مصر رفقة السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري تغمده الله بواسع رحمته

صورة مع الدكتور نصر محمد واصل مفتي مصر ووكيل السيد وزير الأوقاف المصري

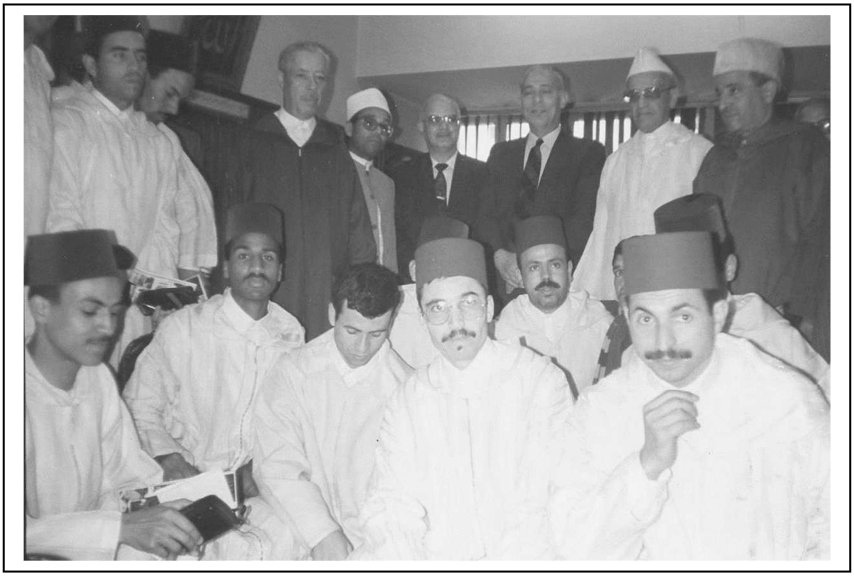

صورة جماعية رفقة الأساتذة المرافقين ووزير الأوقاف المصري

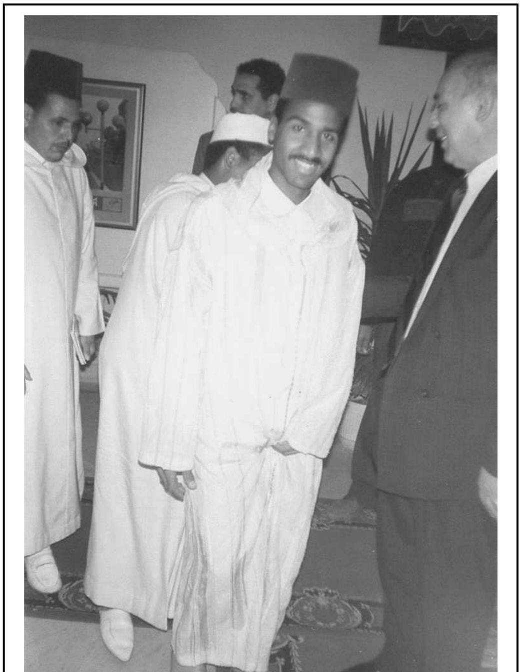

صورة مع الدكتور محمد زقزوق وهو يودعنا

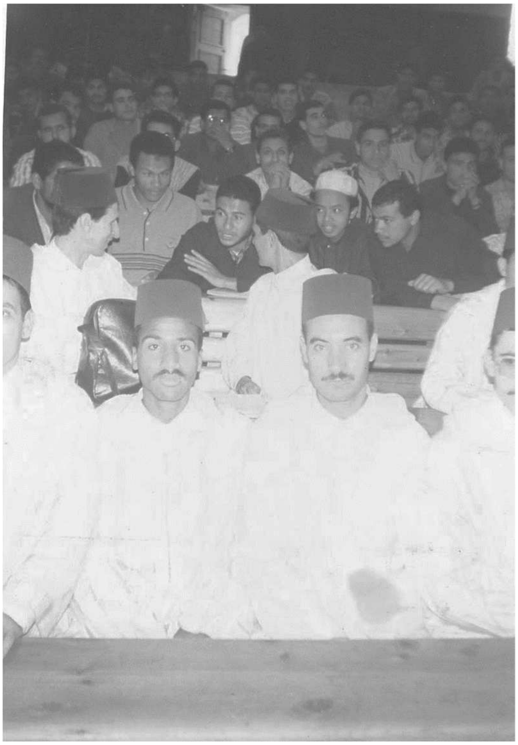

مع طلبة كلية أصول الدين بطنطا

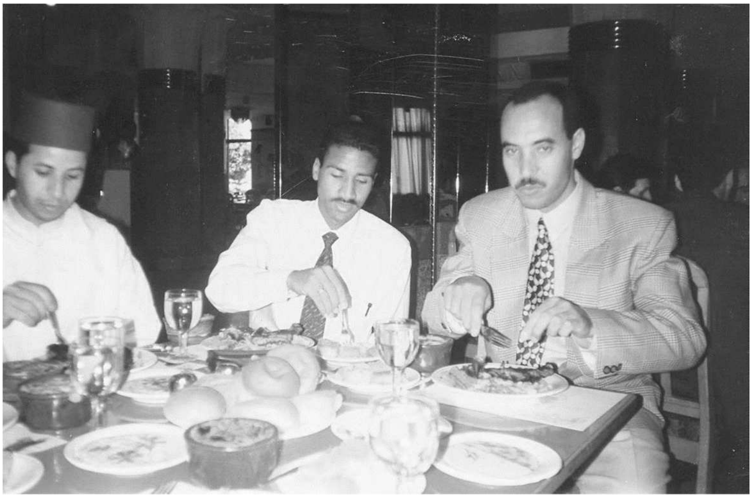

صورة بمطعم فندق عرفة

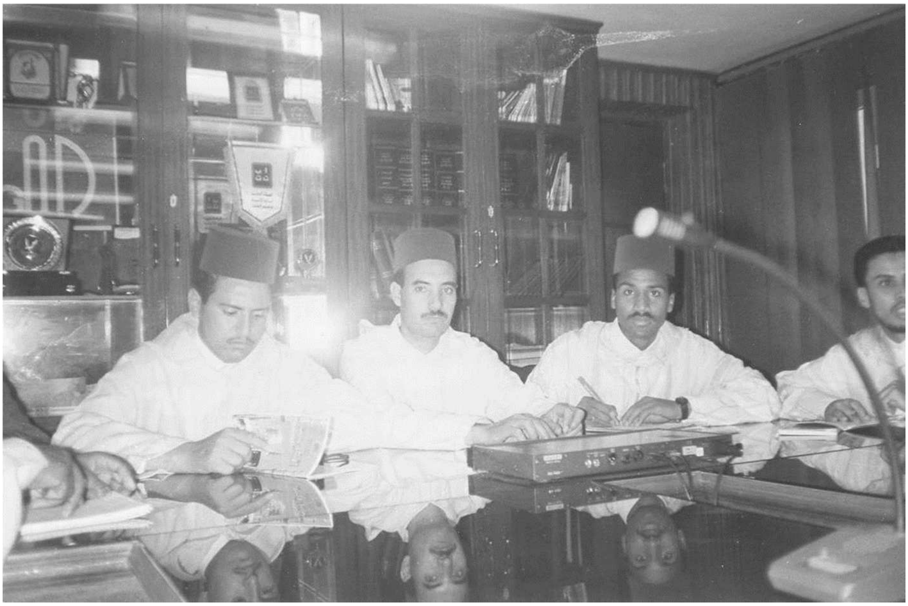

في مكتب السيد محافظ مدينة طانطا

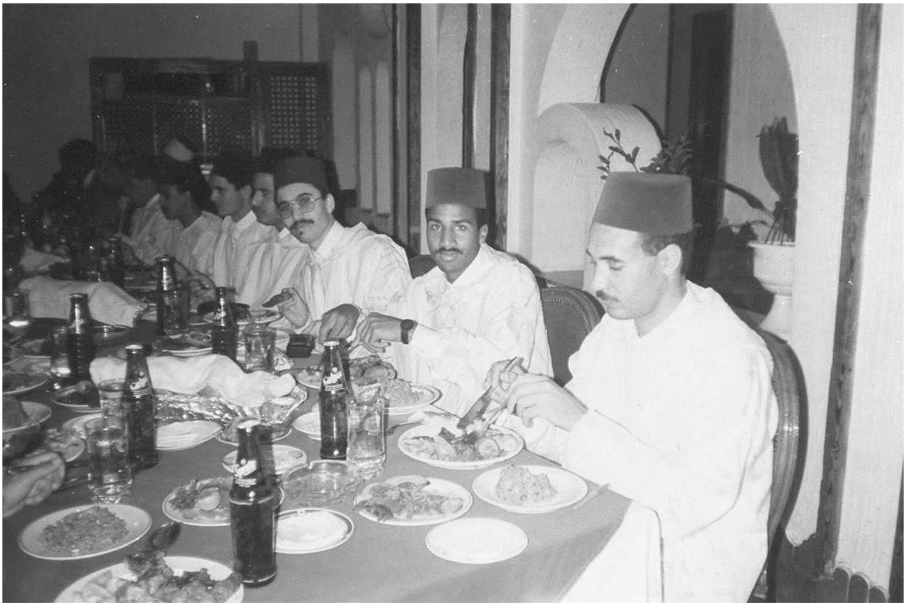

صورة بمطعم أبي شقرة

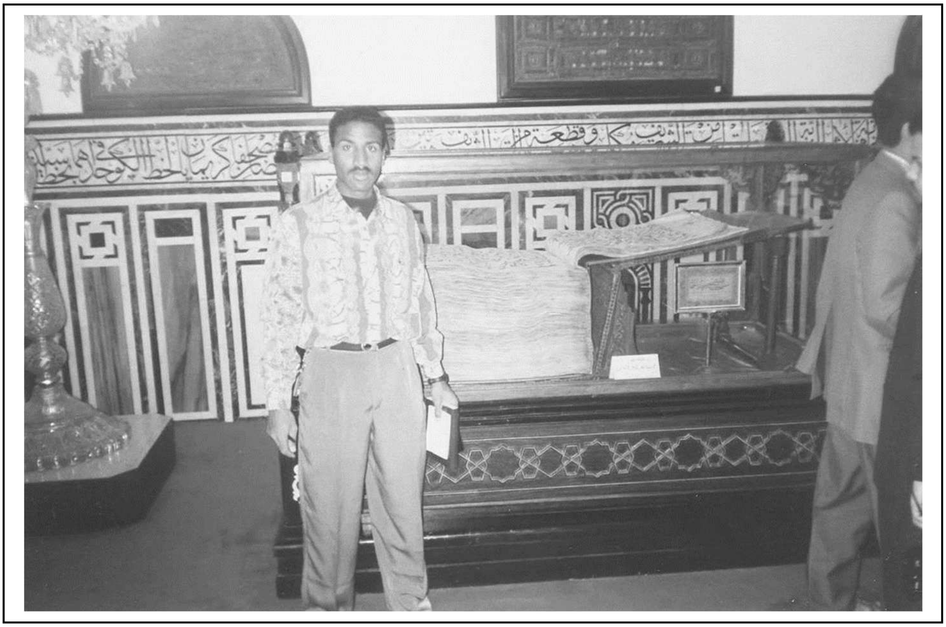

صورة للمصحف العثماني الموجود بمسجد السيد الحسين

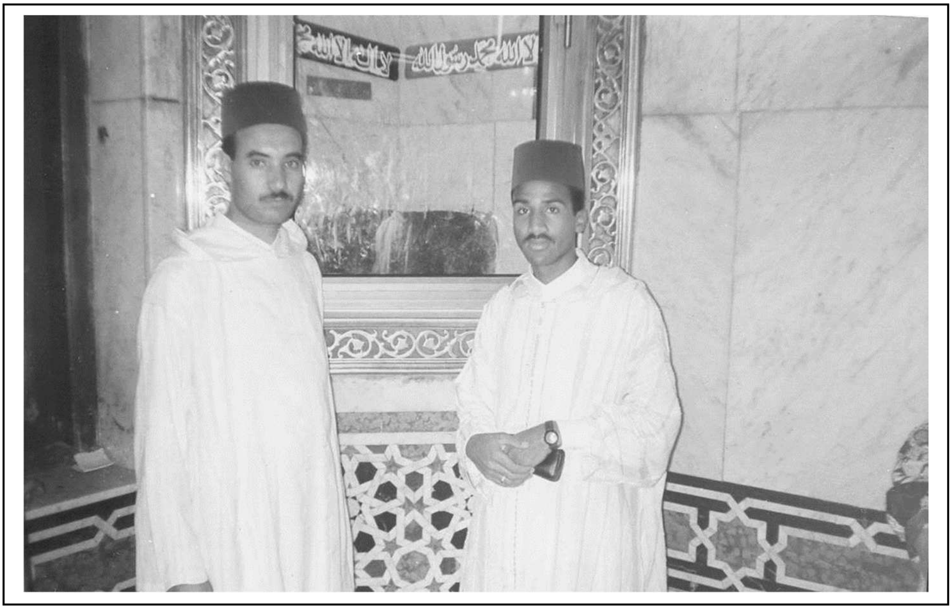

صورة لحجر يقال إن فيه آثار أقدام رسول الله صلى الله عليه وسلم

صورة بمسجد الشيخ كشك الذي رجع إلى اسمه الأصلي (مسجد ماء الحياة)

حافظة مفضضة فيها شعيرات للنبي صلى الله عليه وسلم

سيف النبي صلى الله عليه وسلم (العضب)

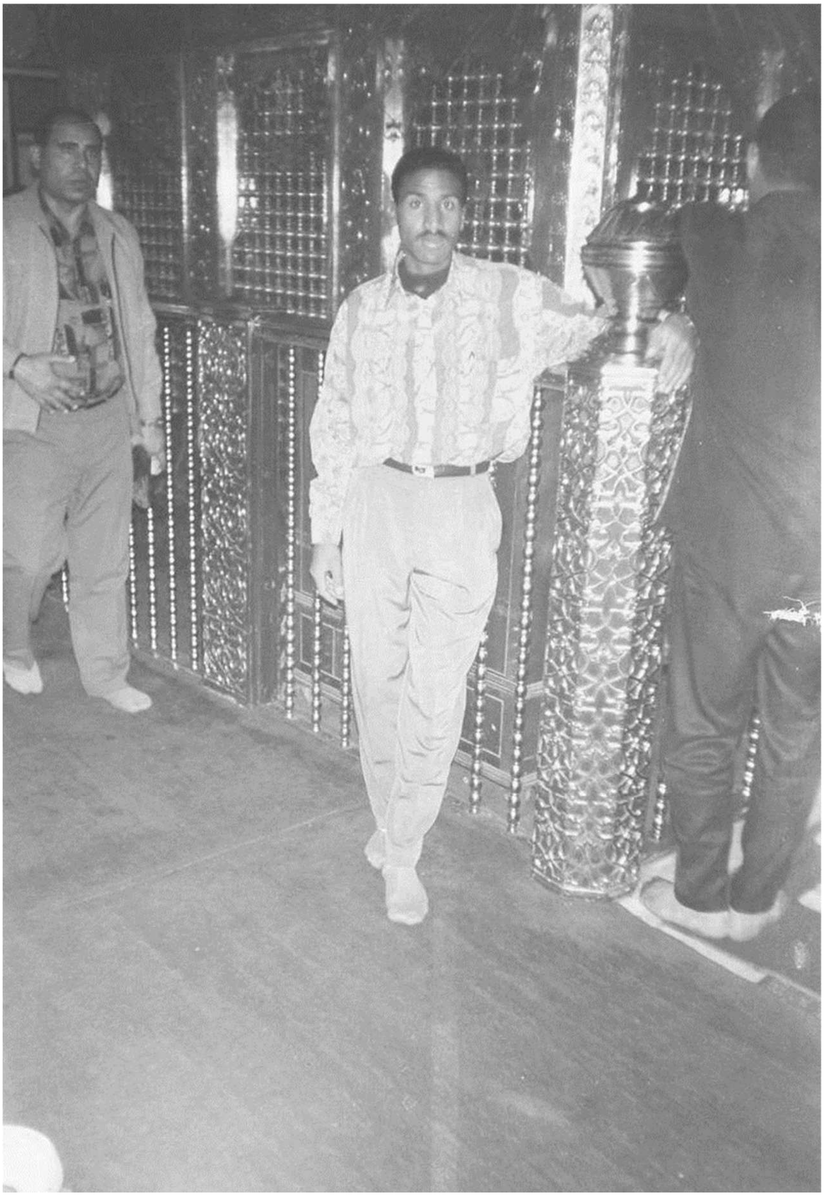

أمام قبر الحسين بن علي رضي الله عنهم أجمعين

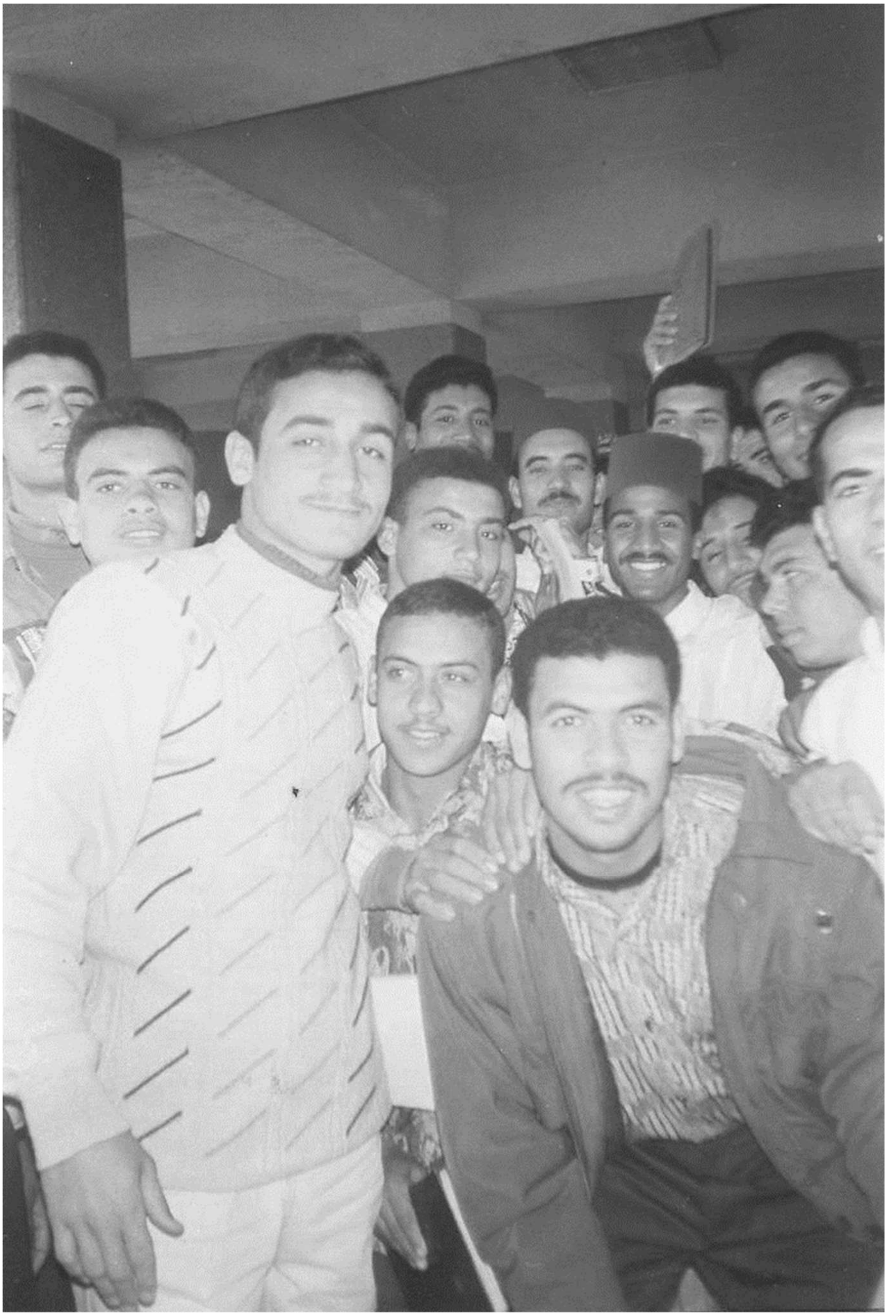

مع طلبة كلية أصول الدين بطانطا

بسم الله الرحمن الرحيم

"ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"

الدعوة والدعاة

صوت الصحوة
ولسان الدعاة
والدعوة

غايتنا الله ورسوله ... طريقنا ... كتاب وسنة وإجماع أمة

مجلة إسلامية شاملة - العدد الأول سنة ١٤١١ هـ

نفحات إيمانية
فيها نور وهداية
من خطاب القائد

هدية الزعيم المسلم
للدعاة في يومهم
لها معناها ومغزاها

٤ مفاجآت
لداعي الدعاة
في يوم الدعاة

الغزالي
والمرأة المسلمة و
حقوقها في المجتمع

أهلاً ومرحباً
بكن على طريق
الحق والدعوة

ورجاء منها إلى وزيري الإعلام ...
والأوقاف ص ٢٩

الأخت كاملة العربي

صورة لغلاف المجلة التي أهديت لنا من طرف معهد العلوم الدينية والعقيدة الإسلامية

صورة لعلبة الحلوى المهداة إلينا من مطعم الفندق

الأحمدي لكدع

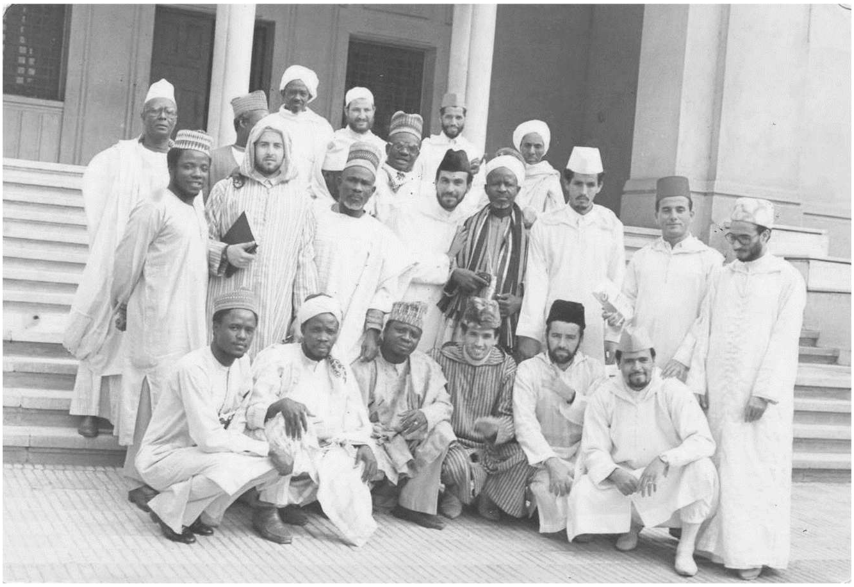

قبيل افتتاح الدورة التدريبية الرابعة لأئمة ووعاظ العالم الإسلامي

الأحد 30 نونبر 1986 - القاهرة

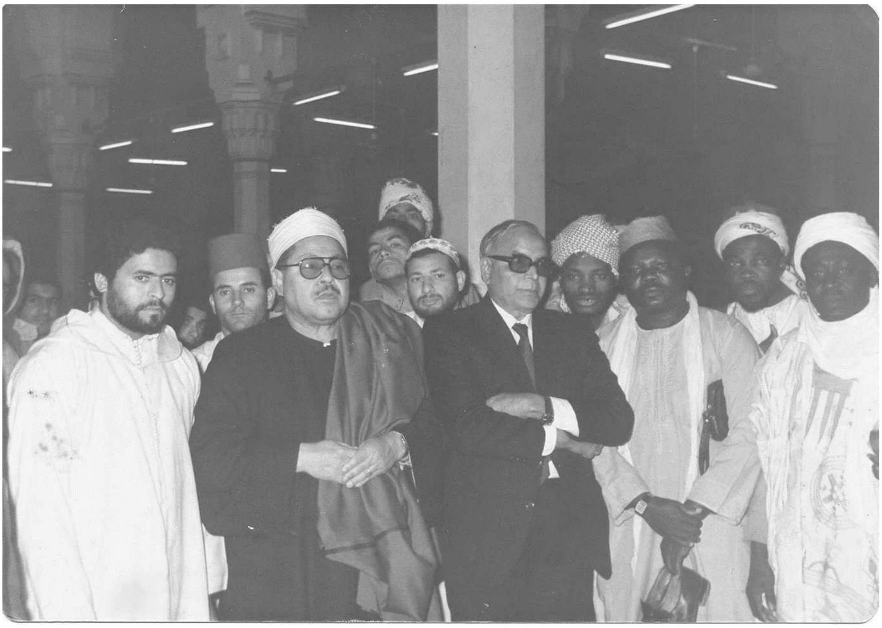

صورة تذكارية بمدينة طنطا رفقة المحافظ العام لمحافظة طنطا وأمين عام الدعوة

الإسلامية الدكتور عبد الودود شلبي

صورة تذكارية مع بعض الوفود الحاضرة في الدورة التدريبية لمدينة البعثة الإسلامية بالقاهرة ويظهر عن يميني الأستاذ فتحي محمود يوسف المشرف على الدورة

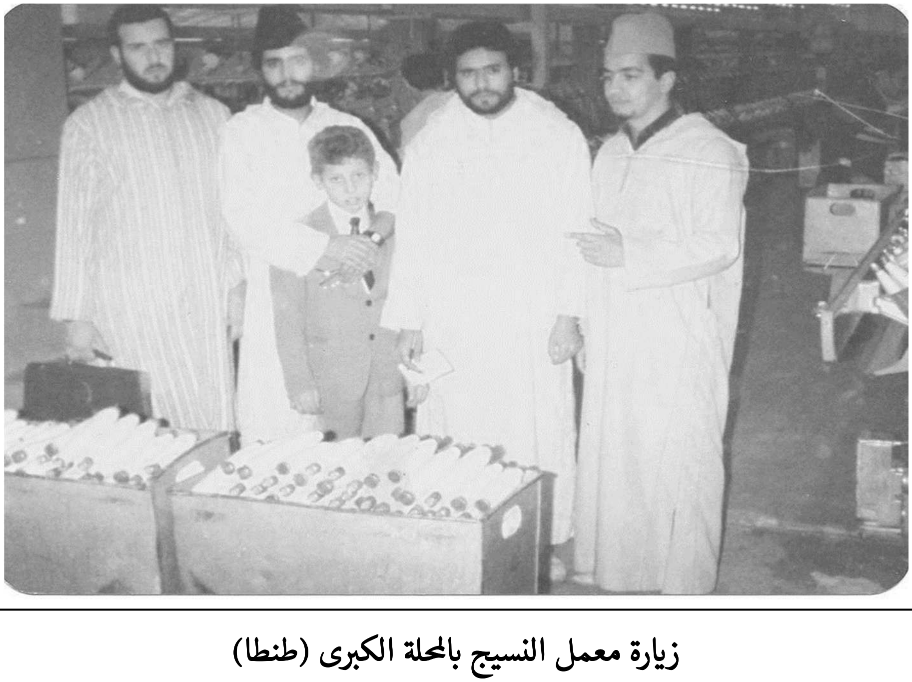

زيارة معمل النسيج بالمحلة الكبرى (طنطا)

افتتاح الدورة التدريبية الرابعة لأئمة ووعاظ العالم الإسلامي تحت إشراف شيخ الأزهر الأستاذ جاد الحق علي جاد الحق

الأحد 30 نونبر 1986 -بمدينة البعوث الإسلامية بمصر

فهرس

محتويات الرحلة

الفهرس المفصل لمحتويات الكتاب

ديباجة 5

تمهيد تاريخي 7

الجولة الأولى بالإسكندرية (حي الجمرك والمنارة والمرسي أبو العباس) 11

- مداخل الإسكندرية آية في العظمة والجلال 17

- حيطان الإسكندرية شديدة البياض 18

- الطوابق السفلية مبنية كالطوابق العلوية 19

- منار الإسكندرية في أعين المغاربة 21

- من وظائف منار الإسكندرية 23

الجولة الثانية بالإسكندرية (الكورنيش والشاطئ الإسكندري الطويل) 25

- الشاطئ الشرقي للإسكندرية يصلها بفرع النيل عند رشيد شريانا مائيا
عذبا وممدا لها بالحياة 29

- سلسلة الشواطئ المتجهة غربا إلى العلمين 30

- امتدادات صحراوية نحو الجنوب في الطريق الصحراوي إلى القاهرة 32

الجولة الثالثة بالإسكندرية (زيارة خاصة للأعلام المغاربة ولمشاهدهم) 33

- أبو العباس المرسي ومعاناته الأسفار وحزب البر وحزب البحر 37
- كوكبة من علماء الغرب الإسلامي تختار ثغر الإسكندرية رباطا ومثابة قريبة من المغرب والمشرق.................................... 40
- إعجاب الرحالة المغاربة العابرين 40
الجولة الرابعة التمهيدية: ما بين الإسكندرية والقاهرة (من الإسكندرية إلى القاهرة عبر النيل والقرى والكفور والمدن خلال الدلتا) 43
- خالد البلوي بالبسيط المخضوضر والمشجر بالنخيل وأنواع الأزهار والألوان وقت الربيع... 49
- الطريق الصحراوي إلى القاهرة شريان ثالث سريع وجادة مأمونة 50
- ابن خلدون في صورة شاملة كأنها لوحة مركبة صورة أخرى مقربة 50
- عيسى البلوي يرسم لوحة عن محيط القاهرة النباتي والمائي بالألوان والحركة والضوء.. 51
الجولة الأولى بالقاهرة (الفسطاط أقدم منطقة في محيط القاهرة وأصل القاهرة الإسلامية) الفسطاط صورة حية للتعايش بين الديانات السماوية الثلاث والفسطاط مدينة تتنفس برئتين: جامع عمرو ومقام السيدة نفيسة زين العابدين........................... 53
- الفسطاط بين الجد المبالغ واللهو البرئي والنكتة الشعبية الطابع........................ 62
- الفسطاط بين رحابة الأسواق والمساجد وضيق الأزقة وامتلاء الدور بالساكنة... 63

- اللطف ورحابة الصدر والسماحة مخففات الضغط التساكني بين أهل الفسطاط 64

- الفسطاط مثابة الطبقات الشعبية والزائغين عن ضوابط الأنظمة الحاكمة 65

- بحارة مغاربة بالفسطاط 65

- أطعمة مغربية.. 66

الجولة الثانية بالقاهرة (بالقرافة) 67

- القرافة مدينة المقدسات والمقامات والفقراء والقراء والزوار عبر العصور وتربة الإمام الشافعي أبهى مباني القرافة 70

- أشهر مالكية مصر بالقرافة في عين ابن بطوطة 74

- العبدري يتحسر على إهمال أجداث العلماء المالكية بالقرافة 74

- مدينة الخانقاهات والربط والمدارس والقباب 75

- القرافة متنفس أهل القاهرة ليلة الخميس وصبيحة الجمعة ومتنزه ومرحمة للسلف.. 76

- **سلسلة الجبانات في العمارة الإسلامية (قرافة القاهرة)** من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر المملوكي وبعض أشهر من دفن فيها من العلماء والصحابة والمتصوفة والفقهاء عبر العصور.. 77

- مواقع للبحث والتوقف والزيارة (في القرافة) 79

الجولة الثالثة: بالقطائع (من السيدة زينب إلى جامع ابن طولون وصورة مصغرة عن بغداد الزوراء) ابن جبير بجامع ابن طولون وتحوله إلى مأوى للمغاربة المتعبدين والمنقطعين بعد الفسطاط جاذبية ربض ابن طولون للمغاربة عند الحسن الوزان 81
- تفضيل عامة المغاربة وعمالهم وحجاجهم ربض ابن طولون على القاهرة المعزية 87
- من جواذب ربض ابن طولون للطبقات الشعبية عامة وللمغاربة منهم خاصة وسلسلة من المؤسسات العلمية والدينية والخيرية عبر العصور المملوكية 88
- ابن بطوطة يعجب بمؤسسة خيرية ودينية بربض ابن طولون ويصف دقة التنظيم والتيسير والعيش الكريم بها 93
الجولة الرابعة بالقاهرة (من باب زويلة إلى باب العزب عند القلعة وهو مسكن النخبة بعد نشأة القاهرة المعزية) الوزان يصف ربض باب زويلة مدرسة السلطان حسن إحدى أهرام مصر الإسلامية 97
- أسواق القاهرة تمتد إلى باب زويلة من أثر الاكتظاظ والزحام 101
- سلسلة من الجوامع ذات المرافق التعليمية 102
- داخل القلعة ومحتوياتها: (ابن جبير يشاهد قيام صلاح الدين الأيوبي بتشييد القلعة بالخبرة المحلية والأجنبية الفنية بعبقريته المتفتحة على الغرب والشرق معا) 104

- ابن بطوطة يشهد لأحد حكام القلعة بإكرام المغاربة الحجاج ويصف المحمل الحجازي المنطلق من القلعة 105

- ابن خلدون يضع خبرته القضائية والسياسية والعلمية في خدمة مصر المدافعة عن الثغور ضد القوتين العظميين آنذلك 106

- الوزان يلج إلى القلعة كاشفا تفاصيل عنها وعن أقسامها الإدارية والسكنية والعسكرية 107

- الوزان ينقل الخبرة الإدارية والمصطلحات الجديدة إلى حضرة البابا بروما إعجابا واستفادة وإفادة 111

- حكام القلعة المماليك يقربون الصلحاء وأهل الفضل من المغاربة إعجابا فينتشر فضلهم في مصر كلها 112

- القلعة إلى اليوم متحف تاريخي ومجمع إداري وحضاري تتجدد مرافقه كل يوم وتستقبل الملايين من الزوار كل سنة 113

- تفاصيل عن محتويات القلعة 115

- ابن بطوطة وحرافيش مصر عند القلعة 118

الجولة الخامسة بالقاهرة: (نظرة إجمالية على قاهرة المعز وشارعها الرئيسي الممتد من باب الفتوح إلى باب زويلة) 121

- قاهرة الفاطميين تنافس الفسطاط والقطائع وباب زويلة وتتفوق عليها وهي ذات أسوار وأبواب وقصور وأسواق ومطاعم وبروتكول جديد 124

- انبهار الرحالة المغاربة بمنظومة البناء المتكاملة المرافق في قاهرة المعز 125
- ابن بطوطة يتعجب من تركيبة سكانها الجامعة بين الأضداد 126
- عيسى البلوي يعجب بعمرانها وحسن تكامل مرافقها وخدماتها الأمنية 126
- الرحالة الحسن الوزان يتوغل في أحشاء القاهرة ذات الوفرة في الخدمات والمرافق العامة والأسواق المتخصصة النادرة الشأن 126
- قصور ومساجد ومؤسسات علمية وخيرية وأبواب وميادين بريشة الحسن الوزان 127
- إحكام الفاطميين للأبواب والأسوار احتياط أمني من الأعداء العباسيين المنافسين ومن بعض المذاهب الأخرى.................................... 127
- بين القصرين سرة القاهرة المعزية ومهوى الأفئدة والبطون الجائعة والعطشى 128
- أسواق متخصصة في العطور والمجوهرات والمنتوجات الثمينة 129
- خان الخليلي الشبيه بقصر الإمارة في فخامته 129
- إلى الغورية حيث أسواق المنسوجات الغليظة وذات الأحجام ومعها السروج والسيوف الجولة الخامسة بالقاهرة: حول المنشآت الدينية والعلمية التاريخية من الحسين والأزهر إلى باب زويلة (حوالي 28 مؤسسة عامة وخاصة) 130

الجولة السادسة بالقاهرة: حول المنشآت الدينية والعلمية التاريخية من الحسين والأزهر إلى باب زويلة (حوالي 28 مؤسسة عامة وخاصة) 131

- جاذبية الغورية والأزهر والحسين للمغاربة المتعلمين والعلماء والتجار 133

- العياشي الرحالة يتحدث عن الأزهر والغورية 133

- الطلبة المغاربة المجاورون للأزهر عند الحسينية 134

- ابن دحية المغاربي يكرمه الملك العادل بالتدريس لولده ويسكنه قرب قصره 134

- أبو حيان النحوي نابغة عصره بالأزهر 134

- واعظ أمازيغي يسمح له بالوعظ دون سائر علماء القاهرة 135

- نخبة من مفكري الغرب الإسلامي يدرسون العلوم العقلية والنقلية بالأزهر وممن مر في الأزهر من الصوفية المغاربة العلماء 135

- صورة حية عن النشاط المتعدد بالأزهر عند السراج صاحب الرحلة الحجازية الشهيرة 136

- حلقة أبي الحسن على الأجهوري لإقراء رسالة ابن أبي زيد القيرواني بالأزهر 137

- السراج يعجب بمقام الحسين قرب الأزهر 138

- عناية حكام مصر ونظار أوقافها بالأزهر والحسين عبر العصور إلى اليوم 138

- تميز الحسين بخزانة الآثار النبوية النادرة الوجود عند ابن بطوطة وأصل قصة جامعها تاج الدين حناء 139

- **مذكرات أحد الطلاب المغاربة في القرن الماضي عبد الكريم تارفي** يسجل رحلته باليوم والشهر بعنوان (كشف الغطا عن رحلتي من جامع القرويين إلى القاهرة والإسكندرية وطنطا) 143

- توطئة 145

- يوم الخميس 27 مارس 1997 وابتداء الرحلة 146

- يوم الجمعة 28 مارس 1997 وجاء الصباح 148

- السبت 29 مارس 1997عندما وطئت أقدامنا أرض القاهرة 151

- الأحد 30 مارس 1997 - صبيحة المحاضرات – 155

- في داخل قلعة محمد علي 158

- الخروج من القلعة 161

- الاثنين 31 مارس 1997 - يوم في طانطا - 163

- محاضرة كلية أصول الدين 166

- الرجوع إلى القاهرة 173

- الثلاثاء 1 أبريل 1997 صباح الرحلة ويليه دار الإفتاء 174

- في مسجد الحسين 176

- بعض الآثار النفيسة بمسجد الحسين 176
- في خان الخليلي 177
- الأربعاء 2 أبريل 1997 يوم الفسحة خارج القاهرة القديمة عند الأهرام والوصول قبل الموعد إلى الأهرام 181
- الخميس 3 أبريل 1997 - يوم في الإسكندرية - 189
- الجمعة 4 أبريل 1997 - يوم العودة من الإسكندرية إلى القاهرة 194
الجولة السابعة بالقاهرة: (من الأزهر والحسين إلى ما حول الغورية وعجائب شارع المعز وتفرعاته وأبواب القاهرة الفاطمية) 197
- شهرة عائلة الشرايبي بالغورية 199
- مركب تجاري وثقافي وخيري من إنشاء السلطان الغوري 200
- جامع محمد بك أبو الذهب الأصل للأزهر والخادم له 201
- ابن جبير يعجب بيمارستان شارع المعز ورقي خدماته الطبية والإدارية 210
- عيسى البلوي يعجب بخدمات البيمارستان أيضا 210
- الحسن الوزان يتنبه إلى كثرة مداخله المضمونة التمويل ذاتيا 211
- درب المغاربة عند بوابة باب الفتوح لان القاهرة مغربية النشأة والتطور أيوبية الاستكمال والتنظيم 211
- عجائب الآثار بشارع المعز 214

- المماليك البحرية يسهمون بعبقريتهم في تجميل وتنمية القاهرة 217
- الجراكسة يتولون الصقل والصيانة والإضافات 217
- العثمانيون والأسبلة والكتاتيب والصوامع الرشيقة القلمية والحمامات 217
- شارع المعز والنصيب الأوفر من الوكالات التجارية 218
- بقية الأسبلة والحمامات بالقاهرة المعزية.. 218
- مؤسسات متعددة الوظائف جامعة بين الجد والترفيه 219
- منازل النخبة الشبيهة بالقصور الأميرية 220
- القاهرة المعزية وأسواق الحرف والصنائع المتكاملة الجامعة بين حاجيات أهل الريف وأهل القرى والكفور والمدن.. 220
- حرف ومهن في شوارع مدينة القاهرة المحروسة و400 سنة من الاستقرار في شارع المعز الترابي وسيتحول إلى بلاط للمشاة فقط حوالي 40 محلا أشبه بالوكالات ذات الطوابق المسكونة.................................... 222
- ضريح حسن الذوق المغربي الأصل يحمي القاهرة من تطور "الخناقات" إلى معارك ويضرب باسمه المثل فتهدأ النفوس وترتخي القبضات 224
- غلبة روح التفاؤل على أسماء المؤسسات الدينية وروح اللطف والذوق الراقي عند المبدع المصري.. 226
- شارع الموسكي والتجارات المشكلة والزحمة المستمرة 226

الجولة الثامنة بالقاهرة: ربض باب اللوق (الأزبكية وعابدين) وما سمي بـ (وسط البلد) 229

- الوزان يصف باب اللوق وحديقة الازبكية متنفسا أسبوعيا لأهل القاهرة.. 231

- تطور الأزبكية عبر العصور ميدانا وبركة وحدائق ومنشآت 231

- بجنوبي الأزبكية برك مائية تحولت عبر العصور إلى مدينة حديثة وسط البلد 232

- لمسات الخديوي اسماعيل الشجاعة لتحويل الفوضى إلى نظام يشبه مدينة السين نهرا ومؤسسات وشوارع.. 233

- زيارة لمنطقة عابدين وقصرها ومتاحفها ومسجدها وضريحها 233

- شوارع بأسماء أعلام ومشاهير 234

- شوارع أخرى مشهورة جنوبي عابدين وقصة المثل الشعبي "إيش تاخد من تفليسي يا برديسي" 236

- قائمة بتطور العمران بمدينة القاهرة عبر العصور (إلى عصر اسماعيل) 237

- أهم المنشآت السياسية للدولة الحديثة بالقاهرة 240

- مؤسسات فندقية عالمية 240

- ميادين ملتقيات الشوارع الكبرى.. 241

- القهوة والمقاهي بالقاهرة ومنها إلى العالم (بقلم عبد الستار الشهاوي) 242
- أول ظهور لبيوت القهوة كان بمصر في حارة الجامع الأزهر في العشر الأوائل من القرن العاشر الهجري وكانت تشرب في نفس الجامع 242
- متى ظهرت القهوة؟ 243
- متى ظهر المقهى؟ 244
- أول ظهور لبيوت القهوة بالقاهرة 244
- وصف المقهى بمصر 244
- تكاثر المقاهي بمصر الحديثة.. 246
- أدوات المقهى المصرية 246
- المقهى في رمضان بالقاهرة وأبطالها المرحون........................ 248
- مقهى الخان قرب الحسين 250
- جلاس المقهى يتجاوبون مع تسابيح الصوامع في رمضان..................... 251
- من أشهر دور العلم والتاريخ بالقاهرة الحديثة............................ 252
- ومن المدارس 252
- ومن القصور 252
- عناوين دالة على فعاليات ومؤسسات وأعلام وامكنة للذكرى 253
- من حدائق القاهرة الجديدة على قلتها نسبيا من حيث المسافة المخصصة................ 254

- أطول شوارع القاهرة الخديوية الرابطة بين جهات القاهرة كلها........................ 255

الجولة التاسعة بالقاهرة: (الرحالة المغاربة على شط النيل بالقاهرة) 257

- المخيال المغربي عن نهر النيل وقصص الأنبياء حوله.. 259

- الرحالة المغربي يلتقط صورة مبكرة للنيل وهو يطوق خصر القاهرة ذات ربيع 260

- حيوية وسط نهر النيل وأشجار وطيور وحيوانات ومنشآت تمخر عبابه في عيون صاحب تاج المفرق المغربي الأندلسي.................................... 261

- مراكب النيل شريان حيوي يمد الساكنة بالخدمات والسلع والمواد الغذائية في مشاهدات الرحالة عيسى البلوي 261

- العبدري يقرأ مقدار حزب من القرآن مستعرضا النيل ومقدار مساحته الواسعة عرضا... 262

- ابن سعيد المغربي يعجب بقصر السلطان عند جزيرة الروضة قبالة الفسطاط 262

- قصر جزيرة الروضة نزهة الأبصار لأهل الفسطاط ليلا 263

- الحسن الوزان ومشاهدات حول مؤسسة مقاس منسوب النيل......................... 263

- الوزان يصف الاحتفال بوفاء النيل 264

- يشبه القاهرة ونيلها بالبندقية وتخلل مياه البحر لشوارعها.. 264

- كسر السد عادة فرعونية ممتدة عبر العصور 264
- الحاج يوسف صبي الحاج المغربي يتحقق من وجود فرعين للنيل عند الدلتا لا غير 265
- إبداعات المنادين والأطفال وأناشيدهم عند كسر السد 265
- عادات مصرية عامة 267
- ابن سعيد المغربي يؤخذ بجمال جزيرة الروضة 268
- ربض بولاق يتسع عمرانه في عهد الملك الناصر وعصر الوزان 269
- الموقع الاستراتيجي لربض بولاق عصر الوزان كمون غذائي بالحبوب والسكر والزيت 270
- علاقة باب البحر بسور القاهرة ببولاق 271
- أصل كلمة "المقس" 271
- منصة رسمية فاطمية للجيش الصادر والوارد إلى النيل ومنه 271
- ابن سعيد المغربي يصف بركة النيل شعرا ملتقطا لها مشهدين: نهاري وليلي 272
- ابن سعيد وأحسن موضع الفرجة خارج القاهرة رغم صعوبة الوصول إليها 273

الجولة العاشرة بالقاهرة (الجواز إلى الأهرامات والجيزة من جزيرة الروضة جهة الفسطاط قديما على جسرين واصلين بين الضفتين) 279

- ابن حوقل يصف الجسر المقدس الذي يصل الجزيرة بالفسطاط 281

- الحسن الوزان وتعمير جزيرة الروضة حيا صناعيا وسوقا فلاحيا إفريقيا للماشية 281

- جزيرة الروضة محطة أولى للحاج المغربي القادم من برقة مباشرة إلى مصر............... 282

- مساحات طبيعية وجامع كبير على النيل وانتقال اليد العاملة يوميا عبر النيل منها وإليها.. 282

- قصة ثورة عمرانية أضافت إلى الجيزة حي الزمالك وحدائق الأورمان وحديقة الحيوان والدقي والعجوزة بتحويل مجرى النيل شرقا وظهور مستطيل الزمالك والجزيرة مقتطعين من شرق النيل القديم على صورة - جزيرة ثانية أضيفت إلى جزيرة الروضة القديمة 283

- إتمام الأشغال أتاح مساحة صالحة للحدائق المنظمة.................................... 283

- جسور على النيل لربط الجيزة بالضفة الغربية 287

- حدائق ومتنزهات منظمة يحلو للزائر الدخول إليها اليوم.................................. 288

- من نتائج فيضان الساكنة والخدمات الشعبية على مرافق الجيزة المتحضرة الأوروبية الطابع 289

- فندق خمسة نجوم بجانب عزبة برسيم 292

- شوارع الجيزة تأخذ أسماء عربية وحدوية الطابع 293

الجولة الحادية عشرة بالقاهرة: (في أعماق تاريخ مصر الفرعونية وراء الجيزة عند أهرامها وآثارها) 295

- في أعماق مصر الفرعونية عبر الجيزة وشارع الهرم 297

- الارتباط العاطفي للمسلم بالحضارة الفرعونية عميق 298

- التنويه بمصر وبحضارتها وأمنها واستقرارها ووفرة الموارد في القرآن الكريم وأن لأهل مصر نسبا وصهرا 299

- مصر مهوى أفئدة العلماء والصوفية على مر العصور 299

- الآثار الفرعونية عبرة إيمانية وذكرى 300

- غموض واندثار قراء الكتابة الفرعونية لم يمنع من محاولات تنوسيت قبل حجر رشيد 301

- الرحالة المغاربة يدركون ما تحت الطلاسم من الأسرار جملة لا تفصيلا 301

- العبدري يلتقط صورة قريبة من الواقع للأهرامات.. 303

- العبدري يحكي محاولات في كيفية بناء الأهرام.. 303

- محاولات فاشلة في هدمها بحثا عن الذهب والأسرار.. 303

- ابن بطوطة يشاهد الآثار الفرعونية بأخميم جنوبي القاهرة.. 304

- عيسى البلوي والآثار المحفورة على صدر أبي الهول 304

- ابن مليح يرمق من بعيد أهرامات أخرى وراء الهرم الأكبر وعنده مخازن يوسف الغذائية.. 305
- المتمصرون الأوروبيون ينظمون مراحل بناء الأهرام عبر العصور 306
- الأهرام الثلاثة قمة تطور البناء والنفقات 310
- الأهرام مقابر للملوك والملكات ومساكن الدار الآخرة ومراصد فلكية للشمس والنجوم.. 311
- تدهور بناء الأهرام بعد الوصول إلى قمة البناء عبر العصور 311
- مقابر أفراد النخبة ذات طابع أقل عظمة 312
- أهل القاهرة يقتبسون من المنشآت على الموتى الفرعونية بيوتا وقبابا ومؤسسات بالقرافة الإسلامية عبر العصور إلى اليوم 312
خاتمة للعبرة والذكرى: مصر في قلب وعقل كل مغربي إلى اليوم 319
- المغربي يشرب لبان حب مصر من الشاشة والملصق والأغنية والسكر العريان والكتان القطني والأستاذ المبعوث 323
- رئيس أطباء مصر يرسم لوحة عن أخلاق أهل مصر المتمدنين المتحملين لأنواع من المضايقات والخصاصة 324
- نصيحة لأهل مصر بالإكثار من المسار والأفراح والتنكيت طلبا لدفع الوخم النازل.. 325
- تفسير نفسي وعضوي لقلة قيامهم على الحكام.. 325

- صورة من القاهرة العميقة منذ عصر الأهرامات إلى عصور المماليك ومن بعدهم في شخص "جمال الغيطاني" في لقاء معه يوم تكريم جمعية "منية للتراث والثقافة والسماع والفنون" بمراكش ذات ربيع من عام 2008م 326

الرحلة الأحمدية لمدينة طنطا والإسماعيلية 331

من مراكش إلى مدينة الإسماعلية عبر الأزهر الشريف والقاهرة 333

شهادة من شيخ الأزهر الشريف 333

في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة.. 333

عند الأهرامات 334

إلى زيارة مدينة الإسماعلية في ستة وفود عربية................................ 334

بداية الرحلة عبر مصر الجديدة 335

في شارع العروبة والمرور قرب المطار الدولي 335

عند مدينة السلام.. 336

في الطريق الصحراوي إلى الإسماعيلية... 336

أراضي فلاحية جديدة 337

عند مبنى هيأة قناة السويس 337

عند مدينة الشيخ زايد 338

كلية الطب بالإسماعيلية 338

لون مدينة الإسماعيلية البياض والزرقة.................................... 339
غرس الأشجار أمام المنازل تطوع فردي وجماعي........................ 339
القيمة التاريخية لمدينة الإسماعيلية 339
ميناء الإسماعيلية... 340
عند بحيرة التمساح.. 340
في النادي للغداء والمغادرة... 340
استراحة الخميس.. 341
زيارة طنطا.. 341
المرور عبر شبرا.. 342
عبر مدينة زفتا.. 342
في مفترق الطرق.. 342
إلى معهد طنطا الأزهري.. 343
إلى كلية الشريعة بطنطا... 344
إلى المحلة الكبرى وشركة الغزل والنسيج 344
العودة إلى القاهرة 345
عند مدينة البعوث الإسلامية وختام الرحلة............................... 345
- فهرس المراجع والمصادر... 349

- ملحق خاص بالصور والشارات وبطاقات في طريق الرحلة ووثائق........................357
(محمد البايك – عبد الكريم تارفي – الأحمدي لكْدع)
- فهرس المحتويات 393

جعل الله ثواب هذا العمل في صحيفة
المؤلفين ووالديهم والمحسنين الذين
ساهموا في طبعه ونشره والاستفادة
منه وكل من أعان من قريب أو بعيد، إن
ربي لسميع الدعاء.

المطبعة والوراقة الوطنية
IMPRIMERIE PAPETERIE EL WATANYA
زنقة أبو عبيدة، الحي المحمدي، الداوديات - مراكش
RUE ABOU OUBAIDA, CITE MOHAMMADIA, DAOUDIAT MARRAKECH
TEL.: 05 24 30 37 74 LG / 05 24 30 25 91 - FAX: 05 24 30 49 23
iwatanya@gmail.com www.elwatanya.ma

عبد الكريم تارڪي

- ولد سنة 1973 بمراكش
- حصل على شهادة حفظ القرآن الكريم وتزكية في الوعظ وخطبة الجمعة
- تخرج من جامع القرويين سنة 2000 بفاس
- حصل على شهادة الماستر سنة 2011 بمراكش
- حصل على شهادة الدكتوراه سنة 2017 بمراكش
- إطار سابق بنظارة أوقاف تيزنيت ثم المجلس العلمي المحلي بنفس المدينة
- إطار بالمجلس العلمي المحلي لمراكش
- له مشاركات علمية بالإذاعة والتلفزة ومجموعة من الأعمال العلمية
- من أعماله المطبوعة:
  - كشف الرواق بالكلية عن وجوب الزكاة في هذه الأوراق العرفية
  - الصبر واحتمال الأذى
- قيد الطبع:
  - مجموعة من الخطب المنبرية (الوالي بخطب عبد الكريم تارڪي)

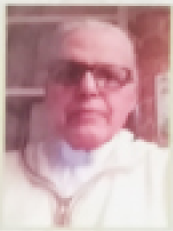

محمد البايك

- ولد سنة 1941م بتزنيت، وتخرج من المدرسة العليا للأساتذة وكلية اللغة العربية ودار الحديث الحسنية وكلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط
- له عدة عدة أبحاث ومقالات وقصائد منشورة في المجلات المغربية والعربية
- عمل في التعليم الأولي والثانوي والجامعي وهو عضو مجلس جامعة القرويين لسنوات وعضو في المجلس العلمي المحلي لمراكش
- من أعماله المعدة للطبع:
  - رحلات إلى الحرمين وإسطنبول ومراكش بعيون الرحالة الوافدين إليها
  - بين العز بن عبد السلام وأبي علي اليوسفي
- من أعماله المطبوعة:
  - الفتوى بين الدلالة اللغوية والشرعية
  - من فقه الأذان وأدب الأعلام في الإسلام
  - الفتوة والشباب

لحمادي لكدع
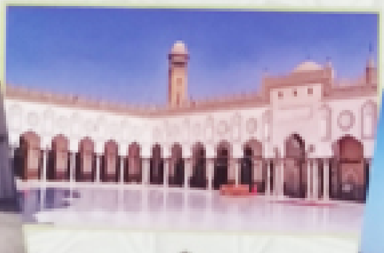
- ولد سنة 1961 بمراكش
- خريج المعهد الإسلامي بالدار البيضاء
- خريج الأزهر الشريف
- له عدة مشاركات بالإذاعة الجهوية والوطنية
- له مشاركات وعظية توعوية بقناة محمد السادس للقرآن الكريم
- خطيب مسجد الوحدة الخامسة بمراكش
- واعظ تابع للمجلس العلمي المحلي لمراكش
- إطار إداري بالمجلس العلمي المحلي لمراكش